

ناديا الشهري



جمنون

JHAMNUN

رواية



ALMANSOUR
PUBLISHED BOOKS

ضال
t.me/twinkling4

جَمْنُون
Jhamnun

تحذير: لا يقرأها من هم أقل من 16 عاماً وقد أعذر من أنذر.

رواية

جَمُون
Jhamnun

ناديا الشهري



ALMANSOUR
المنصور
PUBLISHING HOUSE

جمنون

ناديا الشهري

الكويت مكتبة المنصور للنشر والتوزيع 2020

458 ص 23 سم.

الردمك : 5-02-725-9921-978

تصميم الغلاف عبدالرحمن الصواف

تم تجهيز النسخة الإلكترونية بواسطة: فيلق مكتبة ضّاد.

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1441 هـ - 2020 م

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي مكتبة المنصور للنشر والتوزيع



ALMANSOUR
المنصور
PUBLISHING HOUSE

الناشر: مكتبة المنصور للنشر والتوزيع

Info@almansourpublishing.com

www.almansourpublishing.com

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

• mohamed •

• أروى •

• فاطمة •

جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة تضاد
<https://t.me/twinkling4>



أحداث هذه الرواية قد تكون حقيقية..

وقد تكون خيالية..

وقد تكون مزيجًا ما بين الواقع والخيال.

ولكن الجن فيها هم واقعٌ وليسوا خرافة.

واقعٌ قد ذكر في القرآن وفي الأحاديث النبوية، وفي الكتب..

واقعٌ قد عاشه وعرفه بعض الناس.

وللجن أسرارٌ وخفايا...

إن كانت خفيةً عن البعض، فالبعض الآخر قد لمسها وعرفها وذاق ويلاتها وأهوالها.

إن لم تكن ذا قلب شجاع

نصيحة:

لا تقرأ الرواية



الإهداء

إلى ذلك الكيان وتلك العوالم..

أهدي هذا الكتاب...

ناديا الشهري

..مقدمة..

العالم حولنا مليء بالأحداث والغرائب..

والأحاسيس والمشاعر..

ولكي نُميط اللثام عما يحدث حولنا..

نقرأ روايات عوالم ناديا..

لنغوص في بحرٍ من الغرائب والأحاسيس والأمور الغامضة المثيرة..

ثم نسير بخطواتٍ مرتجفةٍ لِنَسُجِرَ أعماق كهف مظلم مخيف، أو نزور قلاعاً
مهيبة، فنرى الأطياف والخيالات التي ستلاحقنا وترعب قلوبنا في عالم الرعب
المهيب، بكل عوالمه المخيفة والغامضة، فنسعى لفك طلاسمه وكشف أسرارهِ..

ونذوق بين الأهوال طعم العشق، ونشم عبير الغرام بين الدماء، ونلمس الحب
بين الأشواك.

كل ذلك وأكثر في كتابٍ واحد ..

ندخل فيه من عالمٍ إلى عالمٍ آخر .

من عالم الأمان إلى عالم الخوف..

من عالم الرعب إلى عالم الحب..

فروايات عوالم ناديا

عوالم الرعب والحب بين يديك.

ناديا الشهري



1

شغب الجن

مشاغبون.. مشاكسون وماكرون..

هم الجن إن أرادوا تحذيرك.



النمر الأسود

تحكيها (منى)

من بين الأعراس تقدم نحوي، نمرٌ أسودٌ جبلي، سواده بهيم، هيبتة تهزُّ الجبل من تحت قدميه، كبير الحجم جميل المُحيّا رغم أنه خطير ومفترس، كان يمشي الهويني وهو يتقدم نحوي، حينها التقت عيناى بعينيه الخضراوين وبدلاً من شعوري بالخوف قفز قلبي فرحةً وأنا أرى الدفء، والحنان والحب في عينيه، ركض نمر الـ(جاكوار) نحوي، وبدل الهروب منه وجدت نفسي أفتح ذراعِيْ بلهفة لأضمه نحو صدري، كم فرحت عندما استقر رأسه بين يدي لأضعه على صدري، فأخذ يفرك رأسه على صدري بكل محبة ودفء وشوق، وعندما رفعه لتلتقي عيني بعينيه انتفض قلبي وأنا أرى داخل تلك العينين عالماً آخر وليس فقط نمرًا أسود.. استيقظت من نومي وأنا أشعر بذلك الدفء لا يزال على صدري، وراحةٌ عجيبةٌ تغمر نفسي..

قبل ذلك بثلاثٍ وثلاثين عامًا..

عندما كنت طفلة في الرابعة من عمري كنت أَلعب بسعادة، وأتخيّل نفسي أَلعب مع صبي يكبرني، أتخيله ولم أكن أراه حقًا، نلعب معًا ونقفز معًا رغم أنه غير موجود، وكنت أخبره بأنه نمري الأسود وأنا فراشته، كانت أُمي تخشى من خيال هذه الطفلة - أي أنا - وتقول:

- «اذكري الله يا ابنتي فلعله يصبح موجودًا».

عندما كنت في الخامسة ذهبنا إلى سوريا في رحلة استجمام، وفي ضواحيها الخضراء ابتعدت عن عائلتي، ودخلت أجمة خضراء في مكان أثري مهيب، وهناك شعرت بإحساس غريب وكأن أحدها ما ينظر نحوي، رغم أنه لا أحد هناك فقد



كنت وحيدة، تعجبت ومشيت مبتعدة قليلاً لأدرك بأني تائهة، عندها جلست على صخرةٍ أرتجف خوفاً وأنادي على أمي، فجأة تقدم نحوي طفل جميل يكبرني سناً، لم ترَ عيناى أعذب من وجهه ولا أعمق من عينيه،

نظر نحوي بحنانٍ عجيبٍ وقال:

- «كم أنا سعيد لمقابلتك، إن اليوم هو أسعد أيام حياتي، أخيراً وجدتكَ، لا تبكي فأملك قادمة إلى هنا بعد دقيقة».

تفاجأت من حديثه وفرحته التي بالمثل دخلت قلبي، وعندما هممت لأسأله عن اسمه، سمعت صوت أمي وهي تناديني، فالتفتُ نحوها بسعادة إذ وجدْتُني كما قال الصبي، وعندما التفتُ نحوه لأشكره كان قد رحل.

عندما كنت طفلة صغيرة في السادسة من العمر، كنت أتشاجر أحياناً مع أخي (فيصل) ، ولأني طفلة أنام على سريرى والدموع تملأ مقلتي، حزينَةً على تلك الدمية الأثيرة والتي كسرَها أخي ليغيظني.

عندما كنت طفلة في السادسة من العمر وأبلل وسادتي بدموعي، كنت أشعر بشخصٍ دافئٍ جداً يحتضنُني من خلفي حضناً دافئاً غريباً يبث كهرباء في جسدي، تجعل روجي تحلق ونفسي تهدأ، لأنام بعدها براحةٍ وكأن دميتي آخر اهتمامي.

عندما كنت طفلة في السادسة من العمر كنت ألتفت أحياناً لأرى من يحتضنني دائماً عندما أكون حزينة أو مريضة، لأجد بأنها ليست أمي بل ليس أحدٌ على الإطلاق.

غريبة هي الطفولة، فبقدر ما تفاجئنا بقدر ما ننسى تلك الغرابة والمفاجآت، وتمضي الحياة وكأن شيئاً لم يكن.

عندما كنت ذرة ...



وذلك عندما خلق الله آدم عليه السلام...

قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) الأعراف.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ قال: مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة، وأخذ ميثاقهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ اللفظ الحديث يعقوب.

أتساءل عندما كنت ذرة (نسمة) هل تقابلت ذرات الخلق جميعًا قبل أن نعود إلى ظهر أبينا آدم؟

وهل رأينا وقتها خلق الله من العالم الآخر، ذلك العالم الذي خلق قبلنا، عالم الجان.

وهل حدث لهم مثل ما حدث معنا؟ هل أخذوا من ظهر أبيهم (سوميا)، وأخذ الله منهم ميثاقًا في ذلك الوقت معنا أو عندما خلق (سوميا) من قبلنا؟

لربما كان في نفس وقتنا فالتقت عيناه بعيني؟! لا أعرف منطقيًا وإجابة عن سؤال.

ولكن لماذا أشعر به وأعرفه من قبل أن ألتقيه وأنني أعرفه حقًا!

لماذا أدركت بأنه سيكون لي نصيب معه وكأننا شخص واحد لا شخصين؟!

لا أعرف.

لا تلقوا بالألأفكار الغربية.

عندما كنت في الثالثة عشر من عمري، كنت أشعر بقوة بأنني سأعيش قصة غريبة، كنت على يقين من أنني لا أشبه أحدًا ومختلفة، وبأنني سأعي هذا الاختلاف قريبًا جدًا، وأخوض مغامرةً لن تنتهي، ولعلها ستلازمني لآخر لحظةٍ من حياتي.

هناك من لا يمت لي بصلة، ورغم ذلك سيكون أقرب لي من كل صلةٍ في العالم. عندما كنت في الثالثة عشر من عمري كنت أشعر بوجوده رغم أنه غير موجود معي لحظتها.

يُقال بأن هناك أشخاصَ نجمهم كاشف، أي لديهم عينٌ ثالثة يرون ما لا يراه الغير، كنت أسمع بذلك، ولكن بعد القراءة والاطلاع عرفت بأنها العين الثالثة (الشاكر) أو بمعنى آخر الغدة الصنوبرية في رأس الإنسان، والمسؤولة عن الخيال، والشباب، والأحلام والطاقة والذاكرة، وهي أيضًا النافذة التي تفتح على عالمين، وكلما كبرنا في العمر كلما صغرت الغدة، وبالتالي كلما أغلقت العين الثالثة جفنها وعندها تُغلق النافذة بين العالمين، لذلك نرى الطفل ينظر إلى تلك الزاوية ويصرخ فجأةً، فتعرف بأنه رآه..

رأى جنيًا من العالم الخفي.

كلما كبرنا كلما صغرت الغدة وخسرنا فوائدها العديدة..

عندما نكبر تُغلق تلك النافذة ويصبح نظرنا قاصرًا عن رؤيتهم..

ولكن عندما كبرت أنا لازالت عيني الثالثة مفتوحة.

مفتوحة.

عندما كنت طفلةً كنت أراهم وأشعر بوجودهم واعتدت ذلك، ثم كبرت ونسيت، ثم عدت تلك الطفلة من جديد، رغم سنواتٍ عمري العديدة..



عندما كنت طفلة ولكنني الآن لم أعد كذلك.

فماذا حدث منذ كنت طفلة؟ إليكم قصتي التي بدأت من ذلك البيت.



..البيت..

- «وأخيراً سيصبح لنا منزلنا الخاص بعد صبرٍ طويل».

همس بذلك (أحمد بن عبد الله) وهو ينظر للمنزل الذي أوشك بناؤه على الانتهاء.

كان رجلاً في نهاية العقد الرابع من عمره، بهيُّ الطلعة، عريض المنكبين، ملامحه حادة، ولكن نظراته حنونة، فمن ينظر لوجهه البيضاوي ببشرته القمحية، وأنفه الحاد وعينيهِ الصغيرتين الكهرمانيتين، وفمه الصغير المرسوم في دقة خلابة، يشعر بمدى جاذبيته، وقوة شخصيته وطيبته في نفس الوقت..

كان البيت يبني على أرض كبيرة لا تحيط بها المنازل، مما جعل البيت يبدو واضحاً للعيان، مميّزاً بموقعه في مدينة (أبها) عروس المنطقة الجنوبية بالمملكة العربية السعودية.

أما طريق الوصول إلى ذلك البيت فيتم ذلك بواسطة خطٍّ فرعيٍّ ممتدٍّ من الخط العام، ثم ينحدر ويلتف لينتهي الطريق أمام منزل (أحمد عبد الله) الجديد..

لقد عانى (أحمد) كثيراً في الماضي من الفقر والسكن في بيت صغير، يحتوي فقط على غرفتين تؤويه مع زوجته وأطفاله السبعة، عندما كان في مدينة (جدة)، أما الآن فقد رحبت تجارته وأصبح بإمكانه بناء منزل حديث في مدينته (أبها)، والذي يختلف عن البيوت الشعبية المنتشرة في كل المناطق؛ لأنه كان يعيش في زمن قديم، ولم يزدهر العمران في المملكة كثيراً إلا في المدن الكبرى (جدة) و(الرياض)، وهذا جعل منزله محط أنظار جميع سكان مدينة (أبها).

كان عمال البناء يُجَدِّون في العمل و(أحمد) يتابعهم، عندما ظهر رجل عجوز من العدم، عجوزٌ طاعن في السن، منحني الظهر يتكىء على عكازه الخشبي.



تفاجأ (أحمد) من وجوده وأدهشه أكثر أن ينزل من الطريق كل هذه المسافة على عكازه ليصل إليه، شعر برجفة باردة تكتسح قلبه لا يدري سببها.

حيا (أحمد) الرجل العجوز قائلاً:

- «مرحباً يا عم.. أي خدمة؟»

نظر نحوه العجوز من تحت حاجبيه الأبيضين الكثيفين، وقال بصوت بدا وكأنه قادم من أعماق قبر:

- «هذه الأرض لا بركة فيها لكم، ونخسها يصعد منها ليحيط من عليها، ارحل من هنا أفضل لك».

نظر نحوه (أحمد) في دهشةٍ، وقال متهكماً :

- «ما أكثر الحساد! الأرض أرضي اشتريتها بكفاحي، ويأتي على وشك الانتهاء، فبارك لي بدلاً من كلامك هذا».

ابتسم العجوز ابتسامة مقبلة ثم فتح عينيه بقوة وقال بصوت عميق:

- «لا تقل إنني لم أحذرك».

نظر (أحمد) نحو بيته الأنيق المكون من طابق واحد وفناء جميل، ومطّ شفتيه ساخراً من خرف هذا العجوز الغريب، نظر نحوه ليقول له شيئاً ولكنه كان قد اختفى بسرعة كما ظهر..

من العدم.

وأخيراً انتهى بناء البيت، وكان جميلاً بلونه الأبيض الناصع والنقوش المنتشرة على واجهته، فبدا وكأنه بني على الطراز الإيطالي.

نزل أفراد أسرة (أحمد) من سيارة ال (GMC) وكلهم لهفة للسكن في البيت الجديد، قال لهم (أحمد) بسرور:

- «واهلا بكم في بيتنا الجديد».

هتفوا في غبطة وسرور وهم يترقبون الوقت الذي يدخلون فيه إلى المنزل، تقدم منهم أبوهم واتجه وفي يده المفاتيح، وأدار قفل باب البوابة الخارجية الكبيرة، فصدرت تكة تعلن استسلامها لصاحبها وأنه قادر الآن على الدخول، كان للمنزل فناء يحيط بالبيت من جهاته الأربع، ولكنه يتسع جدًا في الخلف، أوضح ذلك (أحمد) لعائلته، فقالت زوجته (جميلة) بعزم:

- «سأحول ذلك الفناء إلى حديقة غناء بإذن الله».

رد زوجها ضاحكا:

- «افعلي ما يحلو لك... فهذا بيتك».

أدخل المفتاح في باب المنزل، وعندما فتحه أخذ جرعة من الهواء أدخلها إلى رئتيه، قبل أن يفتح الباب على مصراعيه، دخل نور الشمس متسللاً إلى الداخل مما جعل (أحمد) قادراً على رؤية مكبس الضوء، وعندما ضغط عليه أضيء المكان، فصدرت شهقة انبهارٍ من الجميع، هتف والدهم مزهواً:

- «سمّوا بالله».

أخذ الجميع يذكرون الله في سعادة وشكر.

كان أمامهم مدخل واسع ينتهي ببايين من الخشب البني، وعلى يسارهم يقع درج يصعد إلى سطح المنزل، اتجه والدهم إلى الباب الأول وهو على اليمين منهم، فتحه ليدخلوا، وفي الداخل كان هناك صالة متوسطة الحجم بها أرائك جميلة، وباب حمام وغرفة جلوس للضيوف كبيرة الحجم، يقابلها قوس يقود إلى الداخل،



وبعد المرور به وجدوا صالة فسيحة تنتشر فيها الأبواب، أول الأبواب كان على الجهة اليمنى، فتحه (أحمد) وهو يهتف في بهجة:

- «هذه غرفة فتياي الجميلات».

هتفت بناته الثلاث وكن جميلات بالفعل.

أكبرهن (عير) - في السابعة عشر من العمر - بيضاء البشرة طويلة القامة، لها عيان سوداوان صغيرتان، وشعر أسود كالليل الأدهم، غزير جدًا، يصل إلى نصف ظهرها، أما أنفها فمستقيم يستقر تحته فم صغير وردي، وكأنها تضع قلم (روج) عليه، بسيطة جدًا بقلب أبيض قادرة على تحمل أعباء الجميع، أما الثانية فكانت (فاتن) - خمسة عشر عامًا - كانت أجمل من السابقة، فلها بشرة بيضاء ووجه مستدير قمري، وعيان جميلتان عسلتان، وأنف مستقيم، وفم صغير وجميل، وشعرها الكستنائي الغزير متدرج حتى أسفل كتفها بقليل، طولها معتدل وطبعها دافئ وحنون، ويعتمد عليها في الشدائد، والثالثة (سمية) - ثلاثة عشر عامًا - قمحية البشرة، جميلة بلامحها الأشبه بنساء الهند الجميلات، وذلك بعينها اللوزيتين العسلتين، وأنفها الصغير الناعم، وفمها الممتلئ، ووجهها البضاوي وشعرها الأسود الطويل والذي يصل حتى أسفل ظهرها، وقوامها المرن الممشوق، وطولها المعتدل يجعل الرأي يظن أنه رآها في السينما الهندية (بوليوود)، وكانت حادة الذكاء خفيفة الظل هادئة الطباع.

دخل ثلاثهن الغرفة ليجدنها مفروشة باللون الوردي وأثاثها من الخشب البني الفاتح، هرولت كل واحدة منهن لتنتقي سريرها قبل أختها، فكان نصيب (سمية) السرير الموجود بجوار الحائط، و (فاتن) في الوسط، أما (عير) ففي الطرف.

كن سعيدات جدًا، ولكن (سمية) لاحظت أن والدها اتجه مع باقي الأسرة لمشاهدة باقي المنزل، فهتفت بأختيها:

- «يا إلهي أسرعنا فعلينا اللحاق بأبي».

خرجن جميعهن راكضات فوجدن والدهن يقف مع والدتهن وأخوين داخل المطبخ، دخلن إليه بدورهن، فاتجهت (فاتن) إلى النافذة الموجودة في نهايته، فتحتها لتُشاهد فناء المنزل الجانبي، وهواء المنطقة الجنوبية المنعش يداعب وجهها.

شعرت أن الجميع خرجوا من المطبخ، فهمت باللاحاق بهم ولكنها لمحت قِطًا أسود على سور المنزل ينظر إليها، استوقفها منظره وشعرت بالضيق والكرهية تجاه عينيه الصفراوين، فأغلقت النافذة ولحقت بالجميع.

أحبوا جميعهم غرفة المعيشة الأنيقة، وبجانب هذه الغرفة حمامٌ وغرفة نوم رب البيت وزوجته (جميلة) وهي جميلة كاسمها، أورثت البشرة البيضاء الأربعة من أطفالها وكانت واسعة العينين، وأنفها صغير وناعم، ولها فم ممتلئ، وشعر بني حريري طويل يصل إلى ردفها، والمدهش هو قوامها الرشيق برغم ما أنجبته من أطفال، أما سنوات عمرها فكانت في الأربعين.

كانت غرفة النوم الرئيسية فسيحة وجميلة، ملحقة بها دورة المياه، وبجوارها غرفة صغيرة كانت لأصغر أفراد الأسرة - آخر العنقود - واسمها (منى) في السادسة من العمر، شددت ثوب أمها هاتفة بغضب:

- «اين غرفتى؟»

ضحكت (جميلة) على هذه الصغيرة ذات الشخصية القوية، فأمسك والدها بيدها وقادها إلى داخل الغرفة الصغيرة، فشاهدت سريرًا بحاجزين عليه رسومات جميلة، هتفت الطفلة (منى) بسعادة وهي تشاهد سريرها قائلة:

- «لدي سرير .. لدي سرير هيببيبيبيبي..»

ابتسم والدها في حنان واقترب منها وهو متأثر من فرحة ابنته، فهذه أول مرة ستنام فيها على سرير بعد أن كانت تنام كسائر الجميع على الأرض.



تأمل ابنته في حنان وهو يراها أجمل أفراد أسرته، حتى أنها تفوقت على جمال أمها، وذلك ببشرتها البيضاء المائلة إلى الصفرة لغلبة المزاج الصفراوي عليها، مما أعطاهما سمة الجمال اللاتيني، وعينيها الواسعتين بندقيتي اللون، وأنفها الحاد الصغير، وفمها الممتلئ المستقر في وجهه بيضاوي عريض من فوق، ولها ذقن مدبَّب جذاب، وكان يجمِّلها شعر كالحرير غزير كستنائي اللون يصل إلى كتفها، كانت فتاة ذكية ومرحة، وفصيحة اللسان، قَبَلها والدها وخرجوا جميعهم من الغرفة.

كانت هذه محتويات الشق الأيمن من البيت، أما الشق الأيسر فكان هناك رواق جانبي طويل وفسيح يقود إليه..

ساروا جميعهم في ذلك الرواق وعندما وصلوا لنهايته أشار والدهم إلى المكان الذي كانت تحتله غرفة الجلوس في شق البيت الأيمن، ليجدوا في الشق الأيسر غرفة نوم الفتیان.

(عبد الله) وهو الأخ البكر إذ يبلغ اثنين وعشرين عامًا، طويل القامة، قمحي البشرة، وجهه مثلث، ملامحه هادئة، يحب العلم والدراسة والقراءة، أما الآخر فهو (حسين) الأخ الثاني المرح والطيب القلب، في التاسعة عشر من العمر، طويل القامة، رياضي الجسم، وسيم، قمحي البشرة، له عینان كبيرتان عسلیتان، وفم ممتلئ بابتسامة جذابة تكشف عن أسنان بيضاء جميلة، أما شعره فحرير غزير بني اللون، والأصغر هو (فيصل) أوسم من أخويه السابقين وذلك ببشرته البيضاء وعينيها الواسعتين العسليتين وأنفه الحاد، وفمه الحازم، ووجهه البيضاوي، أما شعره فغزير أسود فاحم، يبلغ من العمر تسعة أعوام، أخذوا يتأملون غرفتهم بإعجاب.

كان الشق الأيسر مخصص لغرفة الفتیان، وغرفة جلوس أفرنجية بها فيديو كاسيت، ومجلس للرجال، وغرفة طعام، وحمامان.

شكروا جميعهم الأب الحنون الذي بنى لهم هذا البيت الجميل، وانطلقوا يركضون في فناء المنزل الخارجي بسعادة، ما عدا (عبد الله) و(حسين) اللذين سارا مع والديهما في الفناء الخلفي لتخبرهم (جميلة) عن أفكارها في زراعة الأشجار والمزروعات.

في تلك اللحظة وفي الجانب الآخر من الفناء، هتفت (منى) بسعادة:

- «انظروا .. إنها قطّة».

توقفوا عن الركض ونظروا نحو القطّة البيضاء الجميلة، والتي تنتشر عليها ألوان مختلفة من البني والأسود والرمادي، كانت جميلة جدًّا، وفجأة خرج قط آخر نمري اللون، هتفت (سمية) بسعادة:

- «يا إلهي قط آخر هذا رائع».

صرخت (عبير) في جزع:

- «لاااا .. أنا أكره القطط».

وذلك لأنها في عمر الثامنة توددت لقط ولكنه عضها وخدشها، فأصيبت بعد ذلك بعقدة نفسية.

قالت (فاتن) في هدوء لا مبال:

- «يبدو أن البيت مليء بالقطط، فقد رأيت قبل فترة قطًّا آخر، ولكنه أسود فاجمّ لم يعجبني».

هرب القطان قافزين من فوق السور للخارج، تنهدت (منى) و(سمية) في إحباطٍ لرحيل القطين وعادوا جميعهم للبيت، وسرعان ما نسوا الموضوع.



بَهَرَ المنزل كل من رآه من قريب أو بعيد، واشتعلت مشاعر الغيرة والحسد في قلب كل من وقعت عيناه عليه، إلا القليل ممن لديهم قلب كبير يحب الخير للجميع.

استقرت أحوال العائلة وعاشوا أيامًا سعيدةً من استقبال للضيوف، والشواء في حديقة المنزل التي امتلأت بالأشجار والنباتات والزهور، بالإضافة إلى التمتع بطبيعة المنطقة الخلابة وأهلها المضيّفين.

سار كل شيء على ما يرام، حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم.

- «آآه قلمي ... لا استطيع تحمل الألم، لا استطيع».

هتفت بذلك (جميلة) وهي تشعر بنيران تشتعل في قدمها، نظر نحوها زوجها واخذ يضرب كفيه في حيرة من أمره، فالطبيب لا يرى بها أي علة، كانت (منى) تحمق في أمها بذعر طفولي وتحاول استيعاب هذه المشكلة.

اخذت أخواتها الكبيرات يقُمن بأعباء المنزل لتستريح والدتهن منها، وكان حزنهن عليها قد غطى أي تعب يتركه تنظيف المنزل على أي امرأة.

أخذت تتساءل (فاتن) في جنق وخيرة:

- «تري ما الذي أصاب أمي؟!»

هزت (سمية) كتفها وقالت:

- «ليتني أعلم».

بعد ذلك بساعات شعر (عبد الله) بالضيق في صدره والعرق يغمر جبينه، كان يسير وهو يلهث في حديقة المنزل والأشجار الكثيرة جعلت المساحة أصغر من ذي قبل، ولكن ما زاد شعوره بالضيق هو ظلمة الليل الحالكة لولا ضوء شحیح من القمر -والذي منعت قمم الأشجار وصوله إليه كاملاً- لما استطاع الرؤية.

سار بحذر نحو الحديقة الخلفية وهناك تحت شجرة التين المثمرة هالهُ ما رأى، كان يجلس تحتها مجموعة من الناس مَتَشَحِين بالسواد يلتفون حول فتى جميل ناصع البياض، ينام على مرتبة مطرزة بالذهب تحت شجرة التين.

أخذ يبتلع ريقه وهو يشعر بالرهبة من هؤلاء الناس، وكأن صوت ابتلاعه لريقه قد نبههم لوجوده فالتفتوا جميعهم إليه.

وهنا سقط قلبه بين قدميه، لم تكن وجوههم بملامح بل كانت كبقعة ظل بدون تفاصيل، كقُوْهة مظلمة تخفي الكثير، ومن تلك القُوْهة برزت فجأةً أعين مضيئة تبث نظرات عدائية ومتوعةدة.

ارتجف وحاول تحريك لسانه ولكنه لم يقدر، وفجأةً تكلم كبيرهم بدون فم، وقال بصوت عميق كأنه قادم من تحت التربة:

- «امك داست بقدمها على ابننا الجليل تحت هذه الشجرة، فإن تعافى تركنا قدمها، وإن تأذّ..».

صمت لتزداد عيناه بريئًا واستطرد قائلاً بصوت يجمد الدماء في العروق:

- «إن تأذ فستموت».

صرخ (عبد الله) بأعلى صوته قائلاً :

- «لا إله إلا الله..».

وهنا وجد نفسه غارقاً في عرقه وهو على فراشه وظلمة الليل تغلف العالم من حوله.

همس بصوت لاهث:

- «إذن كان حلمًا.. لا.. بل كابوس.. لا لا.. بل رؤيا».



نظر نحو أخويه فوجدهما نائمين بعمق، ثم نحو النافذة التي يبدو خيال شجرة التين واضحاً من خلفها، أشاح وجهه بسرعة عنها وهو يشعر بقلبه ينبض كقرع الطبول، فأخذ يدعو الله أن يشفى ابن الجن حتى تسلم أمه من شرورهم، وبعد أرقٍ وتوتر استطاع النوم وذكر الله يتردد على شفتيه...

في اليوم التالي جلس (عبد الله) بجوار والدته ينظر لحالها، فأخذت دمعة حزن تشق طريقها للخروج عندما سمع أنين أمه المتألم، قال لها برقة:

- «لا تخافي يا والدتي الحبيبة بإذن الله سوف تشفين، ولكن عليك في المستقبل عند سقي النباتات أن تذكر اسم الله في كل لحظة».

نظرت أمه نحوه بدهشة والألم محفور على وجهها، وقالت بتعجب:

- «إني اذكر اسم الله أول الأمر ثم انسجم مع مزروعاتي وأنسى أن أذكره عند كل أصيص، ولكن ما شأن هذا الحديث بوضعي الآن؟ هل هذا ما جادت به قريحتك؟ ألا يوجد لديك حل أفضل لحالي، وأنت الشخص المتعلم والمتفوق؟»

ابتسم (عبد الله) في رقة وحزن ثم قال:

- «بل إن هذا هو الحل الأمثل لك حتى لا تتكرر معك هذه الآلام».

قالت أمه بضيق وملل:

- «لا أفهم ..».

هز (عبد الله) رأسه ثم حسم أمره وأخبر أمه الحكاية كلها.

ارتجفت والدته وقالت بذعر:

- «بسم الله الرحمن الرحيم، لقد سقيت جميع المزروعات قبل يومين، ولكن شجرة التين كانت تحتاج لبعض التشذيب فبقيت أعمل عليها حتى غابت

الشمس، ولم أكن حينها أصلي لعذر شرعي يأتي كل شهر للمرأة يا ولدي».

هز (عبد الله) راسه في حرج وهو يشير لأمه أن تكمل، قائلاً لنفسه:

- «لا زالت تحسبني صغيراً، لا أفهم تلك الأمور حتى تشرحها».

أكملت أمه بذعر قائلة:

- «وعندما عدت للبيت شعرت بألم يسري في قدمي، كأنه نار تشتعل في عروقي، فظننت أنه برد دخل فيها، فوضعت عليها مرهمًا ممتازًا، ولكن الأمر ازداد سوءًا وكأنني وضعت بزيتًا على النار، وبقيت في الألم حتى هذه اللحظة، أقول أن ما بي هو من الجن! بسم الله.. لم يخطر هذا ببالي يا لدي ولم أقصد أن أؤذي أحدًا أقسم بالله».

قال (عبد الله) بسخط:

- «أعلم أنك طيبة لم تقصدي الأذية، ولكن في عرفهم أنتِ آذيتِ ابنهم، وبالرغم من أنك لم تريه، إلا أن عدم ذكرك لاسم الله في تلك اللحظات كفيل بأن يعرضك للخطأ في نظرهم، فلندعو الله أن تكون العواقب محمودة وأن يسلم ابنهم لتسلمي بدورك».

بعد ذلك بيوم واحد أفاقت الأم من نومها وأرادت الذهاب إلى الحمام، وقبل أن توقظ زوجها ليساعدها وجدت نفسها تنهض وحدها وهي بكامل عافيتها، هتفت بسعادة وهي توقظ زوجها:

- «(أحمد) لقد شفيت الحمد لله الحمد لله».

لم يصدق (أحمد) عينيه وشعر بسعادة غامرة لرؤيته زوجته بصحة وعافية، وأقام بمناسبة ذلك مناسبة لسلامتها.

وهكذا شفيت (جميلة) مما يعني شفاء ابن الجن.



ولكن هل انتهت الأحداث عند هذا الحد؟
أم أن هذه لم تكن سوى البداية فقط.
البداية للرعب والغوص في عالم مخيف مجهول.
عالم الجن.



الحديقة مسكونة

لم تكن (منى) الصغيرة تعلم شيئاً عن الرعب الذي عاشته العائلة والتي مصدرها حديقة المنزل الجميلة، بل كانت تلعب بكل براءة ومتعة فيها، وهناك رات خيال شخص مر بسرعة في لمح البصر، توقفت فجأة عن اللعب بدراجتها وهي تُدقق النظر فيما رأت لعلها تتخيل، وبالفعل لم يكن هناك شيء، تنهدت وظنت بأنها تتوهم، أكملت السير على دراجتها عندما شاهدت فجأة صبي صغير السن، ذهلت من وجوده في حديقة منزلهم، كان يقف خلف شجرة التين، اقتربت منه بحذر، فوجدته وسيماً بشعره البني وعينيهِ الرصاصيتين، بدا وكأنه من بلاد الشام، وكان أطول منها، فخمّن أنه أكبر منها.

ابتلعت ريقها بتوتر وهمست بصوت مضطرب وقالت:

- «من؟ من أنت؟ وكيف دخلت حديقتنا؟»

ابتسم وقال بهدوء:

- «لا أصدق كيف التقيت بك هنا، لم أكن أظن بأنني سأراك من جديد».

شعرت بالحرج ولكنها قالت بعتاب:

- «لم تجب عن سؤالتي».

قال بحنان:

- «ألم تذكريني؟»

نظرت نحوه متمعنة وهي تشعر بأنها لم تر عينين عميقتين كعيّتيه.

قال بسعادة:



- «أتيتِ (سوريا) لتلتقيني، وأتيت أنا هنا لألتقيك».

تذكرت فجأة ذلك الفتى الذي قابلته في سوريا قبل عام مضى، قالت بدهشة:

- «كيف؟ من؟ من أنت؟».

ابتسم لها برقة وقال:

- «أنا .. انا (جَمُون)».

فجأة سمعت صوت (فيصل) يناديها لتأكل الكيك معهم فالتفت للوراء واجابته بأنها قادمة، وعندما التفتت نحو الصبي دُهِشت وفتحت عينيها على آخرهما، وهي ترى شجرة التين وحدها بدون صبي يقف بجوارها.

لقد اختفى، اقشعر بدننا وهي تشعر بأنه من الغريب أن ترى فتىً من سوريا ويدخل حديقتهما ثم يختفي.

تلقت حولها وهي تظن بأنه ربما يوجد فتحة خفية في سور الحديقة تجعل هذا الولد يدخل ويخرج كيفما شاء، ولكن شعور خفي بالخوف جعلها تبتلع ريقها وتهول عائدة إلى البيت، مر شهر بعد هذه الأحداث وأصبحت قصتها في عالم النسيان، ولكن ذلك لم يمنع السيدة (جميلة) من أن تذكر اسم الله كلما خرجت لتسقي المزروعات، وأصبحت (منى) تترك باب المنزل مفتوحاً على مصراعيه ليسهل الهرب إليه لو استدعى الأمر، قرر (حسين) و(عبد الله) أن يذهبا في رحلة إلى البحر مع أصدقائهما، كان يبعد عن مدينة (أبها) ساعة ونصف الساعة تقريباً، وسيقضيان هناك يومين، هتفت (منى) وهي تقفز فرحاً:

- «هاي هاي البحر ... أريد أن أذهب إلى البحر».

ابتسمت والدتها وقالت:

- «مرة أخرى يا حبيبتي.. أما الآن سيذهب أخواك مع أصدقائهما الكبار».

أخذت (منى) تقف على اطراف اصابعها وقالت بمكر:
- «أنا الآن أصبحت كبيرة».

ضحك الجميع على هذه الطفلة الذكية، ثم رد عليها أخوها (فيصل) بمكر:
- «ولكنهم رجال وأنت فتاة».

اعتلى وجهها الإحباط والاستسلام فقد كان منطق أخيها سليماً، لذا لاذت هذه المرة بالصمت.

في الليل وبالتحديد عند الساعة التاسعة مساءً ضحك (فيصل) بإثارة وقال:
- «الفلم جاهز للمشاهدة، آه لو يعلم (حسين)».
هتفت (فاتن) بحنق:

- «إنه يبالغ.. نحن لم نعد صغاراً حتى يمنعنا من مشاهدة فلم مرعب».
غمزتها (سمية) وقالت:

- «عند عودته سيختبر مدى شجاعتنا، فم شاهدتنا للفلم وعدم خوفنا منه بعد ذلك سيكون أكبر برهان على خطأ نظريته».

استعدوا جميعاً لمشاهدة الفلم المرعب (الفك المفترس)، وهو مقتبس من الرواية الشهيرة (الفك المفترس) ل(بيتر بينشلي)».

وفي النصف الآخر من المنزل الفسيح كانت (منى) قد نامت، أما (عبير) فأثرت البقاء مع والدتها لمساعدتها ومشاهدة التلفاز معها، فلم تكن تستهويها هذه النوعية من الأفلام.



وكان الفلم حقًا يحبس الأنفاس، وبقوا يشاهدونه في صمت وترقب وإثارة، وفجأة.

- «(فاتن) افتحي الباب».

انتفضت (فاتن) فقد كان (حسين) يناديها من النافذة المطلّة على الحديقة كعادته إذا أراد أن يفتح له أحد الباب.

فأرادت أن تنهض لتفتح له الباب ولكن (سمية) أمسكت بها وهي تنظر نحوها بذعر ثم قالت بصوت يرتجف:

- «إلى أين أنت ذاهبة؟ (حسين) مسافر!».

نظرت (سمية) لأختها بذعر بعد أن تذكرت أن أخاها غير موجود، وفجأة ظهر صوت (حسين) ليقول بلهفة شديدة من خلف النافذة:

- «هيا أسرعى افتحي لي الباب أريد الحمام».

نظر جميعهم لبعضهم برعب وقلوبهم تكاد تتوقف عن الخفقان، وهنا ودون سابق إنذار انطلقوا جميعهم هارين وهم يتخبطون ويصرخون حتى ارتموا عند والدتهم.

هتفت بهم قائلة:

- «ما بكم؟ ماذا حدث؟».

أخذ كل واحد منهم يروي القصة فلم تفهم والدتهم أي شيء، حتى هتفت:

- «كفى .. احكي أنتِ يا (فاتن)».

أخذت الفتاة تحكي لأُمها القصة في دعر شديد، لم تملك الأم بعد أن رأيته إلا أن صدقت روايتها، ثم قالت في همس متوتر:

- «اقرأوا آية الكرسي واذكروا اسم الله حتى يحفظكم مما جرى، لا أدري حقًا ولكن يا أبنائي، الحديقة التي طالما عشقتها يبدو أنها مسكونة، كم أتمنى أن أكون واهمة».

وعلى أسرتهن و(فيصل) مفترشًا الأرض معهن حتى لا يبقى وحده في الغرفة بدون أخويه، بقيت تلك الحادثة عائقًا لدخولهم في مرحلة النوم، وصوت أمهم بقي عاليًا في أذهانهم قائلًا:

- «الحديقة التي طالما عشقتها يبدو أنها مسكونة، كم أتمنى أن أكون واهمة».
مسكونة.. مسكونة.. مسكونة..

بقيت تلك الكلمة المشؤومة تتردد في عقلهم حتى آخر لحظة صحو..
وأخيرًا نام الجميع، وفي نومهم هاجمتهم الكوابيس المزعجة، فأتى اليوم الثاني محملًا بالكآبة...



الرحيل

أقامت الأسرة وليمة كبيرة احتفالاً بتخرج (عبد الله) من كلية الهندسة وتوظيفه، وكان من بين الحضور (زينة) زوجة (علي) صديق (أحمد) المقرب، كان لديها ثلاث بنات جميلات، وأكبرهن بعمر التاسعة عشرة، قد أنهت تعليمها في معهد المعلمات الذي كان موجوداً في تلك الفترة، وهو عبارة عن ثلاث سنين بدل المرحلة الثانوية، يجمع بين المواد التربوية والعلمية والأدبية ليؤهل المتخرجة منه لتقوم بمهنة التعليم مباشرة بعد التخرج للمرحلة الابتدائية، وهكذا كانت ابنة (زينة) واسمها (أسماء)، معلمة جميلة جداً مما جعل (جميلة) تطمع بأن تزوجها لابنها (عبد الله).

انتهت السهرة بعد العشاء، اللذيذ، فقالت (جميلة) بحماس لزوجها (أحمد):

- «سأزوج ابني (عبد الله) بابنة (زينة) ما رأيك؟»

وجدها (أحمد) فكرة صائبة، وبالنسبة لـ(زينة) وابنتها (أسماء) كانت الأرض لا تسعهما فـ(عبد الله) نعم الابن ووالده مقتدر.

تم الزواج في أبهة وعظمة، إذ أقيم حفل الرجال في الأرض الكبيرة الخالية المجاورة للمنزل، فأقيمت الولائم، ولعب الرجال العرصة الجنوبية بينما النساء كن على سطح المنزل الواسع، وكانت العروسة الجميلة تجلس وكلها سعادة، والرقص يدور من حولها، وبعد انتهاء الفرح عمّ الهدوء المنزل بعد أن أخذ العريس عروسه لفندق شهير بـ(أبها)، وكان الكل متعباً، فجلست العائلة لترتاح ويتكلم أفرادها قبل موعد النوم، فجأة سمعوا جميعهم أصوات الموسيقى والطبول وكأن عقارب الساعة عادت للوراء لوقت ذروة الاحتفال، نظر جميعهم إلى بعضهم البعض، وركضوا بسرعة جهة سطح المنزل وهناك..

لا شيء..

ولكن الطبول وأصوات الغناء لاتزال موجودة وقوية.

هتفت (جميلة) بدهشة:

- «من اين مصدر الصوت؟»

هتف (حسين) مدعورًا :

- «من أرض الاحتفال».

ركض جميعهم جهة السور فأشرفوا على الأرض، و سمعوا أصوات الطبول واضحة وقوية، ولكن لا أحد هناك.

لا أحد.

وبذعر شديد هتفت الأم وأبنائها:

- «بسم الله.. بسم الله الرحمن الرحيم».

ثم ركضوا إلى الأسفل إلى منزلهم لينشدوا الدفء والأمان.

ولكن من قال إن المنزل دائمًا يحمل الأمان.

بعض المنازل لها رأي آخر.

انتهى ذلك الليل.

وستبدأ ليالي هي أشد وطأة مما فات.

مرت الأيام عادية وكأن كل الذي حصل لم يكن، وبدأت سنة جديدة على الأسرة في هذا البيت الجميل، مما زاد تعلقهم به مهما كان الذي عكر صفو بعض الأيام



فيه، وفي يوم من الأيام كانت (منى) تلعب في حديقة والدتها الغناء، كانت طفلة تملك خيالاً واسعاً وهذا ما ساعدها على أن تبتكر قصصاً مسلية تلعب فيها دور البطولة، ولأن كل إختوتها كبار بالنسبة لها فلم يكن يلعب معها أحد، وهذا جعلها تقوم بدور كل الشخصيات في قصصها التي ألّفتها عقلها البريء، كانت تلعب وتتسلى وهي تقلد أصواتاً مختلفة لكل شخصية.

الجو كان لطيفاً، والساعة كانت الخامسة عصرًا، وهو الوقت الذي اعتادت (منى) أن تزور فيه الحديقة كل يوم لتلعب وتمرح.

كانت مستغرقة في اللعب عندما سمعت صوتًا غريبًا. توقفت عن اللعب وهي تشعر بخيط من الكهرباء يسري في عمودها الفقري، همست بوجل:

- «من؟ من هناك؟»

لم يرد عليها أحد بل استمر الصوت الغريب والذي ذكرها بصوت الماء عندما يغلي في القدر الذي تطبخ فيه أمها الحساء.

أرهفت السمع أكثر حتى حددت مصدر الصوت، اقتربت من أحواض الزرع فارتفع الصوت أكثر؛ لأنها قد اقتربت من مصدره.

وهناك هالها ما رأت... لقد كانت تربة المزروعات تغلي.

نعم تغلي بماء حار فأصبحت طينا لازبًا، وكأنها تشاهد غليان حساء بالطين.

ارتجفت أوصالها الصغيرة فأطلقت قدميها للريح وجرت، حتى وجدت نفسها عند أمها في المطبخ، والتي كانت تطبخ حساء الطماطم التي قطفتها قبل ساعة من الحديقة.

هتفت (منى) بذعر وقالت:

- «أمي تربة الحديقة تغلي».



لم تستوعب الأم كلام ابنتها العجيب، فابتسمت برقّة وقالت وهي مستمرة في تقليب الحساء:

- «ماذا قلتِ؟»

ضربت (منى) قدمها على الأرض وقالت بحنق طفولي:

- «قلت إن تربة الحديقة تغلي تمامًا كما يغلي هذا الحساء».

توترت الأم ولكنها كبرت وقالت بحنق:

- «هراء، هذا كلام فارغ، لا بد أنها مخيلتك الواسع».

هتفت (منى) بحنق أكبر:

- «إنها تغلي اقسم لكِ بأنها تغلي».

أطفات الأم نار الموقد، فهدأ على إثر ذلك غليان حساء الطماطم في القدر، ثم وضعت الغطاء عليه، وقالت بحنق:

- «أوف حسناً لنذهب إلى هناك ونرى».

فرحت (منى) عندما ذهبت معها أمها لترى الأمر وشعرت بالانتصار.

ارتجفت قدما (منى) وهي تعود إلى الحديقة من جديد، بينما (جميلة) كانت تتمنى في أعماقها أن تكون ابنتها تتخيل وواهمة على أن تكون محقّة، فقد سئمت كل الأمور المتعلقة بالجنّ في هذا البيت المنحوس رغم جماله. وعندما وصلتا إلى الحديقة ووقفتا مباشرةً أمام الأرض المزروعة، وجدت التربة ساكنةً هادئةً كما يجب أن تكون.

تنهدت الأم براحة، بينما جحظت عينا (منى) بصدمة قالت على إثرها بقهر وصوتها يرتجف رغبة بالبكاء:



- «أقسم لك بأنها كانت تغلي».

قالت الأم براحة:

- «لا بأس إنها مخيلتك، ولكن لا تخبريني بخيالك وكأنه حقيقة فيصبح بذلك كذِبًا».

هتفت الصغيرة بقهر أكبر والدموع تجد طريقها على خديها :

- « ولكني لا أكذب».

انحنت (جميلة) عليها ومسحت بأطراف أصابعها دموع ابنتها الصغيرة وقالت برقة:

- «دعك من الأمر وهيا بنا.. سأكمل إعداد العشاء، هل ترغبين بمساعدتي؟»

همست (منى) بحزن وقالت:

- «امي اقسم لك بأن حديقة الطماطم كانت تغلي».

وهنا برق في ذهنها أمرًا، فقد كانت تغلي تمامًا كما كان يغلي حساء الطماطم.

هتفت لأُمها بأمل:

- «أمي أشعلي النار على الحساء، وسترين أن حديقة الطماطم ستغلي».

زفرت الأم في حنق وقالت:

- «يكفي (منى) سأعود إلى الداخل».

مشت (جميلة) بحنق متوجهة إلى داخل المنزل، نظرت (منى) بغضب نحو الحديقة وقالت لنفسها بِغُلٍّ:

- «إذن يا حديقة أنت غاضبة لأن أمي أخذت منك الطماطم، لماذا لا تظهرني غضبك أمامها إذن؟!»

سمعت حركة بين الأشجار فانتفضت بذعر، لتدرك بأنها وحدها من جديد في حديقة الرعب هذه، هنا وبدون تفكير ركضت بأقصى سرعتها إلى داخل المنزل، وهي تقسم بأن لا تعود وحدها مجدداً إلى تلك الحديقة المسكونة.

كانت الأسرة برغم ما يعترض سعادتهم من بعض المواقف المرعبة، سعداء في هذا البيت الجميل الواسع، كما أن والدهم قد وفر لهم سبل الراحة، ولكن من يحصل على المال ويجرب طعمه الحلو يسعى لمزيد من المال، وهذا ما فعله الوالد (أحمد) عندما قرر أن يوسع تجارته ويبنى محلات امتداداً لسلسلة محلاته التجارية التي ب(أبها)، وكانت السلسلة الجديدة ستكون في مدينة (جدة)، ولكن لماذا (جدة) بالذات؟! وهي بعيدة عن مدينة (أبها)، فالأخيرة تقع في المنطقة الجنوبية (منطقة عسير) بينما (جدة) على الساحل الغربي، وسبب ذلك أن إخوة (أحمد) الثلاث (ناصر) الأكبر و (حمود) و (عامر) يعيشون في (جدة) وكانوا يقدمون المساعدة لأخيه (أحمد) الذي هو الثاني في الترتيب، وذلك أيام العوز التي عاشها (أحمد) في الماضي، أما الآن بعدما أصبح ثرياً فقد فكر أن يوسع تجارته في مدينة نشطة ك(جدة)، وأيضاً ليعطي الفرصة لإخوته للارتقاء بحياتهم نحو الأفضل.

كانت دراسة الجدوى لمشروعه من قبل إخوته ناجحة، وهذا ما شجعه للذهاب، فاجتمع مع أفراد أسرته وأخبرهم بقراره، وعندما رأى التوتر في ملامحهم قال بركة:

- «لن نبقى إلى الأبد فأنا أعرف مدى راحتكم وسعادتكم في (أبها) البهية، إننا فقط سنبقى هناك لبضع سنين ربما ثلاث أو خمس سنوات فقط لأثبت جذور محلاتي هناك وبعد ذلك سأترك إدارتها لإخوتي ونعود إلى هنا، فأنا لا أخفيكم

برغم حبي لـ(جدة) التي ولدتم جميعًا فيها ، إلا أن قلبي متعلق بالجنوب الذي ولدت أنا فيه، وعشت طفولتي الجميلة في ربي هذه الأرض الخضراء».

وهكذا كان... استعدت الأسرة للانتقال إلى (جدة) في بداية الإجازة الصيفية حتى يبدأ الأبناء دراستهم مع بداية العام الدراسي الجديد، بعد أن يكونوا قد استقروا وتأقلموا هناك، في تلك المدينة التي هبطت وعاشت عليها أمنا (حواء) عندما أنزلها الله إلى الأرض.

وفي صباح يوم الخميس وبالتحديد الساعة التاسعة، استعدت الأسرة للرحيل بعد أن تناولوا الإفطار المكون من الشطائر، وعندما صعدوا جميعهم إلى السيارة، صاحت (منى) بجزع قائلة:

- «دميتي المفضلة نسيتهما على دراجتي في الحديقة».

قالت والدتها بدون اكتراث:

- «اتركيها سنشتري لك غيرها».

صاحت بفزع:

- «لا لا أريد غيرها».

نزلت مسرعة من السيارة واتجهت إلى والدها الذي كان يغلق باب المنزل وشرحت له الأمر، فأخبرها بهدوء:

- «حسنًا أحضريها بسرعة سأنتظرك».

انطلقت (منى) إلى الحديقة الخلفية التي طالما لعبت فيها، ووجدت دميتها على الدراجة فأخذتها واحتضنتها، ثم عادت على عقبها، لكنها سمعت تنهيدة حزن تبعتها نهنهة بكاء قادمة من جهة شجرة التين.

ارتجفت رَغْمًا عنها وركضت عائدة إلى والدها الذي أغلق الباب وأقفله
بالمفتاح، واتجهت السيارة إلى رحلتها متجهة إلى مدينة (جدة)، والبيت وراءهم
يصغر ويصغر..

كلما بعدوا أكثر فأكثر.

والجن بداخله سعادة لرحيل الأسرة من المنزل ولو مؤقتًا. ما عدا واحد ذرف
دموع الحزن على خديه.



2

شُرور الجن

من لا يرحبون بعودتهم.

من كرهوا رجوعهم جميعًا بعد أن تخلصوا

منهم عدة أعوامٍ ولهذا هم غاضبون ..

غاضبون جدًّا

العودة

تحكيها (منى)

عشتُ أيامًا لا تنسى في (جدة) التي عشقتها حتى النخاع، فالناس هناك منفتحون ومرحون، والمدينة في تطور مستمر وسريع، والتحضر يسيطر على أهلها والأجواء، كانت (جدة) في الماضي تستمر نحو التطور حتى أصبحت كالإسكندرية، وأي شخص مصري الجنسية كان يشعر بالسعادة إن سكن في (جدة) لأنها تذكره بالإسكندرية.

مرّت الأيام والسنين سريعة، فعندما غادرتُ (أبها) كنت في السادسة من عمري، والآن عدنا إليها بعد أن أسس والدي جذور تجارته وسلمها لعمي (ناصر) ليكمل إدارتها عنه، هناك تطورات كثيرة حدثت لنا في (جدة)، فأختي (فاتن) قد تزوجت ابن عمي (ناصر) وبقيت في (جدة) مع زوجها الذي تحبه، وعاشا معًا بسعادة.

أما (حسين) فقد تزوج صديقة أختي (فاتن) وتدعى (مها) التي نعرفها منذ أيام سكنا في (أبها)، أحبها كثيرًا فهي كالأخت لنا، وتعامل والديّ باحترام ومحبة.

عند عودتنا لـ(أبها) لم نسكن منزلنا القديم، بل سكنا في شقة صغيرة في عمارة تؤجر الشقق، وأخي (حسين) وزوجته (مها) يسكنان فوقنا، وذلك ليس لأن والدي قد باع بيتنا بل العكس، فقد اغتنى والدي كثيرًا وأصبحت ثروته بالملايين، وهذا جعله يفكر بتوسيع المنزل بحيث يصبح ثلاث ادوار جميلة وواسعة، لذا انتقلنا للسكن هنا في هذه الشقة حتى ينتهي البناء، مرت سنة كاملة ونحن في هذه الشقة الظرفية، وكنا قد بقينا من قبل في عروس البحر الأحمر عشر سنوات، وهكذا لم أدخل منزلنا القديم منذ إحدى عشرة سنة، أنا الآن لم أعد تلك الطفلة المدللة بل أصبحت في السابعة عشر من عمري، أي كبيرة كفاية لأفهم وألاحظ وأحلل، كنا سعداء في (جدة) ولكننا أيضًا سعداء هنا في (أبها) فقد اشتقنا إليها، واشتقنا



لمنزلنا القديم رغم شعور خفي بالخوف في داخلي، ولكن الشقة رغم صغرها بجانب البيت الفسيح إلا أننا أمضينا فيها فترة جميلة، فقد كان أخي (حسين) وزوجته نغم الجارئين، كنا وقت نهاية الأسبوع نخرج في رحلات إلى منطقة السودة الخضراء والجميلة، من الصباح الباكر وحتى غروب الشمس يصحبنا أخي (عبد الله) وزوجته (أسماء)، وابنهم (مهند) ذو الأعوام الست وأختها (سلمى) التي عمرها من عمري والتي تحضرها معنا لتتسلى برفقتي.

كان يوم الخميس يومًا جميلًا تباغت فيه السودة بأشجارها الخضراء، وأراضيها الزراعية التي انتشرت على شكل مُصطَبَات، أذكر ذلك اليوم فقد اتفقت معي (سلمى) على أن لا نرتدي بنطالًا كالعادة، بل تنورة طويلة، وبالفعل ارتديت تنورة سوداء واسعة فرنسية الصنع، عندما أدور تظهر ساقي البيضاوان الجميلتان، أما القميص فكان كذلك أسود من قماش الدانتيل، يظهر بشرتي الجميلة، كنت أدرك مدى جمالي، وأدرك أنني في ذلك اليوم كنت أزهو بربيع شبابي الغضّ كالزهرة التي أخذت تتفتح، كان خدائي مُوردين وعيناي البندقيتان الواسعتان تلمعان في صحة وسعادة، وشعري الطويل الكستنائي الفاتح والذي كان لونه متناقضًا مع سواد ثيابي يطير بخفة مع النسيمات الباردة المنعشة، كان المكان جميلًا جدًّا، والغيوم تنتشر في السماء وتتقابل وتتكاثر لتكون غيومًا كثيفة تعدنا بزخات المطر الجميلة.

كنت أتمشى أنا و(سلمى) فوق التلال، ثم دخلنا فتحةً بين جبلين كبيرين، لندخل بين صخور عملاقة في مكانٍ غريبٍ كأنه بقعةٌ أصابها مُذنبٌ، أو هبط فيها طبقٌ طائر، ليخلف دائرة ملساء تحوطها جبال من الصخور الملساء، لا أدري لماذا انتقيت تلك البقعة بالذات؟!

جلسنا هناك، وأثناء حديثها معي شعرت فجأةً بهواء ساخن يدور حولي، لا أعرف كيف أصفه؟ إنه شعور غريب وكأنه كيان ما يدور حولي، إحساس بنقص

الأكسجين غمرني، بينما (سلمى) مستمرة في الحديث مما يدل على أنها لا تشعر بما أشعر به.

قلت بضيق:

- «لنعد أدرأجنا المكان هنا مخيف».

أطاعني بدون نقاش وهكذا انتهت تلك الرحلة، وعندما كنت على سرير في الغرفة التي أشاركها مع أختي (سمية) في شقتنا الجديدة، شعرت بتنميل في أطراف أصابعي، وهنا برقت في ذهني حكاية قد سمعتها من قبل عن امرأة شعرت بتنميل في أطراف أصابعها، فأدركت بأنها مع بداية التباس من جيّ، فوضعت يدها على قلبها وقرأت آية الكرسي، وسلمت من الالتباس، لذا فعلت مثلها وضعت يدي على قلبي وقرأت آية الكرسي بخشوع ورجاء، اختفى التنميل فعلاً ورحل، كان عندي يقين بأنه جني، وليس سبب آخر.

لا تسألوني كيف عرفت؟ صدقاً لا أدري!

كنتُ أكاد أجزم بذلك، ربما القلب يشعر أحياناً بأن هناك أمر غريب وهذا ما شعرت به.

حصنت نفسي بأذكار النوم ونمت نومًا عميقًا.

في اليوم التالي أخبرنا والدي خبراً رائعاً، وهو أن منزلنا قد انتهى بناؤه وجاء وقت التأثيث، والخبر الأروع بأنه جعل الدور الأرضي مستقلاً به شقتان واحدة لـ(العبد الله) والثانية لأخي (حسين)، فرحت كثيراً فقد كنتُ أحب (أسماء) و(مها)، خاصةً (مها)، وكونها ستسكن في الأسفل وتكون جارتنا لهو أمرٌ ممتعٌ جداً.



زائرٌ من عالمٍ آخر

كانتُ تشعر بالحر في تلك الليلة، تقلبت (مها) على سريرها كالمحمومة رغم أنها ليست كذلك، كانت تشعر وكأنها مخنوقة، وفجأة شاهدت رجلاً شديد الوسامة، ذا بشرة بيضاء وملامح حادة، وكان له شعر كثيف وحريريٌّ أسود كالليل البهيم، كان يرتدي بنطالا وقميصاً، استغربت (مها) رؤيتها له فشعرت بشعور غريب، هو مزيج بين الذعر والخوف والرغبة، نظر نحوها الرجل الوسيم وقال بابتسامة صفراء:

- «ناديني باسمي آتيكِ سعيًا، أنا (غدفان)، فقط قولي (غدفان) أكون معك».

عندما أنهى جملته أخذ يحاول أن يقترب منها.

كادت تختنق لا تريده أن يقترب، شعرت بأنه ليس من الإنس، ليس من عالمنا، بل إنه من عالم آخر.

عالم الجن.

حاولت أن تذكر الله.

حاولت

وحاولت دون جدوى.

وفجأة وقبل أن يقترب أكثر استيقظت.

شهقت بقوة وأخذت تُسمّي، تلقّنت حولها لتدرك بأنها على سريرها تفرق في العرق، نظرت بدهشة نحو زوجها (حسين)، فوجدته ينام بكل راحة.

- «إنه نائم بوداعة وأنا التي كنت أختنق من الذعر، لقد كان كابوسًا.. أوف الحمد لله».

قالت ذلك في نفسها بدهشة ثم ذكرت اسم الله ونهضت من فراشها واتجهت إلى مهد ابنها (ماجد) فوجدته الآخر ينام بوداعة الأطفال، حمدت الله واتجهت نحو المطبخ لتشرب الماء بعد أن جف ريقها من الرعب.

كان الرواق مظلمًا، فاتجهت بخطوات مرتبكة حتى وصلت إلى مكان الثلاجة، وحسست عليها بيدها ثم فتحتها، فغمر ضوءها المكان بضوء شاحب، رفعت القارورة نحو فمها وقبل أن تشرب تجمدت مكانها وعيناها تكاد تخرجان من محجرهما، فهناك وعبر الضوء الشاحب كان يقف تمامًا عند الجدار المقابل لباب المطبخ، هناك شاهده.

..(غدفان)

الذي يرتدي البنطال..

الوسيم..

الذي جاءها في الحلم..

إنه هنا وحقيقي.

شعرت بضيق في صدرها، وبصعوبة في النطق وكأن ثورًا جثم على صدرها.

أخذت يدها الحاملة لقارورة الماء ترتجف.

وهي تشاهد الجني ينظر لها نظرات صفراء حادة.

ولكنها لا تحلم..

إنها في حالة صحو تام.



تذكر بأنها استيقظت من النوم فعلاً..

أيعقل بأنها في حلم داخل حلم؟

كم تمنّت..

فجأةً فتح فمه وبدون أن تتحرك شفاته سمعت صوته الرخيم يقول:

- «ناديني.. ناديني.. ناديني..»

وعند هذا الحد تملكها الجزع، فتمردت حنجرتها على حالة العجز، فانطلق صوتها صارخاً بجزع قائلة:

- «حسييييين.. بسم الله».

قوة صراخها جعلت (حسين) يستيقظ مذعوراً، وقفز من سريره يهرع نحو مصدر صوتها، وكان الجني قد اختفى بعد أن ذكرت اسم الله، وعندما وصل (حسين) ارتخت قدمها فتلقاها بذراعيه، وسقطت القارورة من يدها.

نظر (حسين) بجزع نحو زوجته الجميلة بعينيها النجلاءين واللتين شخصتا نظرها نحو سقف المطبخ، وقال بجزع:

- «(مها) حبيبتي ماذا حصل لك؟ لا إله إلا الله».

أخذ القارورة من الأرض ورشها على وجهها فأفاقت بجزع، وعندها فقط ارتمت على صدره وأخذت تجهش بالبكاء.

لم يعرف كيف يتصرف وهو لا يدرك ما بزوجته!

حملها بذراعيه القويتين ووضعها على سريرها، ثم أضاء ضوء الإنارة الخافت بجوار سريرها (الأباجورة).

نظر نحوها بمحبة كبيرة، وهمس حتى لا يستيقظ ابنهما قائلاً:

- «حبيبتي ما بك؟ أخبريني أرجوك».

نظرت نحوه بذعر وهي لا تصدق بأنها هنا في أمان مع زوجها، كان ريقها قد جف وهي لم تشرب الماء بعد، أشارت إلى حلقها، فنهض (حسين) قائلاً:

- «سأحضر لك الماء».

وهنا هتفت رغباً عنها بخوف:

- «لا .. أنا بخير .. لا أريد أن أشرب، فقط ابق جواري».

كاد أن يقتله القلق فقال بتوتر:

- «ما بالك؟ تبدين كمن شاهد عفريناً».

نظرت نحوه بصدمة وقالت بلهفة:

- «وكيف عرفت؟»

نظر نحوها بتعجب وقال:

- «هل أنت جادة؟ كانت مجرد كلمة».

هزت راسها بعنف وقالت والدموع تترقق في عينيها بحيث ألجمت لسان (حسين) وهي تقول بهلع:

- «بل إنه حقيقة.. اسمع ما حصل معي».

حكّت له الحلم وما حصل بعده وعندما انتهت كان (حسين) يفكر بقهر وهو يتخيل جنياً يطالب زوجته بمناداته، ضمها إلى صدره وقال بصوت يبعث به الطمأنينة إلى نفسها:



- «لا تجزعي يا حبيبتي.. أنت مؤمنة ولا تتركين فرضاً من صلاتك، هذه الأمور تحدث، فقد رأيت مثلها في الماضي، فقط أكثر من الذكر وستكونين بخير، فالله معنا ثم أنا بجوارك يا غاليتي».

شعرت بدفء صدره وكلماته فما كان منها إلا أن تهدأ نفسها وتنام في حضن زوجها ولسانها يلهج بذكر الله.

وهي تمني نفسها بأنها بعد أسبوع لن تكون في هذه الشقة التي رأت فيها الجني. أسبوع وتنتقل إلى البيت الكبير الأيمن.

دون أن تعرف أن قرار عودتهم قد فتح عليهم بوابة الجحيم.

فتحت بوابة بين العالمين.

عالم الإنس وعالم الجن.

وقد جن جنونهم.



استقبال حافل

عندما استيقظت (جميلة) من النوم كانت تشعر بالألام تغمر جسدها، وكأنها قادمة من معركة، فقد شاهدت كوابيس بشعة طوال الليل.

وهذا جعلها متكدرة خاطر، ولكن عندما أخبرها زوجها بأن تذهب معه للسوق لاختيار الأثاث الجديد نسيت كل شيء، وانشغلت حتى النخاع طوال الأسبوع في الاختيار، كان الجميع مشغولاً باختيار غرف النوم والآرائك، والأجهزة الالكترونية حتى جاء اليوم الموعد.

كانت الفرحة لا تسعهم وهم ينتظرون اللحظة التي يدخلون فيها المنزل الأثير الذي غابوا عنه عشر سنوات، وحتى السنة الأخيرة التي قضوها في نفس المدينة، لم يسمح (أحمد) لزوجته وأبنائه الذهاب هناك، لأنه مليء بالعمال كما أنه أرادها مفاجأة لهم.

وكان له هذا .. فما إن أطل عليهم المنزل من بعيد حتى شهق كل من شاهده داخل السيارة لجماله.

كأنه منزل آخر قد نشأ بدل القديم وليس امتداداً له، ذلك أن العمران قد تطور فكان البيت مكوناً من ثلاثة طوابق ذا واجهة زجاجية، فالنوافذ الزجاجية الواسعة تصدرت واجهة المنزل للمجالس الأمامية، وانتهى سقف البيت بقبة مغطاة بزجاج ملون ذي نوع خاص ومنيع ضد الكسر، منظر جعل من المنزل الشعبي المهجور المجاور للبيت كقطعة خردة بجوار هذا الصرح المهيب.

أما الحديقة فقد زينت ببلاط طويّ اللون وأصبحت أجمل من السابق بكثير، لأن مصمم حدائق قد وضع لمساته الفنية عليها بعد أن هجر المنزل لسنين، أما



سطح المنزل فُجْهز بطريقة رائعة إذ غُطِّي نصفه لمنع أشعة الشمس القوية، لأن المقاعد الجلدية قد انتشرت أسفل الغطاء.

هذه التفاصيل لم تدرك بعد لأنهم شاهدوا الجمال الخارجي فقط.

ترجلوا من السيارة وأعينهم مركزة على البيت الجميل، فتح والدهم الباب فدخلوا الحديقة الأمامية، والتي كانت عبارة عن أربعة أمتار فقط مزينة ببلاط فاخر، فالجمال كله في الحديقة الخلفية، وصلوا إلى بوابة الفيلا، وعندما دخلوا بهرهم جمال البهو والذوق الذي زينه.

كان (حسين) و (مها) يتطلعان بشوق إلى شقتهما في هذا الدور الأرضي، شعر (أحمد) بابه فقال بابتسامة فرحة:

- «والآن يا (عبد الله) و (حسين) الشقة اليمنى لك يا (حسين) واليسرى لك يا (عبد الله) هذه هديتي لكما، وأنتما عليكما تأثيثها على حسب ذوقيكما».

اندفعا يقبلان رأس والدهما الطيب الكريم وكلهما سعادة بحصولهما على بيتٍ مِلْك، وإن كان شقة إلا أنها واسعة.

وهكذا اتجهت باقي الأسرة إلى الدور العلوي.

الدور الثاني كان مخصّصًا للعائلة ينقسم إلى جهتين، جهة خاصة بغرفة المعيشة والمطبخ، وغرفة النوم الرئيسية، كانت جناحًا كاملاً للوالدين، وأيضاً مجلس نسائي صغير ومجلس نسائي كبير.

القسم الثاني الذي يتصل بالقسم الأول يَبْهُو تعلوه قبة المنزل الزجاجية، تنتشر فيه الكراسي ذات طابع إنكليزي ويقود إلى قسم مخصص لغرف النوم، غرفة فسيحة وحمام ل(منى) و (سمية) وغرفة ل (عبير) وغرفة الخادمة، ثم في قسم جانبي يوجد به غرفة (فيصل) الذي سيغادرهم ليكمل دراسته الجامعية في (جدة) بعد أسبوع فقط.

أما الطابق الثالث فهو بأكمله مخصص للضيوف، مجالس استقبال للرجال، وجناح خاص لنوم الضيوف بالإضافة إلى مخزن، وجزء كبير منه كان سطحاً للمنزل الذي كان له نصيب كبير من الجمال كجزء مرتفع من حديقة المنزل الخلفية الساحرة.

بيت جميل وفخم، لم تصبر الأسرة بل انطلقت لتنظيفه وترتيب بعض حاجياتهم وشعور بالحماس والفرحة يغمرهم.

واخيراً بعد يوم صاحب اتجهت الأسرة إلى النوم، لم تكن غرفة (منى) و(سمية) مؤثثة بعد؛ لأن غرف النوم لم ينته تجهيزها، لذا قامتا بفرش مراتبٍ على أرضية الغرفة ذات السجاد السميك الرمادي اللون.

كانت النافذة مفتوحة لترسل نسيماً عليلاً تفخر مدينة (أبها) بل كل المنطقة الجنوبية على امتلاك مثله، وبعد منتصف الليل تنأى إلى مسمع (منى) خطوات حذاء رجل، فتحت عينيها وهي تُنصت السمع، فإذا بالفعل هناك أصوات أقدام تسير على سطح المنزل، ابتلعت ريقها ومدت يدها المرتجفة نحو اختها (سمية)، هزتها لتوقظها فردت بكسل قائلة:

- «أوووه ماذا هناك ؟ دعيني أنام».

هتفت بها (منى) بصوت هامس ومرتجف:

- «(سميبيية) هناك لص على سطح المنزل».

انتفضت (سمية) وجلست مذعورة وهي تهتف قائلة :

- «ماذاااا؟»

ردت اختها بخفوت:

- «أشششش أنصت»



أنصتت (سمية) سمعها فإذا بها تسمع الخطوات نفسها التي سمعتها اختها، ولكن فجأة أخذت الخطوات بالجري ثم تبعها صوت خطوات أخرى تلحق بها ولكنها ويا للدهشة كانت الخطوات تعود لحذاء نسائي ذي كعب عال، كان ذلك واضحاً من وقع الخطوات، التفتت الأختان لبعضهما في دهشةٍ ولسان حالهما يتساءل عن سبب وجود امرأة مع لص، فهذه ستكون سابقة من نوعها! ولكن (منى) شعرت بأنه أمر غير مريح، ولكنها لم تمهل نفسها فرصة لتحلل وتفكر، بل همست لأختها بأن عليهما أن يخبرا والدهما حالاً.

خرجتا من غرفتهما وإذا بهما تريان خيالاً يقف في الممر، صرختا بفزع، ولكن الخيال كان يصرخ بدوره وهنا أدركتا بأنه يعود لأختهما (عبير)، التي خرجت بدورها من غرفتها مذعورةً بعد أن سمعت اصوات الأقدام تسير فوق سطح غرفتها، همست (منى) قائلة:

- «وإن كان سار فوق غرفتك ثم أكمل الطريق فوق غرفتنا فهذا نهاية الطريق فأين سيذهب؟ أضيفاً بأنه قد سار أولاً فوق غرفة (فيصل)».

ولم تنته جملتها إلا و(فيصل) يخرج من غرفته بعد أن سمع أصواتهن، هتف بهن متسائلاً:

- «مالذي تفعلنه في هذا الوقت؟»

ردت (سمية) بتساؤل:

- «ألم تسمع أي صوت؟»

قال بصوت مرتجف:

- «بلى سمعت أقداماً تسير فوق غرفتي، ولكنني ظننت بأنها لکن، ثم سمعت أصواتكن هنا».

هتفت (عبير) بعجلة:

- «لا ليس نحن، هيا لنخبر والدي بسرعة قبل أن يهاجمنا اللص أو يسرقنا».

انطلق الجميع نحو غرفة والدهم وبدون أن يطرقوا الباب فتحوه بعنوة، مما جعل والدهم ينتفض هلعاً، وقبل أن ينطق بكلمة سمع مائة كلمة في الدقيقة جعلته يهتف بصرامة:

- «كفى!».

صمت الجميع والذعر ينعكس على أعينهم، ثم تكلم والدهم في حلق قائلاً:

- «ليتكلم شخص واحد.. أنت يا (سمية)».

ابتلعت ريقها وقالت بعجلة:

- «هناك لص أو لصان فوق سطح المنزل».

فتح والدهم عينيه في دهشة وقال:

- «ما هذا الهراء؟!»

هتف الجميع يقسمون بأنهم سمعوا صوتاً على سطح المنزل.

ترجل والدهم من سريره، وأمهم ترتجف في هلع وهي ترى زوجها يتجه إلى المطبخ ليحمل سكيناً كبيراً في يده (ساطوراً) تحسباً لأيّ طارئ.

حملت (منى) سكيناً هي الأخرى وهي تقول لوالدها بشجاعة:

- «لن أدعك وحدك».

هتف بها والدها مؤثباً:



- «عودي إلى الورا».

هتفت بعناد :

- «لا .. سأذهب معك، ثم أخوأي سيلحقان بنا ف(فيصل) يتصل عليهما الآن».

زفر والدها بحنق:

- «لا توقظوهما من نومهما لا أحد يدافع عن منزلي أفضل مني».

أدركت (منى) بأن الذي يحرك والدها الآن ليس فقط الشجاعة بل العناد والكبرياء اللذان يتحلّى بهما والدها.

صعدا السلم الذي يقود للدور الثالث والمخصص للضيافة، ومنه يصلان إلى سطح المنزل، الذي يحتل نصف المنزل فقط فوق غرف النوم، مشت خطوات (أحمد) وابنته التي ورثت العناد منه (منى) و(فيصل) و(حسين) و(عبد الله) الكل كان يسير بحذر، وخيال اللصوص في الطابق العلوي وهم يسرقون يتراءى لهم في مخيلتهم.

فتح (أحمد) الباب بحذر والظلام يحجب الرؤيا أمامه، مد يده لمكبس الضوء فَعَمِر الضوء المكان الذي كان هادئاً للغاية.

ابتلعت (منى) ريقها وهي تخشى أن يكون صمت المقابر هذا الذي يسبق انفتاح بوابة الجحيم، همس والدها لها ولـ (حسين) بأن يتجها غرباً وعبد الله و(فيصل) شرقاً.

وبخطوات رغم خوفها سارت بهمة بجوار والدها وهي تعي بأنها قادرة على مواجهة الخطر بهمة وشجاعة كالرجال، ولكن لا شيء في الجناح الذي يبحثان فيه، فقد كان خالياً تماماً، وهنا خَمَّنَا بأن الجناح الشرقي به اللصوص، اتجهت خطواتهما بسرعة جهة الجناح الشرقي ليجدا (عبد الله) و (فيصل) بدورهما

عائدين أدرجهما لينضما لوالديهما في الجناح الغربي، تبادلوا النظرات فسأل (أحمد) ابنه (عبد الله):

- «ألم تجد شيئاً؟».

رد ابنه بحيرة:

- «لا .. ولا انتم؟»

- «ولا نحن».

همست (منى):

- «إذن لا زال اللص على سطح المنزل».

اتجهوا جميعهم بحذر نحو باب سطح المنزل وفتح (أحمد) بحذر، ولكنه أصدر أزيزاً مسموعاً رغم حذره، فأغمض عينيه بقهر لخشيته أن يهرب اللص بعد سماع الصوت ويفسد عليه عنصر المفاجأة، فيجعله عبء لمن لا يعتبر.

ساروا جميعهم على سطح المنزل وأمامهم لا شيء، ولكن لو استداروا إلى الجهة الغربية لعلهم يقبضون على اللص، أسرعوا خطاهم وهالهم ما رأوا.

لا شيء.

لا شيء على الإطلاق.

هتفا (منى) و(فيصل) بجزع في وقت واحد قائلان:

- «ريما هرب».

اتجها بعد هتافهما نحو سور المنزل ليريا إن كان اللص لازال معلقاً بالحبال أو سلم حديدي أو أي شيء ساعده على الصعود إلى سطح المنزل في البداية، ولكن



الحقيقة التي اتضحت أمامهما هو أنه لا يمكن أن يتسلق لص مهما كانت براعته هذا المنزل الضخم، فالأسوار العالية جداً، كلها محاطة بأسلاك شائكة، بالإضافة إلى علو المنزل، فإن استعص على لص الدخول إلى حديقة المنزل فبالأحرى سيستحيل عليه الصعود إلى أعلاه، وهنا وقف والدهما وقال بغضب:

- «كيف نسيت بأن بيتي لا يمكن للص أن يسرقه؟ تبّاً لكما لقد أيقظتما مضجعي».

وفتحت بوابة الجحيم بعد صمت المقابر من الوالد الغاضب على أبنائه لخيالهم الواسع، فلا وجود للصوص في بيته، وبعد وابل محترم من الدم والشتم والتوبيخ، عاد كلٌّ إلى فراشه لينام.



ابن الجن

في غرفة (منى) أخذت تنظر إلى الظلال التي تنعكس على سقف الغرفة بفعل ضوء القمر مع قمم اشجار الحديقة، وهي تفكر بحيرة ترجمها لسانها عندما قالت ل(سمية):

- «لقد سمعت صوت الأقدام مثلي وكذلك (عبير) و (فيصل)؛ وذلك لأن سطح المنزل فوق غرفنا».

ردّت (سمية) بخفوتٍ وهي تفكر:

- «نعم سمعناه نحن الأربع، ولا يمكن أن نتخيل أمرًا واحدًا وبنفس دقة الوصف، أقدام رجل تلحق به امرأة».

تنهدت (منى) وقالت بحيرة:

- «ولكن المنزل بالفعل لا يمكن اختراقه، لقد رأيت على السطح بنفسي، لم أكن قد انتبهت لأسوار المنزل عند قدومنا، ولكن بعد تدقيقي لها فهي تجعل منزلنا أشبه بالحصن، فإذن من هما صاحباً تلك الأقدام؟».

قالت (سمية) بتوتر:

- «ربما الجان».

ارتعشت (منى) وهي تنصت ل(سمية) التي أكملت قائلة بخفوت:

- «لطالما عرفنا بأن منزلنا مسكون، ولكننا لم نتدمر من ذلك فالمواقف المخيفة كانت تحدث على فترات متباعدة، ولا أخفيك بأنها كانت تضفي جواً من



الإثارة، ربما نظرنا للأمر وقتها على هذا النحو بحكم أننا كنا مراقبين، وأنتِ طفلة لا يهتمها سوى اللعب، ولكن الآن بما أنني أصبحت في الثالثة والعشرين، هنا أنظر للوضع بشكل آخر».

همست (منى) مذكرة:

- «ولكنني مراهة الآن ولا أشعر بالإثارة، بل بالتوتر».

همست (سمية) تحلل الموقف:

- «ذلك لأننا توترنا جميعاً، ووصل الأمر إلى أبي ولذا انتقل التوتر إليك من أجوائنا ومشاعرنا، أما في الماضي فقد كنا نخاف سوياً، وبعد ذلك نشعر بالإثارة لوجود قصة مخيفة نحكيها لزملائنا، كنتِ وإخوتي متقاربين في العمر وكنا مراقبين صغاراً، ولكنك يا عزيزتي تعيشين الآن وسط أعمار مختلفة عنك، قد نضجتِ وهكذا ستنضجين قبل أوانك على ما أعتقد».

أخذت (منى) تحلل كلام أختها ثم قالت:

- «أظن لا تفسير لما حدث اليوم سوى أنهم الجن، رجل ركض وتبعته امرأة، هل كانا يتغازلان؟»

ضحكتنا على الأمر كدعابة وكأنهما لم تخافا منذ لحظات، فجأة قالت (منى) متسائلة:

- «ولكن أن يحدث هذا في أول ليلة لنا بعد غياب سنين أشعر بأن ذلك كثير».

عقبت (سمية) ساخرة:

- «لعلهم يرحبون بنا».

ابتسمت (منى) بتوتر وقالت:

- «لا أظنه ترحيباً ، عجيب أنك تأخذين الأمر بسخرية».

ابتسمت (سمية) وقالت بيقين:

- «أنا لا أخاف شيئاً طالما أحافظ على ذكر الله».

همست (منى) بمحبة لخالقها وقالت:

- «ونعم بالله، تصبحين على خير».

- «تصبحين على خير»

غرقت (سمية) في نومٍ سريع وكأن الأحداث التي مرت لم تكن، أما (منى) فكانت ترى أمام عينيها المغمضتين شريط حياتها وهي طفلة في هذا المنزل، وكلمات (سمية) تتردد في ذهنها بأن المنزل مسكون.

غابت في النوم وفي حلمها سمعت صوت شاب يغطيه الظلام يقول لها:

- «كنت أجري بلهفة لأتي إليك وأنت نائمة، ولكن ابنة الوزير لحقت بي».

انتفضت من نومها فزعة وهي تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كان حلمًا ولكنه بدا حقيقياً أصابها برعشة نخرت عظامها، سحبت فراشها وقربته من أختها (سمية) والتصقت بها وحاولت النوم بعد أن قرأت آية الكرسي والمعوذات الثلاث، سور (الإخلاص، والناس والفلق) وبعد برهة غابت في النوم وبدون أحلام..

وبدون جان.

في اليوم التالي انشغل أفراد الأسرة بترتيب حاجياتهم، و(منى) أيضاً، كانت سعيدة بمساعدة أمها تارةً وزوجة أخيها (مها) تارةً أخرى، ولكن هذا ليس معناه



أنها نسيت ما جرى في الأمس، ذلك الصوت الذي سمعته على سطح المنزل، وذلك الشاب في المنام الواقف في الظل، يقول لها كنت قادمًا إليك.

تنهدت بتعب قائلة:

- «أوووه يا له من شعور مزعج».

لذا قررت أن تشغل نفسها وقد نجحت في هذا أخيراً، فجأة سمعت صوت المطرب (خالد عبد الرحمن) يصل إليها من مسجل غرفتها قائلاً:

صدقيني قلبي يحكي لك حقيقة

صدقيني ما أرى غيرك ملاك

ولأجل وصلك بتخذ أي طريقة

ما أبالي لو طريقي لك هلاك

ذهبت إلى غرفتها متعجبة من صوت الغناء المنطلق من المسجل بدون وجود أحد عنده، وتساءلت من الذي شغل هذه الأغنية (سمية) لا تستمع لأغاني (خالد عبد الرحمن)، وهذا الشريط يخصها هي.

أطفال المسجل وعادت لتعاود عملها، وبعد منتصف الليل أوت إلى فراشها، واستلقت على ظهرها وعيناها تحدقان في سقف الغرفة، كانت تتذكر تلك الأقدام التي جرت بالأمس واخذت تتساءل هل حقاً بيتهم مسكون؟

الجواب أكيد أنه مسكون، ولكن السؤال الأهم هو هل بقاؤهم معاً في بيت واحد خطير؟ هل بإمكانهم التعايش معاً دون أن يؤذيهم الجن؟

اخذ الكرى يداعب عينيها وبدا النوم يتسلل إليهما، نظرت من تحت أهدابها نحو باب غرفتها وقالت في نفسها :

- «لا يزال الباب مواربًا، لا لأنه مفتوح على مصراعيه، يا إلهي النعاس شديد وأنا لا أحب النوم والباب مفتوح، أشعر وكأن العالم يراني، ولكن لا أستطيع النهوض، كم أنا ثقيلة».

لم تكن هناك إضاءة إلا بصيص ضوء القمر من القبة الزجاجية أعلى الردهة التي تخللها بضوء فضي جميل.

تساءلت (منى) في أعماقها بحيرة:

- «ما هذا الضباب القادم من الممر؟».

ابتسمت في كسل وهي لا تتخيل الضباب يتسرب من القبة الزجاجية المنيعة.

وهنا انتبهت حواسها كلها، فما يحدث غير منطقي، ضباب داخل البيت وفي فصل الربيع كيف!

انتفض قلبها في صدرها، وهي ترى الضباب يزداد كثافة ليخرج من الردهة ويدخل غرفتها هي وأختها الغارقة في النوم، ومن بين الضباب كان يمشي لا بل يطفو بكل خفة!

شعرت بالضيق في صدرها، كانت لا تستطيع رؤية ملامحه، فالضوء الخفيف خلفه جعل وجهه يكسوه الظلام، كان يقترب وهي تشعر بالفرع.

صرخ عقلها رغماً عنها قائلاً:

- «من أنت؟ كيف دخلت؟ ماذا تريد؟»

كانت كالمشلولة والذعر قد تملكها، وسؤالها في أعماقها لم يخرج من بنت شفيتها، فعلمت أن لا إجابة عن تساؤلاتها لتسفي فضولها، ولكن الطامة كانت في ذلك الصوت الذي انسب كالحرير إلى عقلها قائلاً بصوت أجش وهو يقترب منها أكثر:



- «أنا هو الذي أنتظر ك طوال سنين، أنا من تحدى عشيرته لأجلك، أنا من نبض قلبه بحبك منذ كنت طفلة، أنا من كان يرافك في الحديقة حينما كنت تلعبين، أنا ابن الجن الذي وطأته أمك بقدمها ولكنه شفي من جراحه ولا يريد بكم سوءاً، فأنت حبيبتي».

ارتجفت أوصالها وهي تراه يتعدى عتبة الباب ويتجه نحوها، فشعرت بالخوف والذعر والتوجس، حاولت جاهدة أن تتنفس..

أن تتكلم...

أن تذكر اسم الله.

ولكن دون جدوى وكأنها تتخبط غرقاً في مياه مستنقع، أرادت بشدة الخروج منه.

مدت يدها بصعوبة في محاولة يائسة منها لتلمس كف أختها، حاولت وحاولت..

وهو يقترب أكثر فأكثر.

جحظت عيناها عندما شاهدته واقفاً عند قدميها في اللحظة التي لمست يدها كف أختها صاحبة النوم الخفيف، تحركت من مكانها متململة وصوتها العذب يتسلل كالشهد في اذنيها وهي تقول:

- «تباً لك.. أبعدي يدك عني».

كلماتها كانت كالأمل بالنسبة ل(منى) ولكنها لا تكفي، فقد أرادت أن تستيقظ وتنتقذها، لذا لمست كفها بشكل أقوى، وهي تشاهد في هلع الطيف يجثو على ركبتيه ووجهه يقترب من أصابع قدميها، في اللحظة التي شددت يد أختها بأقصى ما استطاعت من قوة، فهبت (سمية) جالسة وهي تصرخ بحلق:

- «يا مزعجة».

انتفض جسمها وكأن القيود التي حبسته قد تحررت منه، واختفى الطيف فجأة، وفتحت عينيها التي لم تكن تدرك بأنهما مغمضتين، تنفست بعمق فنظرت (سمية) نحوها بقلق وهي تشاهد العرق يبلل أختها، فاقتربت منها وقالت باهتمام:

- «(منى) هل أنت بخير؟»

التفتت (منى) نحو الباب الموارب والذي لم يكن مفتوحًا كما رآته منذ لحظات، ولم يكن هناك ضباب، والأهم لا وجود للطيف.

نظرت نحو (سمية) بحيرة وخوف، ثم قالت بصوت مُهتز أحباله من الذعر:

- «لا، مجرد كابوس، ولكنه بدا لي حقيقة».

انحنى أختها المتدنية فوقها وقرأت عليها المعوذات ونفثتها على رأسها، وقالت لها:

- «اقرئي آية الكرسي والمعوذات بخشوع، ولن يصيبك مكروه بإذن الله».

هزت (منى) رأسها ممثلة لأوامرها ثم قالت بحرج:

- «وهل تسمحين لي بأن التصق بك كالبارحة؟».

ابتسمت (سمية) بعدوبة وقالت بضجر اصطناعي:

- «كان الله في عوني، التصقي بي يا عزيزتي التصقي، فأنتِ ألصق من اللصق نفسه».

ضحكت (منى) من تعليقها ثم التصقت بها وقرأت المعوذات، وحاولت أن تنام حتى نجحت أخيرًا.



دون أن تدرك بأنه من فتحة الباب الموارب كانت هناك عينان تحققان بها
وتتوعدانها بزيارة جديدة.



3

حضور الجان

عندما يحضرون يحولون

أحلامك إلى كوابيس..

لهم مكائد ومنها أن يمسوك ويتلبسوك

فيكون هنا حضورهم دائماً.



أنا بك عالق

وصل الأثاث أخيراً واجتمع النسوة في غرفة الجلوس ليتسنى للعمال تركيب غرف النوم، كنَّ متحمساتٍ ليرين غرفهن، وعندما أعلن لهن (فيصل) بأن الغرف جاهزة والعمال قد رحلوا، انطلقن في سعادة ليرين النتيجة.

لم تصدق (منى) نفسها فقد كانت غرفتها جميلة بحق بلون أثاثها الأسود الذي بدا متناقضاً مع لون الجدران الوردية والبيضاء، بينما الأرضية رمادية اللون، انشغلن طوال اليوم في ترتيب فرشهن وثيابهن ولم تشعر (منى) بالوقت، وعند الثالثة بعد منتصف الليل آوت هي و(سمية) إلى سريريهما منهكتين بعد أن أنهتا كل شيء تقريباً.

غطت في نوم عميق من شدة الإنهاك، رأت نفسها تسير في ممرات الدور العلوي، وحدها في الظلام الحالك، كانت تشعر بالوحدة وبالهدوء، لا أحد معها ولكنها متأكدة بأن عشرات الأعين تنظر إليها، وصلت إلى غرفة نوم الضيوف.

لا تدري لماذا وجب عليها أن تفتحها؟

أمسكت بمقبض الباب وأدارته، صوت صريه المزعج فُتَّت أعصابها، كانت الغرفة مظلمة جداً، ومن نافذتها تسلل ضوء القمر ليضيئها بضوء شاحب، وهناك شاهدت امرأة توليها ظهرها، انقبض صدرها وشعرت (منى) بالضيق، رغبت بأن تستدير وتهرب ولكنها لم تقو على ذلك، كانت تلك المرأة ترتدي ثوباً طويلاً أسود، وشعرها أسود طويل اتحد مع سواد ثوبها حتى بالكاد ميزت أنه شعرها، شيء في تلك المرأة لم يكن مريحاً، ثم من هي؟ وكيف دخلت بينهم هكذا؟ وقبل أن تفكر وتتساءل أكثر التفتت المرأة نحوها، التفتت برأسها فقط دون جسدها الذي بقي مولياً ظهره، فحفظت عينا (منى) وهي تشاهد وجهها

الرمادي وعينيها البيضاوين الجاحظتين، ووجهها بدون فم ومع ذلك خرج صوتها كفحيح الأفعى غاضباً متوعداً وهي تقول لها:

- «عليك غضبي إن لمسك، تباً لك إنه لي، فهمت إنه ليبيبي».

قالتها وفتحت فمها الذي لم يكن له وجود من قبل، فمٌ فتحت ليتسع ويتسع ليخفي كل ملامح وجهها، وكأنه بئر عميق سيبتلع (منى)، وصوت صرختها الحاد الغاضب يملأ الغرفة ويبدد سكون الليل، لينتفض جسد (منى) فتستيقظ من نومها بذعر وفزع، لتقع عيناها على سقف غرفتها، وهناك شاهدته معلقاً كالبرص فوقها مباشرةً، رجلاً أبيض جميلاً، شعره بني، وعيناها مسحوبتان لوزيتان واسعتان وورصاصيتان، يرتدي عباءة سوداء، شهقت فزعةً لمرآه في اللحظة التي قفز فوقها، وهنا شعرت بضربة قوية على صدرها وكان هناك من لكمها، شهقت بقوة وشعرت بأنها مكبلت تماماً على سريرها، لم ترَ شيئاً، كان قد اختفى، إنها تشعر بأنها واعية، أطرافها مخدرة وكان هناك من يشكها بالدبوس، كانت تشعر بتيارٍ من الكهرباء يسير في عروقها، جلدها يحترق، عظامها ترتجف، تنميل يمر على كامل جسدها وكأن ناراً تسري فيه، لم تستطع أن تفكر فقد خدر الألم عقلها، ولسانها ثقيل ثقيل.

تساءلت:

أهذا وهم أم حقيقة؟

هل أحلم؟

وغابت في النوم وكأنها كانت تهذي.

كأنها كانت منفصلة عن الواقع.

وهناك في عالم اللاعالم رأت تلك المرأة من جديد، رأتها تقف في الحديقة تحت شجرة التين وهي تضع يدها على جذع الشجرة و تبكي، كانت (منى) تسير في



الحديقة بتعب، فساقها تؤلمانها ورأسها ثقيل، وهُنا التفتت نحوها المرأة المتشحة بالسواد، وقالت بغضب شديد والدموع تبلل وجهها الرمادي:

- «عليك اللعنة أيتها الإنسية، لقد مسّك، لقد مسّك، سأصّبُ عليكِ غضبي، تبّاً لك، تبّاً».

تأوهت (منى) وأخذت تتقلب على سريرها الجديد بتعب، رأت بأنها تجري في حديقة المنزل تهرب من تلك المرأة المخيفة، فجأة رأت شاباً جميلاً أبيض الشعر، رصاصي العينين، يرتدي ثوباً أسود مطرزاً بالذهب، كان منهك القوى ووجهه ينطق بالسعادة، تقدم نحوها فأجفلت، ولكنه استمر بتقدمه وأصبح وجهه مقابل وجهها، كان وجهه بشرياً، ولكنها شعرت بشيء غريب نحوه فنظراته لها غريبة، وإحساس بالثقل جثم على قلبها تشعر به من جراء نظراته، لم تقوَ على التنفس، قرب وجهه من وجهها فرأت عينيهِ الرصاصيتين تنطقان حبّاً، وهنا ضمها بقوة إلى صدره ضمة قوية، وسمعت صوته كالهمس يقول:

منذ صباي وقلبي لكِ خافق

آن وصالنا فأنا عشقك القادم

رمى شهاب حبك الخارق

عليّ فسرْتُ عبدك الخادم

معك للموت فأنا بك عالق

فتحت عينيها بتعب ونور الشمس يضايقها، تشعر بالآلام في جسدها، ما هذه الكوابيس الغريبة؟ والكلمات الأغرب؟

تقلبت في فراشها واستطاعت أخيراً أن تنام ساعتين بدون أحلام مزعجة، عندما نهضت لم تكن مرتاحة، كانت تشعر بالتعب، سألتها (عير) بقلق:

- «ما بالك؟ هناك هالات سوداء تحت عينيك.. تبدين متعبة».

تنهدت (منى) بتعب وقالت وهي تشعر بصداق خفيف:

- «لم أنم جيداً البارحة، وأشعر بالأرق والتعب».

ردت عليها (عبير) بحنان:

- «إذن اذهبي وارتاحي قليلاً».

فكرت (منى) بأنها فكرة معقولة، اتجهت إلى غرفتها واستلقت على سريرها، تاركة الباب موارباً ليصل إليها ضوء الممر، كانت أختها (سمية) تستحم في حمامها الخاص المقابل لغرفتهما، هنا أخذت تتذكر ذلك الرجل وتلك المرأة، أخذت نبضات قلبها تتصاعد وكلماتها عندما قالت لها: «أيتها الإنسانية» تتردد في أذنها، ما معنى ذلك؟ أنها من الجن، ولكن هذا مجرد كابوس؛ لأنها تأثرت بما مروا به من أحداث وليس واقع، إلا أن هذا لم يمنع الخوف من أن يتسلل إلى قلبها، ويجعلها تمد يدها إلى الطاولة المجاورة لسريرها (كومود)، وتفتح الدرج وتأخذ المصحف الشريف منه، وأخذت تقرأ بعض آيات الذكر الحكيم، ولكن نعاساً ثقيلاً منعها من أن تكمل القراءة فسقط المصحف على وجهها وغطت في النوم.

شيء يجبرها أن تستيقظ وتلتفت نحو الباب، أو بالأصح جهة منضدة الزينة المجاورة للباب، والتي تخص أختها (سمية)، رغبة أقوى منها جعلتها تفتح عينها وتبعد المصحف وتنظر إلى منضدة الزينة تحت الضوء القادم من الممر، رأت ظهر والجانب الأيمن لأختها (سمية)، وهي ترتدي منامتها الأرجوانية وتسرح بالفرشاة شعرها المبلول بعد أن أنهت حمامها.

ولكن مهلاً، لماذا (سمية) تبدو شفافةً هكذا؟

هنا التفتت (سمية) نحوها برأسها فقط بينما الجسد ثابت.



إنها لا تشبه سمية.

ف(سمية) لا يبدو وجهها رماديًا، وله عروق بارزة هكذا.

كانت تلك المرأة أو الشيء المتشبه ب(سمية) يمتلك عينيْن جاحظتين، يظهر عليهما بوضوح عروقهما الحمراء، ولذلك الوجه عروق رصاصية منتفخة تملؤه، وفم مائل مشوه، وجه قبيح وكأنه للموتى الأحياء (زومبي)، والأقبح منه هو ذلك الصوت النشاز الحاد كصوت القرد، والذي خرج منه حينما قالت تلك المرأة المتشبه بأختها عندما حاولت (منى) في ضيق أن تشيح بوجهها عنها:

- «انظري إلي... انظري إلي».

تقول ذلك وهي تهز برأسها ليقترّب أكثر، وكأنه سينفصل عن ذلك الجسد. وقطرات الماء تتناثر منه.

أمسكت (منى) في ذعر المصحف بكلتا يديها المرتجفتين، وضمتته على وجهها وشيء خفيّ ساعدها على أن تغط في النوم، حتى لا ترى ذلك المسخ، وبعد لحظات غمر الضوء المكان.

تأوهت بانزعاج، فهتفت (سمية) بحرج:

- «أووّه أنت هنا؟ لم أكن أعرف بأنك نائمة».

رمشت (منى) بعينها وهي تبعد المصحف لترى أختها تقف والمنشفة على رأسها، بعد أن أنهت استحمامها، وهي ترتدي منامة زهرية اللون، وهنا جحظت عيناها والذكرى تعود إلى رأسها فجأة لتهتف قائلة:

- «أنت لم تكوني هنا منذ لحظات بمنامتك الأرجوانية؟»

هزت (سمية) رأسها بحيرة وقالت:

- «لا ما هذا السؤال لم أفهم؟»

مطّت (منى) شفّتها وهي تشعر بالغباء على سؤالها، كيف يعقل أن تكون تلك المسخ أختها؟! هتفت بحيرة وهي تعتدل جالسة وتقول:

- «ولكن، أكان حلمًا؟»

هتفت أختها بتوتر:

- «ماذا؟ لم أفهم عن ماذا تتكلمين؟»

اقشعر بدن (سمية) وصمتت تفكر للحظات، ولكنها فتحت عينيها وهتفت فجأة وهي تقفز جهة خزانة شابها قائلة:

- «منامتي المفضلة».

أخذت تقلب بين ثيابها وتبحث، و (منى) تتابعها بترقب ولكن لا شيء.

نظرتا نحو بعضهما البعض بذعر وعدم تصديق و(سمية) تقول بصدمة:

- «ليست موجودة».

قالت (منى) بصوت مضطرب:

- «ر.. رب.. ربما في الغسيل».

هزت (سمية) رأسها بعنف وقالت بهمس:

- «مستحيل، فقد وضعتها بنفسي اليوم في الخزانة بعد أن أنهت الخادمة كيه، وأنا متأكدة وأقسم على ذلك».

اتسعت عينا (منى) بصدمة، وقالت بصوت مختنق:



- «ما معنى هذا؟»

قالت (سمية) بثقة وعيناها تنظران لأختها:

- «لم يكن حلمًا، لقد استعارت تلك الجنية قميصي، ولا أدري متى ستعيده إلي، إن الجن يستعيرون أغراض الإنس أحيانًا، لذا نفقدها ثم نجدتها فجأة، وهذا ما حدث معنا».

ارتعدت أوصال (منى) من تلك المعلومة، ليس لأن الجنية استعارت قميص أختها، بل لأن ما حدث كان حقيقة وليس حلمًا كما تخيلت.

وهنا سؤال ضج في عقلها حتى كاد أن ينفجر رأسها.

ترى هل كل ما رأيته وسمعته حتى الآن كان حقيقة أيضاً؟

هل هذه الجنية هي نفس تلك الجنية؟

وهل هناك جني في الموضوع؟

شعرت بأنها ستجن.

وبأنها تتخبط ما بين الواقع والخيال.

انتهى تأنيث وترتيب البيت تمامًا، وبدأ تحفة فنية ومثالاً للذوق الرفيع، وهذا أمر كان يفتخر به كل أبناء (أحمد عبد الله) و(عبير)، كانت تجد متعة خاصة في سطح المنزل، رغم جمال الحديقة إلا أنها كانت تستمتع بجمال الديكور الذي يتمتع به سطح المنزل، فالحديقة العلوية في نظرها أمتع وأجمل؛ لأنها مرتفعة ومن الأعلى تستطيع أن تشرف على الحي بأكمله، والجبال التي تحتضن المنطقة في دفء ومحبة، فمدينة (أبها) تتمتع بطبيعة خلابة، وسطح المنزل يوفر لها مطلقاً جميلاً، ولكنها لا تقضي وقتها الخاص به في فترة العصر كأختها (سمية) و(منى)، بل إن وقتها المفضل هو الليل، فالجبال مهيبة بشدة سوادها فتبدو

كالظلال العملاقة المهيمنة على الحي، والبيوت جميلة بأضوائها، والسماء ساحرة بقطع الماس المتناثرة عليها، فالنجوم هنا تراها واضحة صافية، وليس كما في مدينة (جدة) ضبابية بسبب دخان المصانع.

استنشقت الهواء بعمق، فالهواء صافٍ ونقيٍّ ومعتدل أقرب للبرودة، ففصل الربيع المعتدل به لذعة برودة منعشة ولذيذة.

أخذت تمشي وهي تمسك في يدها مسجل صغير وسماعاته في أذنيها تنقل لها صوت (طلال مداح) قائلاً:

قصت ضفايرها ودريت

البارحة جاني خبر

البارحة جاني خبر

أدري البست خاتم عقيق

وتقرا لها كتاب عتيق

كتاب وأظنه شعر

خيال شيء أسود مر بسرعة أمامها في الهواء، شهقت والتفتت بسرعة نحو الخيال ثم اطفأت المسجل.

الصمت بعد أن كان الصوت الشجي لطلال يؤنس وحدتها، كم هي وحيدة في سكون الليل، رأت الخيال من جديد يطير في الهواء، شهقت من جديد وهي ترى شيئاً أسود يرفرف أمامها ويهبط على السور، نظرت نحوه فإذا به خفاش أسود (وطواط).

ابتسمت في توتر وهي تفكر:



- «إذن مصاص دماء صغير جاء يؤنس وحدتي، آآه لقد أفزعني».

كان ينظر إليها بالمعنى الحرفي للكلمة، عيناه في عينيها، عيناه الحمراءوان كلون الدم.

نبضات قلبها تتسارع، لا تدري لماذا تشعر بالخوف، فعيناه تأسرناها وكأنها عينا مخلوق عاقل وليس طائر أو حيوان، مخلوق يعي ما يفعل، ويقصدها بتلك النظرات ويتوعدها بها، إنها تشعر بالخوف من عينيه، قلبها يرتجف بين ضلوعها. اختفى.

فانتفض قلبها من صدرها وشعرت به في حلقها .

- «تباً أين ذهب آآآه».

صرخت بألم وهي تشعر بوخزة في إصبع قدمها الكبير (إبهامها) البارز من فتحة صندلها.

نظرت إلى الأسفل لترى الخفاش مصاص الدماء الصغير عند قدمها، وأنياه مغروسة في إصبعها، والأدهى من هذا هو رأسه الصغير المرفوع لفوق نحوها، وعيناه اللتان تنظران نحوها بنظرة مأكرة منتصرة فتت عظامها.

نظرة جعلت الدماء تختفي من عروقها، فتلك النظرة أزعبتها وكانت أشد الماً من عضته، وفي لحظة سريعة صرخت فزعّت وركلته، ولكنه لم يطر أو يسقط، بل ببساطة اختفى.

نعم اختفى وكأنها ركلت الهواء.

جثت على الأرض تمسك بيد قدمها، ويدها الأخرى على قلبها الذي يجاهد لكي لا يقفز من صدرها، كانت ترتجف رعباً، وقالت بهمس هلع:

- «بسم الله ما هذا؟! أي وطواط هذا الذي رأيته؟ اللعين عضني وهرب بسرعة وكأنه وجد من العدم آه».

جرت نفسها جراً لتعود للمنزل وتضمّد جرحها.

حكّت لأختيها ما حدث ولم تحكّ لوالدتها لكي لا تقلق عليها، داعبها الجميع بأنه السيد دراكولا قد عضها، وأنها ستتحول إلى مصاصة دماء بعد منتصف الليل، وقررتا أن تضا الثوم على باب غرفتيهما حتى لا تفترسهما وهما نائمتين.

أخذتا تضحكان وهي تصرخ بهما تارةً بسخط وتارةً مداعبة وتارةً تصمت بخوف وتقول:

- «أقسم بأنه وطواط غريب، لعله بالفعل دراكولا! لا تضحكا تباً لكما».

وعندما آوت إلى فراشها ليلاً كانت قدمها ساخنةً كالجمر، وتيار كهرباء يسير في عظمة ساقها، شعرت بوخز إبرة في إبهام قدمها، لم تتم جيداً في تلك الليلة، وفي اليوم التالي لم تتحول إلى مصاصة دماء طبعاً، ولكن هالات سوداء ارتسمت تحت عينيها من الأرق.

أخذت تساعد أمها في أعمال المنزل وهي تعرج، والتعب يلم بجسدها الذي لم يعد كما كان من قبل.

وعندما حان وقت النوم اتجهت إلى غرفتها منهكة القوى، ترغب بشدة أن تستلقي على سريرها وتنعم بنوم هادئ، علّه يستطيع أن يمتص التعب من جسدها المنهك بلا سبب، خلعت ثيابها فلمعت بشرتها الناصعة البياض كقالب الثلج، فقد كانت بشرتها الأنصع بياضاً من بين اخواتها، حينها اقشعر بدنّها وكان هواء شديد البرودة لفحها، مما جعلها ترتدي منامتها بسرعة، واستلقت على سريرها وتدنّرت بلحافها، وأطفا ضوء المصباح المجاور لها، وأغمضت عينيها، بدأ جسدها يغوص في فراشها الوثير.



طاقة كهربائية تلامس وجهها.

حقل مغناطيسي انتشر في غرفتها ولامس وجهها قبل أن تغيب في عالم النوم، مما جعلها تفتح عينها بدهشة لترى ما هذه الشحنات الغريبة التي مست وجهها وجعلت بشرتها ترتجف؟ وعندما فعلت هالها ما رأت.

فهناك أمامها بمسافة مترين يقف رجل كهل، وجهه المجعد شديد البياض، له لحية طويلة تصل لمنتصف صدره بيضاء كالثلج، ويرتدي ثوبًا أبيض وغرة بيضاء.

ارتجفت وهي ترى هذا الشيخ أمامها والذي قال لها بصوت هادئ عميق وكأنه قادم من بئر سحيق:

- «انت الفتاة الطيبة، أنت المختارة».

ارتجفت (عبير) وتصبّب العرق البارد منها حتى بللها، لم تكن تقوى على الحركة، ولسانها كان ثقیلاً وكأن الحقل المغناطيسي قد جثم على صدرها، وكبل حركتها، وعقلها تحت هول ما رأت لم يستوعب أو يفهم وكأنه قد أصيب بالشلل هو الآخر.

استطرد بهدوء:

- «لا تخبري أحدًا بأنك المختارة من بينهم فتذهب الميزة عنك».

بدا عقلها يحاول أن يفهم، أن يتمرد على حال البلادة التي وقع فيها فأخذ يتساءل أي ميزة؟

حاول لسانها جاهداً أن يترجم ما يدور في فكرها فخرجت حروفها ثقيلة بطيئة، وصوتها غليظ مرتجف، لم تعرفه أذناها حينما سمعت صوتها الغريب وهي تقول متسائلة:

- «أي .. أي ... م... ميزة؟»

قال الكهل بصوته العميق:

- «ميزة الحكمة والعلم، فيدك ستكون مباركة، وستعالجين الناس، فأنت المختارة».

بصعوبة نطقت متسائلة:

- «من؟ من أنت؟»

بهدهوء وبنظرات رصينة أجابها:

- «أنا ملاكُ الحكمة».

بدأت الرؤيا تخفت وصوته يبعد، والشحنات الكهربائية تخف، وفجأةً اختفى كل شيء، وطفى جسمها بارتياح وكأنه كان مشدوداً على سريرها وآن له أن يرتاح.

وعاد كل شيء إلى وضعه ما عدا قلب وفكر (غير) اللذين كانا مشدوهين بما رأت وسمعت، وأخذت تفكر وقلبها ينبض بجنون:

هل هذا حقاً ملاك؟

هل رآته بالفعل؟

ومن هي لتراه؟!

يا إلهي ما كل هذا؟!

هل هذا حقيقي؟!

وعليها أن لا تخبر أحداً، ولكن كيف ستسكت عن أمر غريب كهذا؟!



ما الذي يحدث لها؟

هتفت في أعماقها بتعب:

- «يا إلهي أكاد أجن؟»

غطت وجهها بلحافها وحاولت ان تمام لتنسى ما رآته، شعرت في تلك اللحظة بثقل في قدمها، وكأن تياراً كهربائياً يسري فيها، ولكن الشعور كان لدقائق فقط ثم اختفى، فاستطاعت بعد ذلك أن تنام بسلام.



الشوكة السوداء

كانت (جميلة) تشعر بالضيق لحال ابنتها (عبير)، فهي أصبحت شاردة الذهن وتتعب بسرعة لأبسط مجهود تقوم به، وكلما سألتها علّت ذلك بعدم قدرتها التعود على النوم في غرفتها الجديدة.

- «هراء! متى ستعتادين عليها إذ ستكملين الأسبوع؟».

هتفت (جميلة) بتلك العبارة بسخط وهي تتجه خارجة من المطبخ، سألتها (عبير) في فتور وهي تعد لنفسها كوب شاي:

- «إلى أين؟»

قالت بملل:

- «إلى الحديقة، فهناك أجد سعادتي».

قالتها وانصرفت، فابتسمت (عبير) وهي تدرك بأن أمها تعشق الزراعة والأرض، وتجد نفسها مشدودة للتربة السوداء الطينية، ورائحة المطر والأعشاب والبذور وكل ما يخص الزراعة، وعندما تزرع أمها نبتة ما، أو شجرة تكون تلك الشجرة ثمرة وتعمر سنين طويلة، وكأن البركة قد حلت عليها لأن اليد التي زرعها قد غمرتها بكل الحب والرعاية، فتولاها الله بالحفظ والبركة.

زفرت (جميلة) فأخرجت التوتر الذي في صدرها على ابنتها، ليخرج منها ويتبعثر مع نسمات الهواء المنعش الذي أخذ يداعب وجهها، فأنساها همومها.

ألاكم تعشق هذه الحديقة، أخذت تتبختر في الحديقة الخلفية التي بقيت جميلة كما هي رغم البناء الذي حدث للمنزل، إلا أن الحديقة سلمت من الدمار، بل إن زوجها الحبيب بعد أن أنهى البناء ولى الحديقة اهتمامه فأضاف لها



أحواض زرع جديدة، وجعل البستاني الذي كان يعتني بها طول فترة غيابهم يزرع زهوراً جديدة، ويضع سياجاً جديداً، بالإضافة إلى طاولة وكراسي من الخيزران المصنوع يدوياً، وضعت تحت شجرة التفاح الأخضر، مما جعلها تقضي أمتع الأوقات وهي تشرب الشاي مع زوجها، ويقطفان النفاح الأخضر الصغير الحجم والذي اشتهرت به منطقة الجنوب، وياكلانه بشهية.

أخذت تفتح صندوق المعدات الزراعية، والذي تضعه دائماً أسفل كرمة العنب، وأخذت منه المنجل واتجهت إلى شجرتها المفضلة، شجرة التين العملاقة.

كم عمر هذه الشجرة؟

إنها بعمر هذا البيت، قد غرستها منذ بدأ زوجها يبني هذا البيت، وأخذت تنمو وتكبر، وعندما سكنوا هذا المنزل كانت الشجرة قد أصبحت كبيرة وجميلة، ولكنها الآن صارت عملاقة وخلابة تزدهو بحجمها وهيمنتها على الحديقة الخضراء، وثمار التين فيها معلقة كالأجراس تشبع كل من في المنزل، فأبناؤها سكان الطابق الأرضي يتسللون لهذه الحديقة من أبواب مطابخهم الخلفية، ليأكلوا الثمار الحلوة كالعسل، وهي وبناتها يأتين من الأعلى بشوق ليقطفن الثمار الجميلة وينعمن بخيرات الأرض.

حقاً إنها تحب الأرض المنتجة وتحب أرض الجنوب بجمالها وجوها الساحر. أخذت تدندن بصوتها العذب لحناً جنوبياً لشاعر الواديين:

يقولون إني جاهل ما أدري

ولا حد درى وايش في صدري

على الله ما بي من أشجانٍ

ومن يطلب الله يسمع له

أخذت تهذب شجرة التين بكل الحب وهي مستمرة في دندنتها، ولكن ما هذا؟! قالتها بدهشة وهي ترى شوكة سوداء تبرز من جذع الشجرة.

تساءلت في حيرة كيف يعقل هذا؟!

فشجرة التين غير شوكية، ولو كانت كذلك فهي لم ترَ في حياتها شوكة سوداء كذلك، فبالعادة النباتات تكون لها أشواك خضراء أو بنية اللون أو رمادية، ولكن سوداء كالقطران لهو أمر عجيب.

اقتربت أكثر من تلك الشوكة العجيبة وأخذت تتحسسها بإصبعها، فوجدت أنها قاسية كالصخر، حاولت أن تكسرهما بيدها و...

آآآآ...

نقطة دم حمراء لونت إصبع يدها بلون أحمر قاتم، بعد أن شكتها الشوكة في إصبع سبابتها اليمنى.

وضعت إصبعها في فمها ساخطة ونظرت للشوكة التي اصطبغ سوادها بحمرة دمها، عاتبت نفسها لأنها لم تستخدم المقص بدل يدها، والآن عليها أن تعقم جرحها قبل أن يتلوث، إلا أنها قبل أن تفعل عليها أن تزيل تلك الشوكة الضارة التي شوهت جمال شجرتها المفضلة.

وبغضب أمسكت بمقصها وقصت تلك الشوكة التي ويا لدهشتها أصبحت رقيقة طرية، وكأنها غصن البان، إذ قُصّت بكل سهولة، وعندما رأتها تتهادى في الهواء نحو الأرض لتسقط وجدتها قبل أن تصل إليها قد اختفت، فركت عينيها جيداً وبحث عنها فلم تجدها، كانت ترغب أن تريها ابنها (عبد الله)، فصديقه مهندس زراعي، ربما سيتعرف على نوع هذا الشوك الذي قد يكون نوعاً ضاراً يظهر فجأة على الأشجار، إنها المرة الأولى التي ترى أمراً كهذا يحدث لشجرة التين، فوجود أشواك عليها أمر غريب ومحير.



وضعت المعدات الزراعية مكانها وشعرت فجأة بخدر يسري في ذراعها الأيمن، فأصيبت بالذعر وقالت في نفسها بهلع:

- «يا إلهي هل تكون تلك الشوكة سامة وأصابتي بسوء؟»

هرولت عائدة للطابق العلوي لتضمد جرحها، ولكنها قبل أن تفعل عرجت على شقة ابنها البكر (عبد الله)، طرقت الباب وعندما فتحه هاله مرأى التوتر على وجه والدته، حكّت له ما حصل معها، وكيف أنها تخشى أن تكون الشوكة سامة فهي تشعر بالخدر والحرارة تسري في يدها، لم يهمل (عبد الله) الموضوع بل إنه ركض للطابق العلوي وهتف بـ(عبير) لتحضر عباءة والدته ثم، اتجه بعجلة لبحضر مفاتيح سيارته، رآته (أسماء) فهتفت بقلق المرأى زوجها وحماقتها على هذا الحال من الهلع:

- «ما بالكما؟»

قال (عبد الله) بتوتر:

- «أصابت أمي شوكة، ربما تكون سامة فيدها مخدرة، علينا أن نسرع».

شهقت (أسماء) ووضعت يدها على فمها بذعر.

خرج (عبد الله) وتوجه بوالدته لأقرب مستشفى، كانت الأخيرة تشعر بسوط من نار يسري في لحمها، لم تكن تتخيل أن تكون نهايتها بسبب شجرتها الحبيبة، يا للسخرية، ماتت بسبب شجرة التين، ماذا سيقول الناس في مآتمها؟ ماتت بسبب عشقها للزراعة؟ هل ستكون شهيدة التين؟ يا له من مسمى! ثم لماذا وصل ذهنها لهذه المرحلة؟ للتفتاءل خيراً إن شاء الله.

وصلا للمستشفى وحكّت ما حصل لها للطبيب، وبعد الفحص وتحليل الدم كانت النتيجة، لا شيء، سليمة تماماً.

هتفت بدهشة:

- «إذن ما سبب هذا الألم أيها الطبيب؟»

قلب شفتيه بحيرة، ثم طأطأ رأسه وقال بعد برهة:

- «لعله الخوف من المجهول، فتلك الشوكة مجهولة المصدر بالنسبة لك، ولدتُ عندك انطباعاً سيئاً، وردّة فعل عنيفة جعلت جسمك يستجيب لنفسيتك ومشاعرك، فيرسل عقلك أوامر لجسمك بالألم وكانك أصبت بالتسمم فعلاً».

لم تفهم كلمة كلمة مما قاله، فهي وإن كانت تعرف القراءة والكتابة بسبب ذهابها لمدرسة محو الامية، إلا أنها ليست مثقفة وتفهم تلك الطلاسم العجيبة التي تفوه بها هذا الطبيب المتحذلق، فقالت بتذمر:

- «يعني ماذا بالعربي؟»

ضحك بخفوت وقال:

- «أظنه حالة نفسية فقط، فنتائجك سليمة».

شعرت بالغضب، فنظرت بغيظ نحو ابنها (عبد الله) الذي ابتسم بحنان ووضع يده على كتف والدته، وقال برقة:

- «خوفك من التسمم جعل الألم يغزو جسمك، المهم أنك سليمة معافاة والحمد لله، وهذا هو المهم».

أخذت تفكر بأن معه حق وهذا هو المهم، لن تموت بسبب شجرتها الحبيبة وتترك زوجها الغالي وعائلتها الحبيبة وحديقتها الأثيرة.

ستعود إلى منزلها وتشبع عينيها بابنها (فيصل) الذي سيسافر إلى (جدة) للدراسة الجامعية بعد ثلاث ساعات.



اتجهت إلى المنزل مع ابنها في سيارته وقالت بارتياح:
 - «إذن أنا سليمة ولم أصب بالتهاب أو بالتسمم الحمد لله».
 صحيح أنها لم تصب بالتسمم الذي نعرفه في عالمنا.
 ولكنها أصيبت بتسمم من نوع آخر.
 نوع هو أشد ضراوة وفتكاً.



ليلة حالكة السواد

- «ناديني (غدفااان)».

فتحت (مها) عينيها، هل كانت تتوهم؟

أم أنها سمعت صوته يناديها؟

ابتعلت ريقها ونهضت من سريرها وذهبت إلى غرفة ابنها (ماجد) المجاورة لغرفتها، كان نائماً بوداعة، قبلته برقة وذهبت إلى المطبخ، لقد جفاها النوم فصنعت لنفسها كوب حليب بالعسل، وذهبت إلى غرفة الجلوس وشغلت التلفاز لتجد فلماً أجنبياً، وأخذت تتابعه بتركيز إذ أخذت أحداثه تجذب انتباهها، فجأةً خيال شخص مر بسرعة أمام الباب.

هتفت بدهشة:

- «(حسين)».

تساءلت هل استيقظ زوجها؟

نهضت واتجهت إلى الممر ونظرت فلم تجد أحد، سارت في الممر حتى وصلت إلى غرفة نومها، وهناك شعرت بقطعة زجاج مزقت قلبها، فأمامها وعلى سريرها الزوجي مباشرة. كان (حسين) نائماً، تماماً كما تركته منذ نصف ساعة.

ارتجفت خطواتها وعادت إلى الورا، ونظرت نهاية الممر حتى وصلت نظراتها إلى المطبخ وضوء الشفاط المعلق فوق الفرن يضيء المطبخ بضوء خافت، ابتلعت ريقها بصوت مسموع وفكرت:

هل (حسين) نهض ونظر نحوها ثم عاد لينام، ولكن بهذه السرعة عاد ليغط في



نوم عميق، مستحيل أن يكون (حسين)!

إذن هل هو لص؟

هل توقظ زوجها؟ ولكن ماذا إن كان البيت خاليًا حينها ستخرج أمام زوجها بعد أن تكون قد أقلقت منامه.

لماذا تشعر أن من نظر إليها منذ برهة ومر بسرعة ليس آدميًا وقد اتجه نحو المطبخ.

قررت أن تذهب وحدها لترى من هناك، وهي على ثقة بأن لا أحد هناك، فهذا المنزل سيفقدها صوابها، أليست منذ يومين قد سمعت صوت سقوط المقلاة على أرض المطبخ وعندما ذهبت هناك لم تجد شيئًا قد تحرك من مكانه.

استجمعت شجاعته وبخطى مرتجفة سارت نحو المطبخ..

وصلت ثم دخلت، لم تجد أحدًا.

فزفرت زفرة أخرجت كل توترها وخوفها، ثم دارت على عقبيها لتعود أدراجها وتتابع فلمها، وحينما فعلت اصطدم وجهها بوجه (غدفان)، ذلك الجني الذي رآته في الشقة التي عاشت فيها قبل أن تنتقل إلى هذا البيت.

نعم (غدفان) بشعره الأسود اللامع.

كان وجهه ملتصقًا في وجهها، مما جعلها تشهق ذعرًا لترتد إلى الوراء وتسقط أرضًا، والذعر يشل رجليها عن الحركة، كان واقفًا أمامها بهيئة رجل وسيم، ولكنه ليس كيائنًا ماديًا مكتملًا، إذ كان شفافًا يبدو ما وراءه واضحًا، فباب المطبخ تكاد تراه من خلفه، ولكنها لا تستطيع بلوغه إذ يفصل بينها وبينه جني يدعى (غدفان).

أخذ يطفو ويتقدم نحوها وكأنه يسبح في الهواء، زحفت إلى الوراء وصوتها قد

انقطع تماماً فلم تقدر على الصراخ أو الكلام، وقلبها يكاد يتوقف من الذعر، سمعته بدون أن يفتح فمه وهو يقول:

- «ناديني (غدفااااا)، آتيك سعيًا، ناديني (غدفان)، (غدفان)، (غدفان)».

شعرت برأسها سينفجر من اسمه الذي كرهته (غدفان)، كم تكره هذا الاسم، أرادت أن يختفي.

أرادت أن تذكر اسم الله لينجدها من هذا الكيان الشيطاني.

ولكن للأسف لم تقدر على ذلك فالرعب شلّ لسانها، قال لها وابتسامة صفراء ترسم على شفتيه:

- «تريدين أن أرحل، إذن ناديني، قولي (غدفان)».

فكرت إن كان هذا ما يريد وبعد ذلك سيتركني حسنًا فليكن.

حاولت ولكن لسانها ثقيل، حاولت وحاولت فخرجت الحروف ثقيلة:

- «غـ.. غـ..»

بترقب في عينيه وبلهفة في صوته قال:

- «نعم قوليه، (غدفاااا)، (غدفااا)».

في عقلها قالت:

- «تباً لك، أعرف أنك (غدفان) لا أستطيع أن أنطقها».

وفجأة وفي لمح البصر طار جسده وأصبح وجهه أمام وجهها مباشرة، فشهقت بقوة والدموع تخرج من عينيها بذعر من هول ما يحدث لها.

صرخ بها بقوة وصرامة قائلاً:



- «(غدفااااان)».

صرخت بفزع وهلع

- «(غدفااااااان)».

كُرّة هواء ساخنة دخلت فمها فشعرت بالحرارة في صدرها مما أفقدها الوعي، فسقطت على ظهرها وغابت عن العالم.

لم تعرف (مها) كم من الوقت بقيت مستلقية على أرض المطبخ، ولكنها تتذكر كالوهم أنها نهضت وأخذت تمشي مترنحة كالثملة، حتى وصلت إلى سريرها، وهناك ألقت بنفسها عليه ونامت كالجثة الهامدة، متعبة منهكة القوى، وكأن شاحنة ارتطمت في وجهها، بينما التلفاز لا يزال يعرض الفلم المثير الذي لم تر نهايته.

في الأيام اللاحقة كانت تشعر بالألم في حلقها، وذكرى ما فعله (غدفان) بها لا تفارقها، أخذت تفكر بشكل محموم بمعنى صراخه في وجهها والهواء الحار الذي شعرت به في حلقها، فهي متأكدة بأنها لم تكن تحلم، فكرت بأنه ربما يكون ضربه في حلقها ليؤذيها ولكن لماذا يفعل؟

هل يرغب أن ينتقم منها ؟ ولكنها لم تؤذ أحداً في حياتها.

تذكرت القصص التي تسمعتها عن الجن من أن من يسكب ماءً حاراً بدون أن يذكر اسم الله قد يكون حرق جني فينتقم منه، وهكذا، لذا وبرغم أننا لا نراهم ولا ذنب لنا فعلينا أن نذكر اسم الله دوماً، وهي كذلك بالفعل فذكر الله دائماً على لسانها، فهي لا تتوقع بأنها قد أنت أي جني، ولكن لماذا تحسبه من الجن؟

مطت شفتيها بسخرية وقالت بصوت مسموع:

- «أؤكد من الجن فإذا لم يكن من الإنس فهو أيضاً يستحيل أن يكون من



الملائكة».

في تلك اللحظة بالذات سمعت صوت صرخة ولدها (ماجد) قادمة من غرفته. فزت من مكانها وأخذت تجري حتى صارت في لحظة داخلها، نظرت نحوه مذعورة وهي تشاهده جالسًا في سلة الألعاب المخصصة للأطفال لحمايتهم؛ فيلمبون دون أن يتجولوا في المنزل، فتبحث الأم عنهم.

وهناك رأيته خائفًا وهو ممسكٌ بدبه القطني، فسألته بلهفة الأم:

- «ما بك يا حبيب ماما لماذا تصرخ؟»

اشار باصبعه إلى نقطة امامه وقال بصوت خائف وبلهجته الطفولية:

- «ماما كرد كرد يكفز زميعهم يكفزون يخيفونني أنا خائف، لا احب كرد لا أحبه يخيفني».

نظرت (مها) للجهة التي يشير لها طفلها بذعر وهي لا ترى ما يراه، ولكنها فهمت لهجته فقالت له بتوتر:

- «هل ترى قروذًا يا (مجدود) حبيبي؟ صحيح».

قال خائفًا:

- «ماما أنا خائف كرود كبيحة».

نظرت حيث أشار وقلبها يكاد يشق صدرها من الخوف، وقالت بصوت مضطرب خرج خشنًا:

- «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

هتف (ماجد) بسعادة طفولية:



- «هيبه كروو بح راااحت».

تنهدت براحة لاختفاء القروود واحتضنت ابنها، وذهبت به إلى غرفة الجلوس وهي تقسم بأنها لن تترك فلذة كبدها وصغيرها وحده بعد اليوم، فها هو قد رأى قرووداً تتقافز أمامه، من يدري ربما ظهر له (غدفان) وآذاه في حلقه، كما حدث معها.

شعرت بحرارة في حلقها فمدت يدها نحو رقبتها وأمسكت بها، وهي تعاتب نفسها إذ أنها ذات شخصية قوية ومؤمنة، كيف تسمح لنفسها بالخوف؟

ما كان عليها أن تجعله يرهبها فتلبي رغبته وتنادي اسمه (غدفان)، ألاكم تكره هذا الاسم، والأدهى من هذا أنها نادت به في لحظة ذعر، ولكن -أليست هي من حاولت مناداته حتى يتركها ويرحل! ولكنه بدلاً من رحليه ضربها.

فجأة شعرت بالحرارة تسري من رقبتها وتنزل إلى معدتها، فشعرت بألم مفاجئ في بطنها، تأوّهت وهي تمسك على بطنها حتى سكن الألم.

مسحت العرق من جبينها وهي تشعر بأنها لم تعد بخير منذ لقائها (بغدفان) في المطبخ، وتساءلت بخوف شديد:

ترى ماذا فعل بي؟!

بقي سؤالها بدون جواب.

صرخة ألم مزقت سكون الليل، فز (أحمد) من نومه على أثر تلك الصيحة انطلقت من حنجرة زوجته (جميلة) بذعر، وأضاء المصباح المجاور لسريه ونظر نحوها فوجدها تمسك رأسها بكفتي يديها وهي تصيح من ألم الصداع الذي سيفجر رأسها، أمسك كتفيها وهتف بها بلوعة:

- «ما بك؟»

هتفت بصوت لاهث بالـ:

- «صداااع.. ألم لا أقدر على احتماله، أشعر بأن الدم يغلي في رأسي ودماعي يذوب».

ذاب قلبه ألماً عليها فأخرج قرصين اسبرين من درج الطاولة المجاورة لسريه (كومود)، ناولهما زوجته وشرّبها الماء من قارورته الخاصة به.

أخذت تبكي بهستيرية وهي تشعر من شدة الألم وكأنه سيودي بحياتها.
عندما رأي بكاءها قال لها برجاء:

- «سيعمل المسكن، ولكن البكاء سيزيد وضعك سوءاً، أرجوك تحملي للحظات حتى يسري مفعوله».

حاولت أن تهدأ ووضعت رأسها على صدره، وعضت على شفيتها، صبرت لخمس دقائق ولكن يافوخ رأسها يكاد ينفصل من شدة الألم، إنها تشعر وكأنه سينفصل فعلاً، حينها هتفت قائلة وصوت بكائها يقطع نياط القلوب:

- «ما عُدت أقوى على الاحتمال، أشعر بأنني سأموت».

انتفض قلب (أحمد) بين ضلوعه وقال بتوتر:

- «سأخذك للمستشفى».

ولكنه قبل أن يفعل وبشكل عفوي أملاه عليه قلبه المؤمن الذي يؤمن بأن الشافي هو الله قبل كل شيء، وأن في القرآن شفاء للناس، همس لها بركة:

- «ولكن لأقرأ عليك أولاً لعل الله يشفيك فتحتملي الطريق إلى المستشفى».

لم تنبس ببنت شفة فهي لم تقوَ اصلاً على الكلام.



أمسك رأسها بيده جاعلاً يده اليمنى كالمخلب على رأسها، وأخذ يقرأ بصوت شجي وبيقين وطمأنينة:

قرأ آيات من الذكر الحكيم وآية الكرسي وسورة الفاتحة والمعوذات الثلاث، الإخلاص والفلق والناس، ونفث عليها ثم قال بحنان:

- «والآن سأحضر عباؤك ولنذهب إلى المستشفى».

ولكنها لم تجبه، أبعداها عن صدره لينظر إلى وجهها، وهنا تفاجأ لمرأها نائمة في وداعة كالأطفال، همس بحيرة:

- «ج.. (جميلة) هل أنت بخير؟ ألا ترغبين الذهاب إلى المستشفى؟»

لم تجبه فقد كانت بالفعل تغط في النوم، وكأن الألم انسل منها ورحل فجأة، تبسم برقة وقال بيقين:

- «الحمد لله الشافي والمعافي».

أدرك بأن عليه تركها تهناً بنومها وبسكون ألمها بدلاً من إيقاظها، فالحمد لله قد تولاهما برحمته، فوضع رأسها على الوسادة، وقبل جبينها، وهمس بحنان:

- «استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه».

أطفأ الضوء وعاد ليستلقي ويبحث عن النوم، كان رجلاً مؤمناً عُرف بحمامة المسجد، لم يكن فحسب يصلي جميع فروضه في المسجد، بل إنه لا يترك السنن أبداً، ولا صلاة الوتر والضحي، حتى كان السنن لديه أصبحت فروضاً؛ لأنه لم يتركها ولا مرة في حياته، هو رجل كثير الذكر والاستغفار والتسبيح، والسبحة الجميلة بخرزاتها المائة لا تفارق يده، لذا هل سمع يوماً صوتاً غريباً؟

لا.

هل شاهد كابوساً مخيفاً؟

أبداً.

هل لمح أو تصور خيلاً مريباً؟

مطلقاً.

لذا فهو لم يكن يدرك أبداً الرعب الذي يخيم على منزله، وعلى أسرته، و..

وعلى تلك الجميلة التي تنام الآن في وداعة الأطفال.



4

جَمْنُون

- لن أُولِم حبيبي (منية)، بل سأفتح لها

المدارك وسأريها ما لم تره عيناها

من قبل.

أنا هو حبيبك (جَمْنُون).

جني عاشق

في الجهة الأخرى من المنزل كانت (منى) نائمة على سريرها الوثير، ترتدي قميصًا من الحرير الوردي، استقر على جسدها الأبيض الرقيق، كانت ترى نفسها في منامها تمشي في حديقة المنزل، وهناك رآته من جديد، نفس الشاب الوسيم الأبيض البشرة، له شعر بني عيناه رصاصيتان، كان يرتدي ثوباً كحلياً جميلاً من الساتان، شعرت بالتوتر رغماً عنها حينما اقترب منها وهمس بحب العالم كله قائلاً:

- «سنيُّ وأنا أنتظر عودتك يا (منى)، أنت أمنيّتي الوحيدة في هذه الحياة، بكِ تحدّيتٍ عشيرتي، لأجلك أثرتُ غضب (جانياه)، إنها غاضبة مني، فحبي لكِ أثار جنونها وجنون عشيرتنا، فهي أميرة عاشقة لي، ووالدها الوزير غاضبٌ مني ومنكِ ومن عائلتك، فقد احتللتم أرضنا، وأنتِ احتللت قلبي، فأنتِ أميرتي وحببيتي».

ارتجفت وهي تسمع كلماته، يا له من حلم غريب، اقترب منها أكثر والتقت عيناها، كانت عيناه الرصاصيتان تلمعان بعشق، فبدت وكأنهما بلورتان، مديديه وأمسك خصرها بلهفه وضغط عليه في شوق وسحبها نحو صدره، ووضع شفثيه على شفثيها، شهقت وفتحت عينيها بدهشة لتعود إلى أرض الواقع.

ما هذا الحلم؟!

ولكن ما هذا؟!

تسمرت مكانها بذهول وهي تشعر بتنميل وقرص على شفثيها، وضعت يدها على شفثيها بحيرة، ما الذي يحدث لشفثيها؟! كأن هناك من يقبلها فعلاً!

خافت لهذا الهاجس، هنا شعرت بدغدغة على خصرها، فتقلبت على فراشها متململة، كانت تشعر بمداعبة تسري في جسدها وكأن هنأى يدًا خفية تلمسها هنا



وهناك فتجعل الدم يغلي في عروقها، زفرت في حرارة و نهضت بسرعة، وهرولت إلى الحمام وغسلت وجهها بالماء البارد، ثم عادت إلى فراشها، استلقت من جديد وتذكرت ذلك الشاب، لماذا تراه باستمرار في أحلامها؟ ثم ما هذا الذي تشعر به على جسدها؟

هل هي سنوات المراهقة؟

هل أصبحت امرأة و بدأت أنوثتها تُضج؟

أمر طبيعي إذن.

وأحلامها إذ تتخذ طابعًا رومانسيًا فهذا لأنها ذات طبع رومانسي.

عليها إذن أن تخفف من قراءة الروايات الرومانسية، ومن مشاهدة الأفلام الرومانسية هذه الفترة، ولكن لو كانت ستحلم حلمًا رومانسيًا، لماذا تحلم بشخص معين لا تعرفه؟

إن كانت ستحلم فإما بأشخاص مختلفين، أو بشخص واحد تعرفه، وهي لا تحب شخصًا معينًا، ولكن أن تحلم بهذا الشاب فقط!

هذا الشاب الذي لا يبدو أنه ينتمي لعالمها.

ارتعشت وهي تتخيل بأن أحلامها تعكس الواقع.

هل ما يحدث لها رؤى وليس أضغاث أحلام؟

هل حقاً هناك جنيّ يحبها، تحدى عشيرته وأغضب ابنة الوزير الأميرة (جانيه)، وقبلها على شفيتها؟

عند هذه النقطة وضعت راحة يدها على شفيتها، وارتجفت ثم تدرت بغطائها، وقرأت آية الكرسي.

حاولت أن تنام، وعندما نامت أخيراً رأت نفسها في غرفتها وعلى سريرها، وهو يجلس على طرف سريرها والحزن يكسو وجهه، قال لها بألم:

- «لا تؤذي بي بهذه الآلة، وأنا أحبك! لننم معاً بهدوء، فجسدي وجسدك واحد، لماذا تؤذي بي بها؟»

كانت ترتجف وجسمها ينتفض، لم تكن ترى سوى جزء من خده الأيمن، قالت له بصوت مبحوح من الخوف:

- «أؤذيك بماذا؟»

قال بألم :

- «بآلة الكرسي».

ردّت بخوف:

- «أذيتك كيف؟»

قال بألم :

- «لقد آلمتني».

قالت وصوتها يرتجف:

- «آلمتك.. ك.. كيف؟».

تأوه بألم وقال بحزن:

- «بلى آلمتني... انظري».

قالها ثم التفت نحوها.



وهنا هالها ما رأت، إذا كان نصف وجهه الأيسر محمراً بشدة، شهقت بفزع أيقظ أختها (سمية) التي اقتربت منها وقالت بحيرة:

- «بسم الله الرحمن الرحيم، ما بك؟»

كانت (منى) ترتجف.

اقتربت (سمية) وقالت برقة:

- «كابوس آخر؟ لا إله إلا الله، لقد كثرت كوابيسك هذه الآونة! لا أدري لماذا لا أرى نصف كابوس؟ هههههه كم أنا محظوظة».

اقتربت منها وأخذت تقرأ عليها آية الكرسي وسورة الفاتحة والمعوذات الثلاث (الإخلاص، الناس، الفلق) وآخر آيتين من سورة البقرة.

كانت تشعر بالراحة عندما تقرأ أختها غلّيتها، ولكن عقلها أخذ يفكر، هل هو يتألم الآن؟

ولماذا يتألم؟! هل هو موجود فعلاً؟

وأين هو؟

يا رب السماء هل يسكن جسدها؟

هل هي ممسوسة؟

ضاق صدرها لهذه الفكرة.



التخاطر

تحكيها (منى)

- «لا أعلم لماذا بُتُّ على يقين بأن هناك من يسكن جسدي؟»

هناك من يشاطرنى فيه، ولا أخفيكم بأنني شعرت بالظلم والقهر، فهذا جسدي أنا، ملكي وحدي، ولا يحق لأحد أن يحتلني، مهما كان عذره.

فالله عندما خلقني خلقي وحدي، ولم يخلق جسدي ليكون فندقاً يحق للجن أن يسكنوه وقتما شاؤوا، ولكن كيف أتأكد من هواجسي؟

كانت كلمات ذلك الشاب لي وهو يقول: «(منى) أنت أمنيّتي الوحيدة» لا تفارق فكري، ونظراته العاشقة راسخة في مخيلتي.

اتجهت إلى مكتبة الكتب التي أشاركها أنا وأختي، وأخذت أبحث عن كتب تتكلم عن عالم الجن وأسراره، وهناك وجدت كتاباً جذبني عنوانه، وقد كان لأختي (سمية)، ولذا لم أنتبه له إلا اليوم، الكتاب بعنوان (حوار صحفي مع جني مسلم)⁽¹⁾، أمسكتُ بالكتاب وجلست على الأريكة في غرفتي، وفي نهمٍ مجنونٍ أخذت أقرأ سطور الكتاب التي وردت على لسان جني مسلم، يتحدث بمعلومات عن عالمه من خلال الجسد الذي يسكنه إلى مؤلف الكتاب.

تحدث عن أشكالهم، حياتهم، وحتى عن الأطباق الطائفة، وعن أنواع الجن، وبأن العفريت أقواهم، يليه المارد، لذا كنت محتارة وأنا أقرأ، ماذا أصدق؟ وماذا أترك؟ حتى وصلت إلى ذلك الجزء الذي به آيات قرآنية، إذا قرأتها وأنت ضام

(1) داوود محمد عيسى (1992)، حوار صحفي مع الجني المسلم، دار الفنون تنشر. جدة 134ص



لراحة يدك اليمنى، ثم نظرت فيها، ستعرف إن كنت ممسوساً، بل ودين الجني الذي يسكنك إن كان نصرانياً أو مسلماً وما إلى ذلك.

أصابني الفضول لتجربة ذلك وكشف حقيقتي، ولكنني شعرت بالخوف.

نعم الخوف من النتيجة، فماذا سأفعل لو كنت ممسوسة فعلاً؟

فطوال تلك الأيام وأنا أعشم نفسي بانني واهمة، وواقعة تحت تأثير البيت المسكون، وأضغاث الأحلام والكوابيس التي سببها الشيطان لي، ولكن أن أكون ممسوسةً فعلاً ومن جني عاشق، فوالله إنها لطامة، وأي طامة!

إلا أنني بشجاعتي المعهودة تماكنت نفسي، وجلست على طرف سرير أختي (سمية) وفتحت الكتاب، وضممت يدي إلى شفتي، وأخذت أقرأ الآيات القرآنية من سورة (إبراهيم) و(البقرة) وغيرها من السور.

ارتجفت من شدة الحماس والانفعال...

انتهيت وقلبي ينبض بقوة بين ضلوعي، وهنا جاءت اللحظة الحاسمة، فأبعدت يدي والعرق يتفصد على جبيني من شدة توتري.

وبترقب وتوتر نظرت نحو يدي، وهنا وقع الفأس في الرأس.

كانت راحة يدي حمراء كالدم.

نعم بدون أي مبالغة كانت حمراء، واستمر احمرارها ثواني قبل أن يتلاشى اللون وتعود لطبيعتها، وهنا أدركت بما لا يدع مجالاً للشك، والدموع تترقرق في عيني، بأنني ممسوسة ومن جني نصراني.

أخذت أبكي حزناً على نفسي، حين شعرت بخدر وثقل في طرف لساني الأيسر.

وسمعت صوتاً يخاطبني كالتخاطر في عقلي، وكانني أكلم نفسي، ولكنه ليس صوتي بل إنه صوت أعرفه، نعم إنه صوت ذلك الشاب في الحلم، أم هل أقول ذلك الجني! انتفضت وأنا اسمعه يكلمني في عقلي كالتخاطر قائلاً:

- «لماذا تبكين؟ فأنا أحبك، ولا أرغب بأذيتك فأنت حبيبتي، وكوُني أسكن جسدك ليس أمرًا محزنًا يستحق أن تبكيه عيناك الغاليتان، بل يجب أن تفرحي لأنني معك».

صُعِقْتُ، وارتعدتُ لسماع صوته ولا ادري كيف! ولكنني وجدت نفسي أتخاطر معه عقلياً وكانني أتكلم مع نفسي، عندما قلت وأنا متعجبة:

- «وهل أنت بالفعل جني يخاطبني؟!»

توقعت أن لا أسمع إجابة عن سؤالِي، إلا أنني شعرت بالخدر على لساني وصوته ينساب في عقلي قائلاً بهدوء:

- «يخاطبك ويحبك ولن يؤذيك، لذا كوني سعيدة».

قلت بقهرٍ وحيرة:

- «وكيف لي أن أسعد وأنت اعتديت على جسدي؟»

قال برقة:

- «أنا لم أعتدِ على جسدك لا بالضرب ولا بالمرض، لقد سكنتك، بل لبستك كأجمل ثوب يرتديه المرء، إنني ألبسك كثوب نفيس، فأنا لا أحبك وحسب، بل أعشقك، أتذكرين الفتى الذي ساقك القدر لتلتقي به في (سوريا)، ثم ساقه القدر ليزور الوزير هنا فيراك ثانيةً، ذلك الفتى الذي شاهدته في الحديقة عندما كنتِ صغيرة؟ ذلك هو أنا، الذي انقطعت أنفاسه عندما رآك لأول مرة، ووقع حبك في قلبه من النظرة الأولى، إذ عرفتُ بأنكِ نصف قلبي الضائع، ذلك الذي وطأته



أملك، عاش يراك تكبرين، عاش يحبك ويتبعك أينما تكونين، عندما كنتُ في (السودة) وشعرتُ بي كدتُ أموت من السعادة، أنا الذي أغضب عشيرته وترك الأميرة لأجلك، وعندما جئتُ إلى المنزل كنت ارقص فرحاً وركضت على سطح المنزل قاصداً السور الذي بأسفله نافذة غرفتك، لأقفز إليك وأراك، ولكن ابنة الوزير ركضت خلفي ل تمنعني، الكل حصل على تهنئة بعدما سكنوا الأجساد الإنسية، إلا أنا الوحيد الذي حصل على اللعنة والغضب لأنني ألحقتُ العار بأهلي؛ وذلك لنقضي العهد الذي أبرمه الوزير مع والدي الملك لأكون زوجاً لابنته، ولكني لم أهتم بهم، فالمهم عندي هو أنتِ يا (منيثي)، أنا يا حبيبتي كنتُ أزورهم قادماً من (سوريا) بناءً على رغبة والدي، لأتعرّف أكثر على (جنياه) وأتتلمذ على يد والدها الوزير، لم أكن أحرص كثيراً على الحضور هنا فأنا لا أحبها، ووجدت الفتاة التي عشقها قلبي منذ أول نظرةٍ في سوريا، بقيتُ هنا حتى كدتُ أنسى بلادي وأهلي لأجلكِ».

كان الكلام ينساب كشحنات الكهرباء سريعة ليصل إلى عقلي بسرعة وسلاسة، وكأنني أحدث نفسي، كنتُ مركزة جداً لأستمع إلى اعترافاته وأنا لا أدري كيف أفكر أو أشعر، لذا قلتُ بخوفٍ عن طريق التخاطر بدون أن أفتح شفتي:

- «يا لغرابة ما أسمع».

قال برقة:

- «إنه القدر الذي جمع بيننا».

قلتُ بحيرة:

- «وهل ستركني أحيا حياتي بشكل طبيعي؟ أي أن أتزوج وأنجب أطفالاً وهكذا».

صمتُ مطبقٌ، لدرجة ظننتُ بأنه لن يكلمني أبداً، فهتفت:

- «يا أنت أين أنت؟»

قال بخفوت:

- «معك».

قلتُ بحنق:

- «ولماذا لم تجب سؤالي؟»

صمت للحظة ثم قال:

- «سأترك تعيشين حياتك بشكل طبيعي، ولكن لا تخرجيني من حياتك وابقى

صديقتي».

بتوتر قلت:

- «صديقتك فقط؟»

صمت برهة ثم قال:

- «صديقتي وحبيبتي».

بعصبية سألتُ:

- «ماذا تعني؟»

فقد كنت ولا زلت فتاة محافظة محترمة، لا أرى مجالاً للعلاقات العاطفية والحب إلا عن طريق الزواج، وكأنه كان يحفظني كراحة يده فأجابني بكياسة:

- «سأجعل حبي لك عذرياً يا (منية)».

قلتُ بعصبية:



- «اسمي (منى)».

رد بكياسة:

- «بالنسبة لي أنتِ (منيتي)».

أردتُ أن أسأله إن كان حبه عذرياً، فلماذا قبلي؟ وهل قبلي فعلاً؟

ولكنني شعرت بالحرج فلم أقوَ على سؤاله، وفجأة تذكرت أمراً فقلت له بلهفة:

- «ماذا تعني بأن الكل حصل على تهنئة بعدما سكنوا الأجساد الإنسية إلا أنت؟ أجساد من؟ هل هم من أفراد أسرتي؟»

زفر وقال بحزن:

- «أخبرتكَ بأن عشيرتي غاضبة مني جداً لأنني خليت عن (جنياه)، إنها تعشقني وترغب أن تتزوج بي، فهم نصبوني خطيبها منذ طفولتنا، ولكنني خذلتها، وخذلت والدها الوزير رئيس العشيرة هنا، كما أن والدَيَّ حزينان بسبب فعلتي، لذا اجتمع عليكم غضبهم لأنكم سكنتم جزءاً من أرضنا التي نعيش عليها منذ قرون، والآن لأنك فرقت بيني وبين (جنياه) فقررُوا أنه آن أوان الانتقام».

هتفت بذعر:

- «ولكن ما ذنبي أنا؟ فلم أطلب منك أن تحبني! ثم نحن البشر نسكن ما يحلو لنا من الأراضي، ولا علم لنا إن كانت لكم أو لا؟ فنحن لا نراكم».

قال بهدوء:

- «أعلم ذلك، ولكن في عرفنا نغضب إن دنس البشر راحة بالنا، فلسنا من جن العمار الذي يسكن مع البشر في منازلهم، بل نسكن أراضينا ومنازلنا وقصورنا، قد حذرناكم من قبل ولم يستمع والدك للتحذير، واحتملناكم وحاول البعض

إِزْعَاجَكُمْ لِإِرْهَابِكُمْ، وَلَكِنكُمْ لَمْ تَرْحَلُوا، وَعِنْدَمَا فَعَلْتُمْ عِدْتُمْ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ أَنْ وَسَّعْتُمْ الْبَيْتَ أَكْثَرَ، ثُمَّ يَتَخَلَّى ابْنُهُمْ عَنْهُمْ لِيَعِشُقَ الْإِنْسِيَةَ هُنَا، طَفَحَ كَيْلَهُمْ، بِالنِّسْبَةِ لِي كُنْتُ سَعِيدًا بِكُمْ مِنْذُ أَوَّلِ لَيْلَةٍ لِقُدُومِكُمْ وَحَتَّى الْآنَ، وَلَكِنْ (جَانِيَاهُ) جُنَّ جُنُونُهَا وَأَلْبَتِ وَالِدُهَا وَالْبَقِيَّةَ عَلَيَّ وَعَلَى عَائِلَتِكَ، وَهِيَ الْآنَ تَنْتَقِمُ مِنْكَ فِي عَائِلَتِكَ، سَامِحِينِي».

هَمَسْتُ مُضْطَرِيَّةً:

- «مَاذَا تَعْنِي؟ هَلْ هُنَاكَ أَحَدٌ مِنْ عَائِلَتِي تَأْذِي؟»

قَالَ بِقَلْقٍ:

- «(جَانِيَاهُ) تَسْكُنُ جَسَدَ وَالِدَتِكَ، أَمَّا وَالِدُهَا الْوَزِيرُ (شَيَّاطٌ) فَهُوَ يَسْكُنُ جَسَدَ أُخْتِكَ (عَبِيرٍ) وَ(غَدْفَانٍ) فِي جَسَدِ (مَهَا)».

هَتَفْتُ فِي ذَعَرٍ وَغَضَبٍ:

- «تَبَّأَ لَكَ كُلُّ هَذَا بِسَبَبِكَ، أَتَرَكْنِي إِذْنًا وَارْحَلْ وَلِنَعِشَ أَنَا وَعَائِلَتِي بِسَلَامٍ».

لَيْتَنِي لَمْ أَنْطِقْ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمَتَهَوَّرَةِ، إِذْ شَعَرْتُ بِنَارٍ تَسْرِي فِي ذِرَاعِي، وَسَمِعْتُهُ يَصْرُخُ قَائِلًا:

- «لَا تَظْلِمْنِي وَتَطْرِدْنِي، أَنَا الْآنَ مَنبُودٌ، فَ(جَانِيَاهُ) مَجْرُوحَةٌ كَرَامَتُهَا بِسَبَبِي، حَتَّى وَالِدَايَ مَوْقِفُهُمَا حَيَادِي، لَنْ يَسَاعِدَانِي وَلَنْ يِعَاقِبَانِي، أَمَّا الْوَزِيرُ فَهُوَ الْوَيْلُ، وَلَوْ لَمْ أَكُنْ أَمِيرًا وَوَلِيَّ الْعَهْدِ لَكَانَ مَزَقْنِي لِأَشْلَاءٍ، عَائِلَتُكَ سَتَكُونُ بِخَيْرٍ، وَلَكِنْ لَا تَطْرِدْنِي وَتَكْرِهْنِي».

صَوْتُ الْعَقْلِ ذَكَرَنِي بِأَنْ أَعْقَلَ وَلَا أَغْضِبُهُ، فَالْجَنُّ كَمَا قَرَأْتُ غَضِبَهُمْ حَادًّا، لِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَتَقِي غَضَبَهُ، فَهَمَسْتُ بِالْم:

- «حَسَنًا وَلَكِنْ لَا تَوَلْمْنِي».



قال بحب:

- «لن أولم حبيبي و(منيبي)، بل سأفتح لها المدارك، وسأريها ما لم تره عيناها من قبل».

همستُ عن طريق التخاطر، وبضعف سائلة:

- «ولكن من أنت؟ ما اسمك؟»

بصوت يقطر حباً:

- «أنا حبيبك (جَمُون)».

(جَمُون)

(جَمُون)

لقد سمعت باسمه من قبل، برقت الذكرى في ذهني وكأنها قامت من سباتها، هذا الاسم سمعته عندما كنت طفلة، من ذلك الفتى الذي قابلني تحت شجرة التين، ذلك الاسم سمعت به في الماضي، فإذا قد رأيت ذلك الفتى حقاً، ولم أكن أتخيل، واسمه (جَمُون) الذي يعرفني منذ الماضي البعيد، ما هذا القدر الغريب لألتقيه قبل أن أسكن هذا البيت في بلد بعيد، ومن بين كل الأماكن جئنا هنا، كنتُ مُجهدة، فلم أعد أتخاطر معه، فعم الصمت بعد أن توقفت عن سؤاله، كنت أشعر بأنني أتوهم، هل كل هذا حقيقي؟!

ارتميت على سرير (سمية)، وأنا لا أدري هل أكشف سري لأحد؟ أم احتفظ به لنفسي؟

نمت منهكة، ويا للعجب، لم أر حلمًا واحدًا.



أذى الجن

تحكيها (منى)

- «ما هذا الصوت؟»

هتفت بذلك (سمية) ونحن نشاهد مسلسلاً مصرياً على التلفاز، عندما سمعنا صوت ارتطام شيء ما في الدور العلوي من الغرفة التي فوقنا مباشرة.

تبادلنا النظرات للحظة، حتى عاد الصوت من جديد، وهذه المرة لم يكن ارتطاماً، بل تحرك للأثاث تماماً كما يحدث عندما نرغب في تغيير مكان الأريكة بمكان المنضدة، وتغير مكان السرير وهكذا، الغريب بأن الغرفة التي فوق غرفة المعيشة والتي نجلس فيها الآن أنا و(سمية) و(عبير) هي غرفة نوم الضيوف، والتي هي الآن خالية تماماً من البشر طبعاً، ولكن هل هي خالية من مخلوقات أخرى تغمر هذا البيت بالمثلثات.

همست (سمية) باهتمام:

- «لعله لص».

ابتسمتُ ساخرة وقلتُ:

- «مثل تلك المرة التي ذهبنا فيها مع والدي إلى السطح لنصاب بالإحراج، أنيت تعرفين أن الصعود للأعلى من السور الخارجي مستحيل، فما بالك بالدخول إلى الطابق الثالث».

فكرت (سمية) بينما كانت (عبير) صامتة، وعيناها تعكسان معرفتها بالأمر، قالت (سمية) بحماس:



- «وجدتها .. ربما أمي فوق، تغير ترتيب الغرفة.. لنذهب ونساعدها».

تثاءبت (عبير) وقالت بكسل:

- «أمي نائمة منذ ساعة مضت».

صمتت (سمية)، وبحيرة قالت:

- « ماذا تعنيان إن كل هذا الإزعاج هو من.....»

لم تكمل تساؤلها، لأن التكملة كانت واضحة، إذ أجبتها بهدوء:

- «نعم ومن غيرهم».

همست باضطراب:

- «هل تظنان بأنهم يقلبون الأثاث رأساً على عقب؟ إن كان كذلك فسنجد

الدليل ليصدق أبي بأن البيت مسكون».

هتفت (عبير) بحماس:

- «يا لك من ذكية، لنذهب ونرى بأنفسنا».

تحمسنا للفكرة، فاتجهنا إلى الأعلى، وبرغم حماسنا إلا أن شيئاً من الخوف والتوتر تسلل إلى قلوبنا، ماذا قرأتُ في ذلك الكتاب، أن الخوف يطلق هالة من اجسادنا تجعل الجن يدركون بأننا خائفون فيتجرؤون علينا، بينما لو سيطرنا على أعصابنا من المرجح أن لا يتعرضون لنا.

سحبْتُ نفساً عميقاً، وذكرت اسم الله، وأخذت أسير بهدوءٍ وقوة، وكأني أقوى شخص على الأرض، وقد نجحتُ في ذلك، وعندما فتحت (سمية) الباب قالت:

- «بسم الله».

كان الظلام هو سيد الموقف، فأخذتُ أختي تبحث بيدها عن مكان مكبس الضوء، وقبل أن تصل إليه تخدر لساني وسمعت صوت (جَمْنُون) وهو يقول لي:

- «لا داعي لتفعلوا ذلك».

أجبتُه بالتخاطر:

- «ولم لا؟»

قال بسخرية:

- «لا طائل من ذلك».

عم الضوء المكان، فقطع حبل أفكارِي، سرت مع أختِي إلى غرفة الضيوف، أمسكتُ (سمية) بمقبض الباب وفتحته، صرير يمزق الأعصاب والظلام يغلف المكان بستار يحميه من أعيننا المتطفلة، بترقبٍ وتوترٍ مدتُ (سمية) يدها للحائط الذي به مكبس الضوء، وبكبسة زر أضيّت الغرفة بضوء كشف المستور.

وهناك وأمام أعيننا.

لا شيء، فالأثاث مرتب كما هو.

هتفتُ (سمية) بدهشة:

- «بسم الله، ولكن كيف؟».

أجابني (جَمْنُون) باعتزاز:

- «لدينا سرعة خارقة، في لحظات بعثروها وفي لحظات أعادوها».

قلتُ له بحيرة، وأختاي لا تعرفان بأني الآن أتناقش وأتحدث مع جني:



- «ولماذا رتبوها؟ لماذا لا يتركون فعلتهم لنراها بأعيننا؟ ما الفائدة من حركاتهم أصلاً؟»

قال بهمسي وكأنه يخشى أن يسمعه يفضح مخططاتهم:

- «ليُرهبوكم ويرعبوكم ويتركوكم في حيرة من أمركم فتركوا المنزل، ولكن أن تكون أفعالهم دليلاً أمام والدك فهذا ما لا يريدونه، لأن والدك متدين، فقد يقرأ على المنزل، أو يحضر راقى، أو أي تصرف يشعل الحرب بيننا».

لا أدري لماذا لحظتها تمنيت أن يعرف والدي بأن البيت مسكون ويتصرف؟ وكأنه قرأ أفكارى، فاستطرد قائلاً:

- «صدقيني خروجهم من هنا مستحيل، فهنا أرضنا منذ قرون، الموت أرحم من تركها والحرب ستكون كفتها لصالحنا».

زفرتُ وقد شعرت بالضيق من كل هذا، فقلت لاختي:

- «لنعد للأسفل».

أطفأتُ الضوء، وكنا في طريقنا للمغادرة، وهنا سمعنا أصواتَ أقدامٍ تسير خلفنا، ارتعدتُ فرائصنا وكنا نرغب في الفرار، ولكن (سمية) بقوة هتفت:

- «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم».

توقفتُ الأقدام وقد أدركت وقتها بأن (سمية) تملك قلباً قوياً وإيماناً أقوى.

ولكن لأُصدقكم الحديث، كنا خائفات ونرغب بالنزول بأي شكل كان، وهذا ما حدث، فقد خرجنا من ذلك الطابق الشبه مهجور، وأغلقت (سمية) الباب، ثم هرونا إلى الأسفل حتى عدنا من جديد إلى غرفة المعيشة، فقالت وهي تلهث:

- «تَبَّ، إنه حقاً بيت مسكون».

قالت (عبير) من بين لهاثها:

- «لم تأت بجديد».

هنا وفي تحدٍ سافر ، عاد الأثاث يتقلب في الغرفة التي فوق رؤوسنا ليزعجنا من جديد.

أن نعود للطابق الثالث مستحيل.

تساءلت (عبير):

- «يا للإزعاج، كيف يعم الهدوء؟»

قالت (سمية) بصرامة:

- «يبدو أنهم عفاريت لن تنعم بالهدوء لذا...»

أمسكتُ بجهاز التحكم عن بعد (الريموت كونترول)، ورفعتُ صوت التلفاز عاليًا ليطفئ على إزعاج الجن وشغبتهم، وبمحاولةٍ مستميتةٍ حاولنا أن نركز مع أحداث المسلسل التي بدت لنا ضبابية مع هذا الليل الصاخب.



كشف الحجاب

تحكيها (منى)

دخلت الحمام لأتحمم، وقبل دخولي فاجأني (جَمُون) بقوله:

- «أترغبين برؤيتي؟»

ارتعدت خوفاً وارتبكت، ولكن برغم الخوف إلا أن الفضول غلبني، فقلت بحذر:

- «نعم ولكن كيف؟ هل سأراك في الحمام؟»

قال بهدوء:

- «بل بداخلك».

لم أفهم وازددت حيرة، فقلت بترقب:

- «ولكني رأيتك في أحلامي! ألسنت بناصع البياض، وعيناك رصاصيتان، وجميل جداً».

قال بترقب:

- «تلك هي صورتي الإنسية التي رأيتني بها، وسأريك هيئتي الحقيقية، فأنا وعدتك بأن أفتح لك المدارك وأريك ما لم تريه من قبل، أتذكرين؟»

ابتلعت ريقى وتذكرت كلامه، فتساءلت قائلة:

- «ألا تخشى بعد أن أراك بشكلك الحقيقي أن أخافك ولا أتقبلك».

صمت للحظات، ثم قال بثقة:

- «لقد قرأت كتاب حوار صحفي مع جني مسلم، وأنا قرأته معك، وأغلب ما جاء في الكتاب صحيح، أعتقد أن لديك تصور عن أشكالنا الحقيقية، لذا لا اظنك ستخافين أكثر من كونك سترضين فضولك، فأنت شغوفة بالعالم ولديك فضول لكل شيء، لذا تقرئين بكثرة، أنا أعرفك جيّدًا يا (منية)، ولم أحب فيك جمالك الساحر فقط، بل أحببت شخصيتك وكل ما فيك، أحببتك حتى النخاع».

ترددت كلماته في رأسي وأخذت أفكر، هل سأجد يوماً ما بشرياً يحبني كل هذا الحب؟

عزمت على الاكتشاف، فقد كان محقّقاً، ففضولي يغلب حذري دائماً.

دخلت الحمام، و عندما هممت أن أخلع الروب احمرت وجنتاي وأنا أدرك بأن لا حاجب بيننا، فها أنا في الحمام وحوض الاستحمام مليء بالماء الدافئ ورغوة الصابون العطرة تناديّني.

بنفسي مضطربة وروح حائرة وجسدٍ خائر القوى زفرت بحرارة، وخلعت روب الاستحمام وأنا أشعر بأنني أكشف عن جسدي أمام الملاء، قشعيرةً سرت في جسدي، فهرولتُ مسرعة لأغطس في الماء لعله يسترني، استرخيت بعد أن شعرت بالستر والدفء، تسلل صوته إلي بهيام قائلاً:

- «أحبك».

لم أجب فقد كنت أشعر بالحرّج.

ونتيجة لصمتي ردد ثانية:

- «(منية) أحبك».

أغمضت عيني بشدة، ماذا يريد مني؟ جواب! وأي جواب قد أعطيه؟ ألا يمل



من تردد تلك الكلمة، ليتني أسمعها من شاب انسي ولكن..

زفرت بحيرة، وكأنه شعري، إذ قال يواسيني:

- «أنا لستُ سيئاً لتضطربي وتقلقي، ما ذنبي كونني لستُ إنسياً».

عضضت على شفتي، إذ كان معه حقٌ في كلامه، ولكن ماذا عساي أن أفعل؟
سألته لأغير الموضوع:

- «هل سأراك حقاً؟»

- «بالطبع يا روح قلبي».

زفرت بتوترٍ، ولكنني رغم خوفي أحب المغامرة، وهذا ما جعلني أتحمس لرؤيته،
ولا تهمني النتائج فلن أخاف، نعم لن أخاف.

قلتُ له بهدوء مصطنع:

- «أريد أن أسترخي، وأنت لا تجعل لي فرصة لأختلي بنفسي، لا أشعر بأنني
وحدتي، هذا ليس عدلاً».

صوته جاءني مضطرباً وهو يقول:

- «أرجو عفوك ومغفرتك، سأصمت الآن أعدك».

صمتُ أخيراً، فأغمضت عيني واسترخيت، مرت عشر دقائق ثم جاءت .
اللحظة الحرجة التي يجب أن أخرج فيها من ستري المزعوم، لأستخدم الدش
وأغسل شعري وجسدي، يا للحرج، سيراني (جَمُنُون).

ولكن لا مهرب من ذلك، نهضتُ ووجهي مصطبغ بحمرة الخجل، وفتحت
الماء لينبثق بقوة على رأسي لعلّه بقوة اندفاعه يستر جسدي، ولكن وبرغم ذلك
وضربات الماء على رأسي شديدة سمعته يهمس بصوت لاهث:

- «ما أجملك يا (منية)».

ارتعدت حتى كدت أن أقع، بل كاد لساني أن يذكر اسم الله، ولكن دورة المياه لا يجوز فيها أن يذكر اسم الله.

قال بسعادة:

- «أنا الآن أتحمم مع حبيبة قلبي».

تسمرت يداي فوق رأسي، وبدهشة سألته بالتخاطر:

- «حقاً!»

قال بشغب:

- «(منية)، أنا وأنت نستحم معاً».

عندما انتهيتُ ارتديتُ الروب، وشدت الحزام على خصري وكاني أداري فضيحتي من أمام أعين العذال، شعرت بالدفع أخيراً عندما سترت جسدي، ثم جففت شعري بالمنشفة ولففته بها فوق رأسي، وكعادي اتجهت نحو المرأة وأزلت بخار الماء منها بيدي، لأرى وجهي الجميل منعكساً عليها ووجنتي موردين كوجنتي عروس، فالخجل لازمني طوال فترة بقائي في الحمام، تنهيدة صغيرة سمعتها من (جَمُون)، وهنا وأنا أنظر للمرأة تنبعت للمرة الأولى لعيني، بريقهما أقوى من قبل فلماذا؟

وهنا أدركتُ السبب، إذ كأنهما انعكاس عينيْن معاً، بؤبؤان معاً، توترتُ لتلك الحقيقة التي توصل لها ذهني، وهنا سمعته.

(جَمُون).



الجنّي العاشق الذي يسكن جسدي يكلمني، وأنا لا أزال أرى انعكاس صورتي في المرأة، سمعته يقول لي بتوتر لا يقل عن توتري:

- «والآن هل أنت مستعدة لتريني؟»

ابتلعتُ ريقِي وأنا أهَيُّ نفسي للحظة الحاسمة، ثم قلت بخفوت:

- «نعم مستعدة».

قال بِرِقّة:

- «فإذن انظري جيّدًا نحو المرأة».

نفذتُ أمره وركزت في المرأة أو بالأحرى في صورتي المنعكسة عليها، وما هي إلا لحظات حتى كشف الحجاب، وهناك على المرأة رأيت نفسي، نعم كما كنت أراها من قبل ولكن مع اختلاف هذه المرة، فهناك في داخلي رأيتَه، كأننا صورتان مركبتان فوق بعض.

رأسه داخل رأسي، وصدره داخل صدري، أما باقي جسده لم أره لانتهاء حد المرأة.

كان يهز شعره المبلّل يمينًا ويسارًا ليريني أنه تحمم معي.

كان ينثر الماء بفتنة وكأنه يغريني.

بطريقة تثبت بأنه يرغب أن يترك انطباعًا جيّدًا وجذابًا عنه حتى توقف تمامًا، وهنا ثبتت صورته وانعكست في المرأة نظراته إلي.

ارتعدتُ للحظة، ولكنني تماكنت نفسي وأنا أنظر في دھول للجنّي الذي يتلبسني وأنا غير مصدقة لما أراه.

إني أراء بشكله الحقيقي وليس بصورة الإنسي التي اعتدت على رؤيتها في أحلامي.

إنني ممسوسة حقاً! وما أراه هو إثبات بالصورة انضم للصوت.

والأعجب بأنني أستطيع رؤيته!

أخذتُ أنظر له في المرآة وتبادلنا النظرات معاً، وأنا أرى (جَمُنُون) على حقيقته.

حقيقةً خُطِفت أنفاسي فلم أعد أقوى على التنفس.

لم يكن يختلف عن الإنس كثيراً، ولم يكن أيضاً يشبهنا.

كمصاصي الدماء مثلنا وليس مثلنا.

كان وجهه عريض من الأعلى، ويأخذ بالأنحف حتى ينتهي بذقن مربع بارز، بغمزه في وسطه (يسمى بالوجه الماسي أو الملكي)، هذا الوجه الجذاب الذي يتميز بغمازتين طويلتين على الخدين، ورسمه فك مميزة جذابة، كتفاه عريضتان عضليتان، وخصره نحيف، لقد بدت بشرته بيضاء جداً، بل ناصعة البياض وكأنه مصاص دماء، بشرة تبدو رقيقة وناعمة وخلاصة، وكأنه خلق من ضوء القمر، كان جميلاً جداً لدرجة أن التقاط أنفاسي ترفُّ لأقدر عليه، وشعره متوسط الطويل إذ يصل إلى أسفل رقبته، ولكنه كثيف جداً وغزير، وجميل وناعم، ولونه كما في الحلم بني فاتح جداً، أمّا ملامح وجهه فكانت عيناه لوزيتين مائلتين للأعلى، وليست مثلنا مستقيمة، مائلتان ومرتفعتان إلى الأعلى مثل شعب شرق آسيا ولكنهما واسعتان، وما خطف انفاسي عدساتهما الكبيرة كعيني الغزلان، بحيث أن البياض لا يبدو واضحاً لشدة كبر العدسة التي بلون رصاصي غامق زادهما لمعةً وجمالاً، وبؤبؤهما الأسودان كانا مشقوقين بالطول كالأفعى وليس دائرياً كالبشر، يعلوهما حاجبان مستقيمان مرتبان ومرسومان بعناية، وله أنف مستقيم ودقيق جداً، يستقرُّ تحته فم واسع ورقيق جميل، وأذناه أطرافهما العلوية مدببة بالكاد رأيتهما لكثافة شعره، أما جسده فكان صدره بعضلات باهرة، لم أكن أعرف كم طوله لأنه بداخلي، فهل هو يأتري بمثل طولي؟ كنت أفكر في هذا عندما سمع صوت أفكاري، فقال بأنفة:



- «أنا عفريت من الجن الأحمر، أنا عفريت من أقوى أنواع الجن، والجن يتفاوتون في الطول، أنا طويل يا حبيبي، إن طولي ١٨٣، ولكنني متقلص بطولك وأستطيع أن أتقلص كعقلة إصبع أو أصغر، أو اتمدد لأكون عملاقاً عظيماً».

اتسعت عيناى، ليس فقط للمعلومات التي أخبرني بها، بل لأنني لا أرى شفتيه تتحركان إلا برقة كالوهم، حركة بسيطة وكأنه يتمتم، انعقد لساني وانشل فكري.. كيف سأحتمل أن أراه يحدثني وعيناه في عيني مرة ثانية؟ فهو شعور غريب.

والأدهى من ذلك تلك النظرات!

يا رب السموات والأرض، إنه عاشق، بل موله في الغرام، نظراته هائلة بي تكاد تلتهمني وتحرقني.

اضطربتُ وازداد اصطباغ وجنتي بحمرة الخجل، فقال بحبٍ وعيناه في عيني، وكأنه يخشى أن تضيع منه الفرصة ليصارحني بمشاعره وأنا أراه:

- «(منية)».

لم أحبه.

استطرد قائلاً بحبٍ ورجاء:

- «أحبك ... بل أعشقتك».

ارتجفتُ ووقعت في بحر من الحيرة، أطرقت بعينيّ فقال بحنان:

- «اتخجلين؟».

هل هو يغالزني؟ إنه شاب سواء كان من الإنس أو من الجن، فما يحدث أمر محرج.

أدريت وجهي عن المرأة وخرجت من الحمام، لفحني الهواء البارد فاستنشقتة بقوة لأعيد التوازن لنفسي، ثم اتجهت إلى غرفتي.

صوته المضطرب وصلني متسائلاً:

- «هل أخافك شكلي يا (منية)؟»

قلتُ بصدق:

- «لا بالعكس، أنت وسيم كاللحم، صحيح أنك تختلف نوعاً ما عن الإنسان، ولكنني كنت متهيئة لرؤية شيء مختلف وعجيب، إلا أنك فاجأتني، فأنت تشبهنا كثيراً، ووسيم جداً، لم أَرِ رجلاً بوسامتك أبداً».

قال بفرح وبزهو:

- «أنا فائق الجمال، وهذا ما خلّب لب (جُنياه)، سعيدٌ أنني أعجبتك».

كنت أشعر بالحزن، لماذا أنا من بين كل الإنسان؟ لماذا أنا؟ لماذا قصة حب معقدة وصعبة كالتي أعيشها؟!

لو كنتُ جنية.

أو كان إنسيّاً لكان أمراً رائعاً أزهو به.

كم تمنيت لو كنتُ جنية.

لم أكن أشعر بالسعادة كأي مراهقة تفرح لعشق رجل لها.

لا.

لأنه ببساطة ليس بشريّاً أستطيع أن أحبه وأعيش معه، وأكون معه ونجب أطفالاً، عقلي يمنعني من هذا فالإنسان عدو ما يجهل، إنه من عالم آخر، عالم



مجهول خفي، وها أنا الآن استطيع محاورة جني، بل ورؤيته، صوته العذب أعادني إلى الواقع، إذا قال لي بلهفة العاشق:

- «ألن تبدلي ثيابك؟»

ضربتني كلماته مثل السوط، هل يريد رؤيتي عارية من جديد؟ أين هو الحب العذري الذي أخبرني عنه؟!

هل كان يكذب؟

ولما العجب؟!

لذا وبعينين جامدتين أمسكت بحزام الروب وشدته لأفك رباطه قائلة بعزم:
- «بسم الله».

قال بحزن:

- «لماذا يا (منية) لا تريدين أن أراك؟»

بدهشة مصطنعة قلت:

- «آووه نسيت فالعادة غلبت».

دون أن أدري بأنه يعرف ما أفكر فيه، يعرف كل خواطري وأفكاري بدون حتى أن أنطق بها، ولأنه يعشقني ابتلع في مرارة وحزن تصرفي وصمت.



5

جُنْيَاه

عليك اللعنة أيتها الإنسية..

عليك غضبي وحقدي وجنوني..

أنا (جُنْيَاه).

وسأذيقك ويلاتي.



انتقام جنية

كانت (جميلة) تعاني من الصداع بشكل يومي، يأتي ويرحل مرة في شق رأسها الأيمن ثم فجأة ينتقل لشق رأسها الأيسر، ذهبت للأطباء فوصفوا حالتها بأنها تعاني من الصداع النصفي (شقيقة).

كم أتعبتها تلك الشقيقة، أو الشاقة كما يحلو للبعض تسميتها؛ لأنها تشقي المرء، كانت تكثر من المسكنات، وتتجنب الإزعاج، ولكنها لا تعرف لماذا تشعر بالضيق عندما ترى ابنتها (مني)؟

لماذا تشعر بأنها أصبحت مُهملة؟ لا تستمع إليها يا لها من فتاة!

قالت ذلك بعصبية وهي تدرك بأن لا أحد من بناتها بروعة (عبير)، لقد ازداد تعلقها بها الفترة الأخيرة، شعور أقوى منها يجعلها تميل إليها أكثر من البقية، كم هي مطيعة ونشيطة.

ابتسمت عند تذكرها لابنتها (عبير) فاتجهت لغرفة الجلوس وهتفت قائلة:

- «(عبير) حبيبتي، أحضري لي كوب ماء لو سمحت».

بالصدفة سمعتها (مني) إذ كانت تمر لحظتها من أمام غرفة الجلوس، فاتجهت بسرعة إلى المطبخ وسكبت كوب ماء لأمها بكل محبة، ثم اتجهت إلى غرفة الجلوس تحمل الكأس على صينية التقديم.

نظرت نحوها أمها فشعرت بالضيق فجأة، ضيق انتقل إلى لسانها عندما قالت بحدة:

- «هل أنتِ (عبير)؟ لقد قلتُ (عبير)، أعتقد كلاي واضح».

تسمرت قدما (منى) وتفاجأت من ردة فعل أمها، فوالدتها أحن وألطف مخلوق في العالم، وبالعادة تفرح لمن يسعى لبرها، وليس أن يكون الغضب هو ردة فعلها، لذا جاوبتها بحيرة قائلة:

- «أ.. أنا.. سمعتكِ ف... فأحضرت الماء لكِ».

زفرت والدتها بضيق وقالت :

- «أردت (عبير)».

ردت (منى) بصدمة وحيرة:

- «ولكن (عبير) ليست هنا».

تأففت أمها وقالت بتذمر :

- «إذن هاتِ».

مدت (منى) الصينية نحو أمها وهي تشعر بطعنة في قلبها، فما الفرق بينها وبين (عبير)؟ لماذا تغيرت أمها؟

- (جنياااااه)

انتفضت وهي تسمع صوت (جَمُنُون) يتسلل إلى عقلها باسم الجنية التي كانت تتوعدها بالانتقام في كوابيسها، ونتيجة لانتفاضتها تلك انسكب الماء في الصينية في اللحظة التي مدت أمها يدها للكأس.

فهتفت والدتها بها بامتعاض:

- «يا حمقاء، سكبتِ الماء، والآن نظفي الصينية».

نظرت (منى) نحوها مضطربة، فالتقت عيناها بعيني والدتها الحبيبة، وهنا



شعرت بها.

نعم تلك العينان.

لم تكن دافئتين كما عهدتهما.

لم تكن عسليتين شفافتين كاللؤلؤ.

بل كانتا سوداوين، لثيمتين، وحادتين و....

ومتوعدتين.. لم تكن تلك نظرات والدتها بل كانت نظرات (جُنْياه)، هنا شهقت
بفزع فسقطت الصينية من يدها.

صرخت والدتها بغضب هادر، وكأن (منى) ارتكبت جِنحة تجلب العار.

وقفت والدتها أمامها، ولم تدرِ (منى) لماذا شعرت حينها بأن أمها شامخة
عملاقة؟!

وفجأة صفعتها أمها صفعه قوية على وجهها، وانهالت بعدها بالضربات
والصفعات وصراخها وصياحها يملأ المنزل.

ركضت نحوهما كل من (سمية) و(عبير) فهالهما ما رأياه، فوالدتهما لم
تضربهما قط طوال حياتها، فما بالها الآن؟ وهي لا تضرب وحسب بل تكاد تقتل
(منى).

- «يا عاقه، لا احترام لديك، انظري ماذا فعلت؟ لقد سكبت الماء البارد كله يا
غبية».

أمسكت (سمية) بيدي والدتها و(عبير) خصرها وأخذتا تسحبانها بعيداً عن
أختهما، ولكنها كانت قوية وثابة كالصخرة، مما أذهلهما وجعل (عبير) تصرخ
قائلة:

- «ماذا فعلت لتنهالي عليها ضرباً هكذا؟»

صرخت والدتها بجنون:

- «لقد سكبت المااء».

هتفت (مني):

- «بالخطأ فلم أكن أقصد».

هتفت (سمية) معترضة:

- «فقط! اتقي الله يا أمي وصلي على نبينا محمد».

توترت الأم، فهتفت (سمية) وهي تمسك بكتفي والدتها قائلة:

- «استعيذي بالله من الشيطان يا أمي، ما بالك؟ لا إله إلا الله».

فجأة، وكمن سكب عليه الماء البارد، ارتخت يدا والدتهن وهي تشعر بالخدر فيهما، أكملت (سمية) قائلة وهي تفرك ظهر أمها:

- «قولي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا إله إلا الله، يا أمي الغضب مدخل من مداخل الشيطان، صلي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم».

كانت والدتهن تشعر بالدوخة، فأمسكتا بها (سمية) و(عبير) وأجلستاها.

قالت (عبير) بقلق:

- «يبدو أن الصداق أصابها بالنفزة والغضب، فهو يوترها لأتفه الأسباب، هيا معي لترتاحي في غرفتك يا أمي».

كانت الأم حائرة من تصرفها، ما الذي فعلته بحبيبة قلبها (مني) وأصغر أبنائها؟ لماذا ثارت فجأة وكأن بركاناً يسري في عروقها؟



اندفعت (سمية) نحو أختها المسكينة (منى)، وقالت في وله:

- «هل أنت بخير يا حبيبتي؟ لقد ضربتك ضرباً مبرحاً».

ولكن (منى) كانت مصابة بالدهشة وصامتة طوال هذه الفترة، ليس لأن والدتها كانت تضربها؛ بل لأنها لم تشعر بشيء.

نعم..

لا شيء على الإطلاق.

كانت تسمع صرخات أمها وكلماتها الغاضبة، وتشعر بحركات جسدها يميناً و يساراً وأماماً، ولكن لم تشعر بلمس كفها لا على وجهها حين صفعتها، ولا على جسدها، لم تشعر بالألم إطلاقاً، وهذا جعلها مشدوهة والصدمة قد ألجمت لسانها، مما جعل (سمية) تمسك بكتفيها وتهزها في لوعة وهي تراها مصدومة نفسياً مما حدث معها، فقالت بحنان واهتمام:

- «حبيبتي هل أنت بخير؟ صلي على النبي يا (منى) فأمي مريضة ولم تتعمد أذيتك، بسم الله عليك يا حبيبتي».

هنا تنبّهت (منى) لحال أختها الذي كان يرثى له أكثر من حالها، فأشفقت عليها، وقالت بهدوء غامض:

- «أنا بخير وأمي.. معذورة، لست غاضبة منها أبداً».

نظرت نحوها (عير)، فقالت بتعاطف:

- «نعم هي معذورة، وأنت يا (منى) ارتاحي حبيبتي في غرفتك، ولا داعي أن يعرف أبي بما حدث فتصبح حكاية».

طأطأت (منى) رأسها مؤافقة، ودارت على عقبيها متجهة إلى غرفتها، ولكنها

قبل أن تخرج من الغرفة تذكرت أمراً، فقالت وهي مولية ظهرها للجميع:

- «آآه (عبير)، أحضري كأس ماء لأمي فهي تريده من يدك وهذا ما اغضبها في الأساس».

تركت أختيها تسبحان في بركة من الحيرة، واتجهت إلى غرفتها، وعندما استلقت على سريرها في دهشة وذهنها يسترجع الأحداث نظرت إلى ساعدها، فوجدت طبعة أصابع أمها محفورة عليه بعلامات حمراء ستتحول إلى أرجوانية مع الوقت، يا لها من علامة تدل على أن والدتها ضغطت على ساعدها بقوة كبيرة، فكيف لم تشعر بذلك؟! كيف؟!!

لم تشعر إلا وعقلها يرسل سؤالها كتخاطر إليه، فأجابها بصوت لاهث:

- «أنا.. أنا من تلقى الضرب عنك يا (منية)، فليست أمك من كانت تضريك، بل إنها الحقودة ابنة الوزير؛ (جُنيّاه)».

قالت له بدهشة:

- «ولكن يا (جَمْنُون)، لقد سيطرت على أُمي وأرادت أذيتي».

همس بحب:

- «(جَمْنُون)، لم أكن أدرك بأن اسمي جميل إلا بعد أن سمعته من بين شفتيك».

شعرت بالحر والحرارة، ولكنه استطرد قائلاً:

- «إن (جُنيّاه) تغار منك، فأرادت أذيتك، لكنني تلقيت الضرب عنك، وهي الآن تعلم بأنها بدلاً من ضرب غريماتها ضربت حبيبها، وهذا ما جعلها الآن تبكي حزناً علي».



لم تعلم (منى) ماذا تقول؟ فهي تشعر بالحق على حبه لها، فهو السبب في كل هذه المصائب التي تحدث معها ومع والدتها، والتي هيا الآن تحت رحمة جنية خطيرة، وهذا الأمر يجعل قلبها يَدُمى من الحزن والقهر لمصاب أمها، ويبدو أن هذا ما أرادته (جُنْيَاه) أن تؤذيها في أحب مخلوق على وجه الأرض إليها، أمها.

ولكنها مع ذلك لا تنسى صنيعه معها، فشكرته قائلة:

- «شكراً لك.. يبدو بأن الضرب كان مؤلماً جداً وقد كففته عني».

همس والحب يقطر من حروفه:

- «لا تشكريني، فيكفيني بأنني معكِ أينما كنت، وسأحميك من (جُنْيَاه) ما حَيَّيت».

فجأة دخلت (سمية) الغرفة وعيناها تنطقان تساؤلاً وشكاً وحيرة، ابتلعت (منى) ريقها متوجسة من القادم، أغلقت (سمية) الباب واتجهت نحو أختها وجلست قبالتها، وقالت وعينيها حادتين كالصقر:

- «هل حقاً لم تتألّمي؟ أم أنك صابرة وتدعين العكس؟».

هتفت لتطمئننها:

- «بل أقسم بأنني بخير».

شعرت (منى) بأن تلك العبارة زلة لسان غبية، فلو كانت ادعت بأنها متألمة وصابرة لاتقت لحظة الصراحة وذلك اللقاء، وبالفعل كما توقعت قالت (سمية) بصرامة:

- «كيف؟ لقد رأيته، أقسم بأنني لو كنت مكانكِ لمألتُ البيت صراحاً، وبعد ذلك نياحاً، ولكن أنتِ ولا صرخة! ولا دمعة! وهذا غريب! بل مريب! أقسم بأن أمراً غريباً يحدث معكِ، فما هو أخبريني، أنا وأنتِ متعهدتان على الصراحة فأنا

لا أخفى عنكِ أمراً وأنت بالمثل، هل تتعاطين أدوية تفقدك الإحساس؟ أم ماذا بك؟».

لا .. لا تريد (منى) أن تظن أختها بها ظنوناً سيئة، لذا قررت بأنه قد حانت لحظة الحقيقة ومشاركة الأسرار.

ولا مهرّب من أن تصارح أختها بقصتها الغريبة مع (جَمْنُون) و(جُنّياه) و انتقام عشيرة الجن.



لحظة الحقيقة

تحكيها (منى)

فغرت (سمية) فاها، وجحظت عيناها وكأنها تسمع قصة تخرج من مخبولة نصابة، فقلت لها بنفاد الصبر:

- «لقد حكيت لك الحقيقة، فلماذا تحديقين بي هكذا؟ أنتِ لم تصدقي قصتي، أليس كذلك؟»

نفضت (سمية) جسدها لتعيد إليه دمائه التي تجمدت، وقالت بشك:

- «البيت مسكون وهذا أمر معروف أصلاً، ولكن القصة الدرامية التي تخص العشيرة والوزير وابن ملك و و و تجعلك تستطيعين أن تكوني كاتبة روائية بامتياز».

غلى الدم في عروقي، فهتفت حانقة:

- «بل تجعل القصة حقيقية؛ لأنني لن أستطيع مهما أوتيت من خيال أن أبتكر مثلها»

فكرت (سمية) في منطقتها، ثم قالت بحيرة:

- «حسناً أظن أنك محقة، ولكن كيف تعرفين بأنه لا يخدعك ويبتكر قصة درامية ليؤثر فيك؟»

قلت لها مقرة:

- «معك حق، ربما يكذب عليّ، ولكن عيني لا تكذبان».

تساءلت أختي في ريبة:

- «ماذا تعنين؟»

سحبتُ نفسًا عميقًا، وقلت:

- «أنا قد رأيته».

كلمة التعجبِ أو كلمة الدهشة لا تصفان حال الذهول الذي شعرتُ به أختي (سمية)، والتي قالت بعد أن استطاعت الحديث:

- «يا إلهي! أخبريني ماذا رأيته؟»

حكّت لها ما شاهدته، مع حذف التفاصيل الخادشة للحياء.

قالت (سمية) مبهورة:

- «يا للعجب! اسمعي أريد الحديث مع (جَمْنُون)».

بدهشة سألتها:

- «هل جننت؟»

هتفت (سمية) بحماس:

- «لا بالعكس أريد أن أتحدث مع مخلوق من العالم الآخر».

قلتُ بضيق:

- «وهل هي لعبة؟»

نفث (سيمة) ذلك قائلة وهي تشير بكلمات يديها:

- «لا، لا سمح الله، فقط لدي فضول يقتلني».



فجأة قال (جَمْنُون) لي:

- «أخبريها بأن أسئلتها كثيرة، حتى اليوم في المدرسة لم تترك صديقتها (بدرية) في شأنها، وقد غمرتها بأسئلة كثيرة لأنها أصبحت مخطوبة منذ اسبوع».

نقلت كلماته إلى (سمية) التي شهقت فزعة وقالت:

- «يا إلهي كيف عرف وهو هنا معك؟ أم أنه لحق بي؟»

قال (جَمْنُون) ساخرًا:

- «ولما الحق بها ومنية عندي؟»

ضحكت ثم نقلت لها تعليقه، فامتعضت (سمية) وقالت:

- «فإذن كيف عرف؟»

تردد (جَمْنُون) لبرهة، ثم قال:

- «سألت قرينها وهو أخبرني».

دُهِشنا جميعًا لهذه المعلومة الجديدة، فقالت (سمية) بفضول:

- «وكيف يكون القرين؟»

تردد (جَمْنُون) مرة ثانية، ثم قال بعجل:

- «القرين صنف خاص خلقوا لهذا العمل، هم خلقهم الرب ليكونوا قرناء، لا يتشكلون فترة حياة الإنسان ولا يتركونه حتى لو كان محصنًا، هو ملازم للشخص حتى وفاته، وبعد ذلك يعيش وحده ويقدر على التشكل، فعمره طويل بعكس صاحبه الإنسي».

تساءلت (سمية) تساؤلًا راودني في نفس الوقت:

- «ماذا تعني بأنهم صنف خاص، هل هم من الجن أم شياطين؟»

توتر (جَمْنُون) وقال:

- «نوع خاص، لا أستطيع الكلام عن كل شيء، بعض المواضيع يجب أن تبقى مخفية في عالمنا، عشيرتي غاضبة لأنني أكشف لك الكثير من الأمور».

مطت (سمية) شفيتها بامتعاض عندما أخبرتها، بينما شعرت أنا بالحزن، فأخيتي تشعر بالإثارة بدل من أن تقلق لوجود جن في أجساد عائلتها، إما أنها متهورة، أو أنها لم تستوعب الأمر بعد.

وهذا ما أظنه، فهي لم تستوعب الأمر بعد وكأنها لا تزال تحت وطأة الانبهار بالخفايا الجديدة التي انكشفت لها.

وهنا وفي لحظة غيظ قلت لها :

- «عديني».

التفتت (سمية) نحوي وقالت بحيرة:

- «أعدك بماذا؟»

قلت بحسم وأنا أشعر بالغيظ من فكرة أن تفشي قصتي:

- «ان تُبقي ما بيننا سراً، فلا أريد أن يعرف أحد مشكلتي، لا أرغب بأن يعرف أحد بالمس الذي أصابني، ولا بأنني أستطيع أن أرى وأحدث جنياً، فإن رغبتُ أن أتكلم عن نفسي فهو أمر يخصني هل هذا واضح؟»

تبادلنا النظرات، هي نظرات التفكير وأنا النظرات الجادة، ثم استسلمت (سمية) وقالت بهدوء لي:



- «أعدك».

استطردتُ بصوتٍ يرتجف انفعالاً خشية العواقب:

- «ولا بأمر أمي و(عير)، لن يصدقنا أحد».

زفرت (سمية) وقالت برتابة:

- «حسناً، أعدك».

هنا نهضت خارجة من الغرفة، لأنهي النقاش نهائياً.

وفي ردهة الاستراحة ذات القبة الزجاجية، سمعت صوت (جَمُنُون) يقول لي:

- «والآن لقد عرفت اختك كل شيء، لم أكن أتوقع بأنها ستتقبل وجودي بسهولة».

بصراحة أنا نفسي تفاجأت من ردة فعلها، ظننتها أكثر تعقلاً فترفض وجود الجني في جسدي، ولكن العاطفة تمكنت منها، أعتقد أن (سمية) عاطفية جداً، إذ تتخيل لأختها حامي من عالم آخر، ولكنني لست مرتاحة لهذا الوضع.

قال (جَمُنُون) بحماس :

- «(منية) هل ترغبين بأن ترين ما لم تريه من قبل؟»

ارتجفت وأنا أتخيله يرغب بإعادة تجربة الحمام، ولكنه قطع علي أفكاره عندما قال:

- «ساريك سكان هذا البيت».

ارتعدت وشعرت بدهشة لا حدود لها، فتخاطرتُ معه بصوت يعكس دهشتي:

- «هل.. هل هذا ممكن؟»

أجابني بثقة :

- «ممكن، طالما أنني معك أساعدك، فأنا عفريت ولست بجني عادي، ولا تنسي عينك كاشفة من الأساس، فأنت تستشعرين وجودنا من قبل أن ألتبسك كما شعرت بي في السودة، ولا تنسي أنك قد رأيتني وأنت طفلة، والآن وأنا معك سترين آفاقاً أوسع، فأنت لست بإنسية عادية».

لا أدري لماذا فاجأتني جملة «فأنت لست بإنسية عادية»، فما معنى هذا؟ هل أصبحت مختلفة عن باقي الإنس! تجرعت دهشتي إذ تغلب علي فضولي كالعادة وقلت بترقب:

- «حسناً وهل هذا سيضرني؟»

قال بثقة :

- « طالما أنا معك فلا قدرة لديهم للتعدي على حبيبة أميرهم».

ابتلعت ريقي وقلت بتوتر :

- «نعم أريد».



مملكة الجن

تحكيها (منى)

يا لفضولي الأحق، كيف أرغب برؤية أمر حجه الله عنا؟ لابد أن في عدم رؤياهم خير لنا، ولكن الفضول قاتل، قاتل.

سمعتة يهمس قائلاً :

- «انهضي (منية) وانظري أمامك».

نفذتُ أمره كالمنومة مغناطيسياً، ووقفت بساقين كغصنين طريين، ونظرت أمامي ناحية جدار ردهة الاستراحة، وهمستُ بصوت مضطرب:

- «وماذا الآن؟»

قال بهمس:

- «أششش انظري بتركيز».

نظرتُ أمامي كما قال، وهنا يا رب السموات لقد كشف الحجاب، حدثتُ أمامي غير مصدقة لما أرى، فاتسعت عيناى على محجريهما، فهناك تكدس الجن بالعشرات، كل هؤلاء في غرفة الاستراحة!

أما أشكالهم فهم مثل (جَمُنُون) من حيث العينين المرفوعتين أطرافهما لأعلى، والأنوف الصغيرة، والقامة التي تتراوح ما بين 160-190 سم.

أخذتُ برغم خوفي أنظر بشغف، تلك امرأة لها شعر طويل يصل إلى قدميها، وهذا رجل، وذلك طفل، ثيابهم تختلف عنا، ليست موديلات آخر صيحة بل إنها أقرب للموديلات القديمة قبل قرن من الزمان، وتشبه الأزياء الأوروبية من

قرون مضت، موديلات ذات زخارف وألوان جميلة، لاحظت أيضاً أن الألوان يغلب عليها اللون الغامق كالأحمر القاني والأزرق الغامق والأسود، وتنبهت بأن لبس عفريقي أفخم منهم بكثير، فهو لبس يخص عائلة ملكية، أليس أمير من سلالة ملوك وولي العهد، أخذت أمشي بهدوء وكأني أخشى أن افزعهم، اقتربت قليلاً لأتأمل امرأة جذبي شكلها، وحينما كنت أتأملها بتركيز، وجدتها تحديق بي وتتأملني، ارتعدتُ بفزع وأنا أدرك برغم كونها تراني كالعادة إلا أنها الآن تبدو وكأنها تعرف بأني أراها، وهو شعور مفزع، تخاطرت بصوت مرتعد مع (جَمْنُون) قائلة:

- «هل.. هل يعرفون بأني أراها؟»

قال بخفوت:

- «نعم فهم يشعرون بذلك يا (منيتي)».

نظرت حولي لأصاب بالذعر، يا إلهي إنهم يطيطرون وبدون أجنحة، أوه يا السرعة ذلك الجني وكأنه بسرعة الريح، بل إنه ذكرني بسرعة (دوق فليد) بطل فلم الكرتون الشهير (غريندايزر)، وبمصاصي الدماء في الأفلام السينمائية.

خرجت من الغرفة وقلت بصوت ارتجف من الحماس:

- «أريد أن أرى المزيد».

قال بحب:

- «طلباتك أوامر».

خارج ردهة الاستراحة رأيت العفاريات مرتفعين عند الأسقف، وبعضهم على الأرض، بعضهم أعينهم يزداد ميلانها، أخذت أهرول في المنزل الفسيح، إنهم في كل مكان بالمئات، أخذتُ ألهث وأنا أقول لـ(جَمْنُون):

- «إنهم كثيرون كل هؤلاء عشيرتك؟»



قال باحترام:

- «نعم وهناك أكثر، فوالدي الملك يحكم تحته 322 قبيلة في بلاد سوريا مركز حكمه، مكونة من العفاريت والمردة والجن، ووزيره (شياط) يحكم العشيرة هنا، فنحن نصارى استوطننا هذه الأرض منذ 300 عام بعد أن ضمتها أسرتي لمملكتنا في سوريا».

قلتُ وأنا أتأمل هذه العشيرة الكبيرة، وأنا أدرك قلة عدد أفراد اسرتي مقابلهم:

- «هل هم فقط عشيرتك، أم أن جن البيوت (العمار) يشاركونكم المكان».

قال باعتزاز:

- «لا يوجد جن عمار هنا ولا يتجرؤون على ذلك».

قلتُ بدهشة:

- «أليس جن العمار هم من يعمر البيوت ويشاركوننا السكن».

قال بهدوء :

- «معلوماتك صحيحة يا غاليتي، ولكن هذه المنطقة لنا وتابعة لدولة كبيرة، فلا أحد من الجن خارج العشيرة يستطيعون الدخول هنا، يا منية إننا مثلكم تماماً دول ودويلات وشعوب وقبائل، ونحن العفاريت بمن معنا من مردة ومن جن كلنا ننتمي لنفس الدولة والتي تضم قبائل بداخلها، تماماً كما تضم الدولة لديكم قبائل من البشر وترجعون لهذه الدولة ويحكمكم حاكمها، نحن لدينا الملك والوزراء والمحاربون والشعب والخدم تماماً مثلكم، عندنا العالم والشاعر الطالب، والكاتب، وغيرها من المجالات، نحن متطورون جداً، انظري ماذا فعلنا للنبي سليمان عليه السلام، لدينا القوة والقدرة، وكلما كان نوع الجني أقوى كلما زادت هذه القدرات، نحن العفاريت لا نسكن في بيوت البشر مثل جن العمار فهم نوع

آخر عادي، أما نحن فلنا قصورنا ومشاريعنا، ونحن أيضاً نعمر الأرض عمارة لا ترونها بينما عماركم لها ملموس ومرئي، إنك وإن كنت تريننا إلا أنك لم تري أثاثنا، لا تحسبي بأننا نستخدم أشياءكم وأن لا شيء لدينا».

شهقت بدهشة وسألته بحيرة:

- «وأيّن تضعونها؟».

رد برقة:

- «سؤال منطقي، كيف أشرح لك، عالمتنا غريب ومعقد بينما عالمكم أكثر وضوحاً، عندما نعيش حياتنا فنحن نرى أثاثنا فيظهر أثاثكم كالسراب بالنسبة لنا رغم أنه موجود، وعندما نركز يظهر لنا واضحاً وكأنه يحاول أن يغطي على أثاثنا، هي مسألة تركيز، ففي كلا الحالتين ركزنا أم لم نركز فاثاثنا وأثاثكم، موجودان ولكنه مسألة استخدام ورؤية واعتياد على رؤية عالمين في وقت واحد، فنحن نرى أنفسنا ونراكم بينما أنتم لا ترون سوى أنفسكم، بعكس جنّ العمار فهم أشبه بالكائن الطفيلي الذي يعيش على غيره، فهم يستعيرون أثاثكم وأشياءكم، وإن كانت لهم أشياءهم الخاصة فهذا لا يمنعهم من استخدام أثاثكم».

كنت متسمرة مكاني وأنا أسمع هذه المعلومات الجديدة بتعجب وامتنان له لأنه أخبرني.

قلت بخفوت وخجل:

- «هل يؤذيك أن تخبرني أسراركم هكذا».

رد بسرعة وعدم اكتراث:

- « ممنوع أن أخبرك أسرار عالمنا».

شهقتُ بهلعٍ وقلت بجزع:



- «لماذا فعلت؟! سوف يؤذونك».

شعرت بأنه تبسم برقة عندما قال بحنان:

- «هل خفت عليّ؟»

بصدق أجبت:

- «بالطبع أنت صديقي ولا أريد أن يصيبك مكروه، فما بالك لو كان بسببي».

صمت لحظةً وشعرت بقلبه يختلج داخلي، فوضعت يدي على قلبي وكان قلبه قلبي وسيخرج من صدري.

بعد لحظة همس:

- «لا تخافي عليّ، أنا أميرهم وسأصبح ملكهم يوماً ما، لذا لا أحد يجرؤ على أذيتي، ناهيك عن قوتي الكبيرة».

سألت بفضول:

- «لأيّ حد انت قوي؟»

قال بعزة:

- «كقوة النمر الأسود الذي تخشاه حتى السباع بل وأقوى».

ارتعشت انبهاراً لقوته رغم رفته معي، ثم خطر على بالي أمرٌ فسألته بلهفة:

- «(جَمْنُون) كم عمرك؟».

صمت لبرهة ثم قال بخفوت:

- «70 عاماً».

فتحتُ عينيَّ بهلعٍ وقلت بصوتٍ أشدَّ هلعاً :

- «ماذا؟! كيف؟ لقد بدوت لي شاباً جداً».

قال بفخر:

- «نعم أنا شاب أمثل تقريباً التاسعة عشرة من العمر في عرفكم، نحن كقصص مصاصي الدماء لديكم، أعمارنا طويلة وشبابنا يدوم، من يعيش 100 عام هو كمن يكون في آخر العشرينات من أعمار البشر تقريباً».

بحسبة سريعة في عقلي أجبته:

- «أي أن كل ثلاث سنوات عندنا تقابل سنة واحدة من عندكم، بمعنى أن العشر سنوات عندنا تقابل ثلاث سنوات عندكم وبذلك الثلاثون عاماً عندنا تقابل 10 سنوات من عندكم».

أجابني على مضض:

- «بشكل تقريبي نعم، ولكن ليس بمثل هذه الدقة، تخيلي بعد ثلاثين عاماً يصبح الصبي عندنا في العاشرة من العمر أو الثامنة فقط».

كم شعرتُ بأنهم محظوظون، شباب يطول بينما الخبرة تزداد لطول السنوات، رغم صغر العمر في نفس الوقت.

كنت سعيدة جداً بهذه المعرفة الجديدة، والقدرة على رؤية ما يستطيع عقلي وفكري تحمل رؤيته، بعكس الكثير من الناس، لذا أخذت أتجول هنا وهناك لاهثةً بحماس وأنا أرى آفاقاً ومدارك لم أرها من قبل، ولم أتخيل بأنني سأفعل في يوم من الأيام... لقد وفي بوعد لي.

فجأة تنبّهت لأمر فتوقفت، ونظرت أمامي ولكن جهة اليسار أي شمال غرب، فوجدته هناك بمسافة مترين، جني طويل طوله يتعدى ١٨٠ سم، هادئ



الملاح، وسيم، أبيض البشرة، أسود العينين، شعره ناعم أسود فاحم، يرتدي ثياباً سوداء رسمية، لاحظتُ بأنه دائماً يلاحقني ولشدة انفعالي وحماسي لم ألق له بالاً، ولكنني لم أعد أستطيع إهمال الأمر، إنه بالفعل يلاحقني، لذا نظرت نحوه بتوجس وسألت (جَمْنُون):

- «من هذا؟ لماذا يلاحقني؟»

رد مطمئناً:

- «لا تخافي يا أميرتي فهو لا يلاحقك، إنما يلاحقني لكونه الخادم الشخصي لي (وصيف)، ولو تأملت قليلاً سترين اثنين آخرين من الجنود هم حراسي الشخصين».

ارتجفت رغماً عني عندما نبهني لذلك، فهناك على بعد ثلاث أمتار كان يوجد جنديان يرتديان ثياباً عسكرية من قرون مضت، تشبه تلك التي يرتدونها في المسلسلات التاريخية، بنطالاً أبيض، وصديرياً من الجلد البني وأحزمة وسيوف، وخوذة من النحاس على رأسيهما، ارتعدت فرائسي لغلاظة ملامحهما، وضخامة جسديهما كأنهما مصارعان! بعكس الشكل الأنيق للوصيف.

عرف (جَمْنُون) ما يدور في خلدي فأجابني مطمئناً:

- «لا تخافي منهما فهما لن يؤذيانك أبداً، حتى لو كانا عفريتين محاربتين غليظتي الشكل، بعكس وسامة الوصيف فهو مارد هادئ، ولكنه قوي إن غضب وتمرد، إنه يبدو هادئ الملاح لك لكنه قوي جداً، فهو بمثابة الحارس المقرب والأمين عليّ، وله في نفسي مكانة خاصة».

تنهدت منبهرة وأنا أحاول استيعاب وجود أمير قوي بحاشية في حياتي، وفجأة برق في ذهني أمر ما فتهفت بلهفة:

- «(جُنْيَاه)».

بحيرة قال:

- «ما بها؟»

قلتُ بعزم:

- «أريد أن أراها، هل أستطيع رؤيتها داخل أمي كما رأيته داخلتي؟»

صمت لبرهة ثم قال بصوت قلق:

- «أستطيع ولكن أخشى أن تغضب».

أخذت أفكر في كلامه، هل من الممكن أن تضر أمي إذا علمت أنني رأيته؟ ولكنني قلت بتصميم:

- «(جَمْنُون)».

أجاب بلهفة:

- «عينا (جَمْنُون)».

تبسمت بخجل لرقته ثم استطردت:

- «ليس من المحتمل أن تعرف بأني أراها، لا أريدها أن تعرف».

ضحك بخفوت وقال:

- «إنها ستعرف نحن نعرف».

فكرت ثم قلت:

- «عموماً إنها تراني ومن حقي أن أرى غريمتي، ثم لماذا تغضب؟ هل هي قبيحة؟»

صوت ضحكاته تردد في عقلي، ثم استرد أنفاسه وقال:

- «إنها جميلة جداً يا (منية)».

هل شعرت بغيرة تدغدغ صدري؟! طبعي فأنا امرأة وأشعر بأن هذا العفريت الأمير ملكي وحدي.

نفضت رأسي من هذه الفكرة وانتبهت لأمر منطقي، فقلت بمنطق :

- «لماذا لم تحبها إذن طالما أنها جميلة جداً؟»

قال بهيام:

- «أحبك أنت، أنت أجمل من رأت عيناى منذ كنت طفلة، أحببتك منذ ذلك الحين، وأحبك وكفى، حتى لو أصبحت أقبح مخلوق على وجه الأرض لا يهمني، فأنا أحب روحك وكفى».

أخذت أفكر في كلامه وأنا أشعر بنشوة تعتريني وبالسعادة؛ لأني عرفت صدق مشاعر الجن، وتعرفت أكثر وأكثر على خفايا الجن.

خفايا لم أكن أعرفها من قبل، مهما قرأت وقرأت فالواقع حمل لي ما لم تحمله لي الأقلام والكتب.

قلت بعزم من جديد :

- «(جُنْياه)».

بعد لحظات ترقبٍ قال لي وقد أسقط في يده:

- «حسنًا، وليكن الرب في عوني».

سرتُ بخطوات مرتجفة، وأنا أرى الجن بالميئات من حولي وكأنني في عالم آخر غير عالمنا، ما عدا خيال أثاث منزلنا الذي أعرفه، وهناك في غرفة الجلوس كانت أمي جالسة تشاهد التلفاز مع אחتي (عبير).

سمعته يهمس بتوتر :

- «يبدو يا (منية) بأنك ستحظين بشرف التعرف على الوزير وابنته».

أدركتُ ما يعنيه ف(عبير) موجودة وممسوسة من قائد العشيرة، قال لي بخفوت:

- «لا أريد إغضابهما، ولكن إن كشفتُ النظر أمام عينيك فإنك ستريين كل شيء سواء شئت أم أبيت، ما باليد حيله، فعينك الثالثة ستري الوزير و(جُنياه)».

شعرتُ بالحزن عليه للحظة، ولكن الغضب تملكني، لماذا يحتلون أجسادنا إن كان باسم الحب أو الانتقام أو أي عذر آخر، فعائلتي تغيرت وأنا أيضاً تغيرت بسبب حبه لي، فإذا ليحتمل فضولي.

دخلتُ الغرفة فالتفتنا إلي (أمي) و (عبير)، وبدون أن تنبسا بينت شفة عادت أبصارهما نحو التلفاز، ولكنني كنت متسمة، نعم متسمة فحول أمي وأختي كان الجن محيطين بهما وكأنهم موكب جراس، وهناك رأيتهما...

نعم.. غريمي وعدوتي (جُنياه) تسكن والدتي مثل تلبس (جَمُنُون) لي، فرأسها في رأس أمي.

كانت جميلة كما وصفها، وكانت أقرب للصورة الإنسية التي زارتي في المنام، شعر طويل أسود يصل لركبتيها، وعيناها سوداوان مرفوعتان كأعين الجن، بيضاء البشرة، وترتدي ثوباً أسود جميلاً من الساتان يلتصق على جسدها النحيل، مطرز بخيوط من الذهب، فستان يليق بأميرة، وكانت ترتدي مجوهرات جميلة، وأنا غارقة في تأملاتي، ارتعدت أوصالي فجأة وأنا أراها تحديق عينيها في عيني بنظرة هي للشياطين أقرب، إنها تعرف..



نعم تعرف أنني أراها، وترى (جَمُنُون) بداخلي يعطيني مثل هذه الملكات التي لا تحق للإنس، فقد قدمها لي لأنه يحبني، رأيتها وبكل دعر وهي تفتح فمها وتصرخ صرخة حانقة لم تنتشر عبر الأثير، ولكنني سمعتها تتردد في راسي، و(جَمُنُون) يصبح بآلم قائلاً:

- «توقفي يا (جُنْياه)، هذا يكفيييييي».

رَأَيْتُ وَكَأَنَّ الدَّمُوعَ تَلْمَعُ فِي عَيْنِي (جُنْيَاه) الَّتِي عَكَسَتْ الْغَضَبَ وَالْحَقْدَ عَلَى حَبِيبِهَا وَابْنِ الْوُزَيْرِ (جَمْمُون) عَلَى خِيَانَتِهِ تِلْكَ.

أخذتُ تتكلم كلمات لم أسمعها، فقد أدركت بأنها تتكلم من رجفة شفيتها التي تبدو كالتمتمة، كانت تحاوره وتخاطبه.

هل أشفقُ عليها لعذابها من حبها الذي هو من طرف واحد؟

أم أكرهها وأحقد عليها لأنها تستوطن أمي الغالية؟

ولكن (جَمُتُون) يعيش نفس معاناتها، فهو يحب من طرف واحد أيضاً، فأنا لم أحبه بالشكل الذي يريده.

رأيتها تطرق رأسها وتقاوم دموعها..

تُرى ماذا يجري؟

ما الحوار الذي دار بينها وبين (جَمُنُون)؟

هل ستنتقم من أمي الآن؟

لا أعرف كيف أقنعها بالصمت؟!

فقد عادت عيناها تتابع المسلسل مع أمي بهدوء، تنهدت براحة ونظرت نحو (عبير)، حمدًا لله لم يكن يسكن رأسها أي جني، إذن فأختي خالية وسليمة، لماذا



كذب علي (جَمْنُون) وقال بأن الوزير يسكنها؟

وقبل أن أنقل له اتهامي كانت عيناى قد وصلت إلى ورك أختى الأيسر، ما هذا؟
كان فخذها بساقها بأكملها ملتبس بجني كهل، فشعره الأشهب يعكس بأنه كبير
في السن والتجاعيد تملأ وجهه.

هذا الوزير إذن، فالوقار يملأ وجهه، ولكن مسحة من الشر تغطيه أيضاً.
التفت نحوي فارتعدت وارتعد بداخلي (جَمْنُون) الذي قال بضيق:

- «لنخرج حالاً؟»

دُزْتُ على عقبي وخرجت من تلك الغرفة مصدومة، وأنا لا أصدق إن كان ما
رأيتَه طوال الربع ساعة الماضية حقيقة أم خيال؟

وصلتُ غرفتي الخالية من (سمية) وقلت بخوف:

- «لا أريد أن أراهم، الآن كيف يعود الحجاب؟»

قال بخفوت مضطرب:

- «لقد عاد».

نظرتُ فلم أعد أرى سوى غرفتي الحبيبة خالية من الجن، ولكنني أعرف الآن
بأنهم يملؤونها، كيف سأعيش حياتي بشكل طبيعي بعد الآن؟

تنهدتُ وجلست على سريري، ثم قلت له بإنهاك:

- «ماذا جرى؟ لماذا طلبت أن نخرج فجأة».

قال بتوتر:



- «الوزير، توترت من الوزير رغم إني امتصصت غضب (جُنْياه)، فأنا أخبرتها بأنني أردت أن تري جمال الأميرة، ولكن الوزير عندما التفت نحوي خشيت منه، إنه عفريت ماكِرٌ جدًّا، لعله يُؤَلَّب والدي عليّ يا (منية)، أشكر الرب بأن والدي من سلالة الملوك من قبيلة يجمعها حلف مع قبيلتنا، ووالدي من سلالة الملوك وهو الملك وأنا ولي عهده، بينه وبين الوزير (شياط) صلة عميقة وإلا كان عاقبي بشده، فهو يطمع أن أكون وابنته وريثين للعرش من بعد والدي، يريد لابنته أن تزوج بعفريت يملك دماء ملكية، إنه عفريت قوي عمره 700 سنة».

عفريت! رنّ هذا الاسم في رأسي وكاني انتبه له لأول مره، وتذكرت قوله تعالى: «قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ». سورة النمل (٣٩)

العفريت بالفعل أقوى أنواع الجن، ولذلك تطوع بجلب عرش (بلقيس) من اليمن إلى فلسطين بقوة ودون أن يُمس بسوء، قبل أن يقوم نبي الله سليمان من مجلسه، العفريت معناه الشدة والقوة، وهنا ارتعدت وعضضت على شفتي وقلت بخوف:

- «وهذا العفريت يستوطن أختي يا رب السماوات».

قال ليهدئ من روعي:

- «إنه وزير وله مشاغله، فهو لا يسكنها بالكامل، فكما رأيت يسكن رجلها فقط، ويخرج ويعود، فهو لا يحب البشر ولا يبقى في جسدها بشكل دائم، العفريت كذلك لا تربط حياتها بالبشر إلا فيما ندر ولأسباب قوية، كعشقي لك».

فكرت، إذن (عبير) لا يسكنها جني بشكل دائم، يا للعجب، عفريت مرتبط بمشاغل! محظوظة (عبير).

قال لي بهدوء:

- «(منيّتي)».

- «هممممم».

- «بإمكانك الآن أن تتحكمي في قدراتك».

قطّبتُ جبيني متسائلة، فاستطرد قائلاً:

- «إذا أردتِ أن ترينَا، ركزي نظركِ واشعري بالرغبة في ذلك، وإذا لم ترغبي في ذلك شتتي نظركِ وتركيزك».

قلت له بحيرة:

- «حتى لو كنتِ تحبيني، لماذا تعطيني كل هذه القدرات رغم أنها قد تغضب عشيرتك منك، فوق ما إنك قد أغضببتهم قبلاً؟!»

قال برقة :

- «أحبكِ فوق ما تتصورين، ومستعد أن أتخلّى عن العرش لأجلك، وسأعطيك كل ما تتمنين لترضي عني».

فكرت بكلماته للحظة، فقلتُ بتسرع وكلي أمل:

- «حتى لو طلبتُ منك أن تخرج مني وتتركني وشأني».

صوته مزق رأسي وهو يهتف قائلاً بغضب:

- «إلا هذا الطلب، محال أن أتركك».

ابتلعت ريقِي مذعورة، ووضعتُ يدي على صدغي وضغطت عليه وأنا أشعر بصداع مفاجئ، لذا قلت لاهثة من الألم:

- «يكفي (جَمْنُون)، لا تغضب أنت تؤلمي».



بصوتٍ متأثر قال:

- «أعتذر، مُحال أن أولم (منيّتي) حبيبتي».

وهنا لم تعد لدي رغبة في الحوار.



هدنة مؤقتة

دارت (جميلة) في غرفتها وهي تشعر بالأرق والصداع يمزق رأسها، وصوت صغيرٍ حادٍّ يتردد صدها في رأسها، تساءلت في حيرة:

- «تُرى ما عساه هذا الصوت؟»

أدخلت إصبعها في أذنها وهزته وكأنها ستنظفه، ولكن الصوت الحاد استمر.

كانت (جُنياه) تصرخ في رأس (جميلة)، وهذا هو سبب الصفير الذي يرتج في راسها، لهثت (جميلة) من التعب ولم تعد قدماها تحملانها، فجثت على ركبتيها بجوار سريرها في اللحظة التي دخل زوجها (أحمد) الغرفة.

دُعر لمرأى زوجته الغالية جائية هكذا، هرول إليها وانحنى نحوها وأمسك بكتفيها هاتفاً بلوعة:

- «(جميلة)، الصداق من جديد؟»

قالت لاهثة :

- «أظن بأن عينا أصابتنى فمنذ... آآآه.. فمنذ سكنتُ هذا البيت وأنا مريضة».

فكر (أحمد) بأن كلامها منطقي، فقال بوقار:

- «هل أقرأ عليك؟»

قالت وهي تعض شفتيها من الألم:

- «أحضر شيخاً قارئاً ولا تشغل نفسك».

قال برصانة :



- «أأحضر شيخاً وأنا أحفظ كتاب الله؟! لن يقرأ عليك غيري، وإن كنت مصابة بالعين فسيعافيك الله بعد أن تُعالجني بالقرآن الذي هو شفاء للناس».

فجأة صمت الصوت واختفى تماماً، لم تصدق (جميلة) نفسها، فتأملت أمرها جيداً قبل أن تصدر حكمها، وعندما تأكدت قالت بثقة مغلفة بالدهشة:

- «(أحمد)، لقد اختفى الألم».

همس بحنان:

- «هل خف؟»

هزّت رأسها وقالت بثقة :

- «بل اختفى تماماً».

ابتسم برقة وقال بسعادة:

- «الحمد لله، إذن يا زوجتي وكلي أمرك الله وضعي شريطاً مسجلاً عليه سورة البقرة، واجعلي صوت الذكر يملأ البيت».

أحبت فكرته دون أن تدري بأن (جُنْيَاه) نزلت من رأسها واختبأت بين كتفيها وهي تلعن (أحمد).

- «لا لن أدعه يقرأ عليها فهو سيؤلمني، إذن على الصداق أن يختفي لفترة.. تبارك الله».

كانت تلك كلمات (جُنْيَاه) لنفسها وهي تعلن هدنة مؤقتة حتى تهجم من جديد.



6

جنون الجن

عفاريت أقوياء..

وهم مدمرون بأمر وزيرهم وأميرتهم..

غاضبون لاحتلال الإنس لأرضهم.

إذا جُن جنونهم فهم أجن من الجنون نفسه.



انتقام العشيرة

- «سورة البقرة!».

هتفت بذلك (منى) متعجبة من كلام أختها (سمية)، التي عقت قائلة:

- «هذا قرار والدي، فهو يظن بأن البيت ربما أصيب بالعين، ولذا أمرنا أن نجعل المسجل على سورة البقرة، بل إنه اشترى أشرطة الرقية الشرعية التي بها آيات عدة من القرآن الكريم».

فكرتُ (منى) بأن هذا قد يضر (جَمْنُون)، وكأن (سمية) علمت ما يدور في ذهنها، فقالت لها متأثرة:

- «ربما تضرر (جَمْنُون) ولكن ما باليد حيلة، فأبي مُصِرٌّ، ولا تنسي أنه يفعل ذلك لأجل أُمي».

زفرت (منى) وقالت بتوتر:

- «ولكن أُمي ليست مصابة بالعين أو الحسد».

هزت (سمية) كتفها ومطت شفيتها وقالت:

- «هو لا يعرف الحقيقة ولن يعرفها؛ لأنه لن يصدق قصتك الدرامية أبدًا».

زفرت (منى) وهي تدرك بأن قرار والدها قد يفتح عليهم أبواب الجحيم.

وهكذا كان صوت آيات الذكر يصدح في المنزل المسكون، خاصة أثناء المساء من بعد صلاة المغرب، ففي كل غرفة نومٍ نقل المسجل الصوتي سورة البقرة في الأجواء، ليرسل الطمأنينة في القلوب، وليحرق ويدمر، فهناك وبين جدران ذلك المنزل المنحوس تصاعد غضب الجن وهم يشعرون بأجسادهم تؤلمهم،

بعضهم هرب إلى الحديقة والبعض الآخر إلى سطح المنزل، ولكن كما أن هبة السمع الحاد التي رزقهم الله إياها نعمة، فهي أحياناً تكون نقمة، فلا زالت آيات الذكر تصل إليهم.

هتف أحدهم يغضب:

- «عليك اللعنة يا (أحمد) وعلى أسرتك القذرة الحقيرة، تَبّاً لأبناء آدم الذين دنّسوا أرضنا والآن تعدوا على أجسادنا، بحق اليسوع لنذيقنهم ويلات لن ينسوها».

كان الغضبُ يملأ صدورهم، وعروقهم تشتعل ناراً في أجسادهم، وعنادهم الشديد لن يتركهم يخرجون من هذا المنزل ويتركون أرضهم ولو ماتوا وأُحرقوا عن بكرة أبيهم، ولكنهم لن يستسلموا بدون نِزال، والحرب وإن كانت قد بدأت بوادرها في الماضي فهي الآن قد اشتعلت.

وهكذا هجموا وتمردوا، فهم عفاريت أقوياء ومردة وليسوا كسائر الجن العاديين، فبرغم الألم في جلودهم، ولسعات النار التي تلسعهم مع كل كلمة مقدسة من كلمات الله سبحانه وتعالى، إلا أنهم قاوموا بكبريائهم الشديد، وتوصلوا إلى شريط المسجل، وفجأة أصبح صوت المسجل كالصرير، مما جعل (عبير) تقفز فزعة من مكانها وهي تدرك بأن هذا الصوت لا يعني سوى شيء واحد، وهو أن شريط المسجل قد انفط شريطه والتف داخل بكرة المسجل الصوتي.

صمت القرآن وعم الضيق، لا تدري (عبير) لماذا ارتعدت؟ فهي لم تنسَ وجود ملاك معها يساعدها ويحميها، ويعلمها الحكمة، ولكن لماذا انفط الشريط؟ هل المسجل قديم؟ لا إنه جديد ومن إنتاج شركة يابانية ممتازة ومشهورة.

فتحت مدخل المسجل وأرادت أن تصلح الشريط، ولكنها في محاولة يائسة أخذت تصحبه بدون أمل، فقد كان عالقاً بشكل فظيع، بقيت فترة طويلة حتى



استطاعت تحريره أخيرًا، لتدرك بأن الشريط لا فائدة منه الآن، فهو قد أُلِفَ تَلَفًا كبيرًا جدًّا، ومعه خف الألم الذي كانت تحس به يسري في وركها، مما جعل الوزير (شياط) يتسم في ارتياح، فرعيَّته عَمِلُوا كَأَحْسَن ما يكون.

كانت (منى) في غرفة الجلوس تتابع فلمًا، شعور قوي يدفعها لأن تنظر جهة الباب المفضي إلى الرواق الجانبي لغرفة والدتها، شعور قوي بأن هناك من يحدق بها، وَلِغَلْبَةِ الفضول عليها التفتت نحو الباب و يا ليتها لم تفعل، فهناك رأت أبشع وأغرب مخلوق رآته في حياتها، مخلوق بطول المترين، أسود اللون، هل هو إنسان؟ أم غراب؟ إذ بدا لها هجينًا بين الاثنين، فهو كالإنسان يقف على رجلين ولكن وجهه كطائر الغراب بحجم رأس الانسان، وعينيه حمراوان كالدم، وفي تلك اللحظة التي جحظت فيها عيناها رعبًا، فتح منقاره وخرج صوت نعاقه الحادُّ الذي مزق أذنيها، أبعدت عينيها عنه مرتعبة وغطت أذنيها وأخذت بهلع تذكر اسم الله، حتى شعرت بغياب الخيال الأسود الذي كانت تلمحه من طرف عينيها. ابتلعت ريقها ونظرت من جديد نحو الباب، لتجد الرواق خاليًا تمامًا، إلا من الذكرى القبيحة التي خلفها مكانه.

همست هلعة:

- «(جَمُون) ما هذا؟»

قال بغیظ:

- «إنهم عفاريت وقد تمردوا عليكم لأجل القرآن، ولأجل الحجاب الذي كشفته بينك وبينهم، سامحيني يا (منيتي)».

فكرت، كيف تسامحه على كل شيء؟!

فهذا الصراع الذي يعاني منه بدنها، وعائلتها قد ازداد وتفاقم أمره بسبب قلبه الذي لم يختار أن ينبض لفتاة سواها.

بالنسبة لـ (جميلة)، فقد استغربت انفرط شريط المسجل، حاولت إصلاحه دون جدوى، ولكن الإعياء الذي تشعر به جعلها تذهب نحو فراشها وكلها رغبة في أن تأخذ قسطًا من الراحة، وعندما وضعت رأسها على الوسادة لترتاح رن جرس الهاتف المجاور لسيرها، مطّت شفيتها بامتعا، من هذا الاتصال المزعج، ولكن الصوت الذي وصلها من سماعة الهاتف جعل أساريها تبتهج وهي تهتف مرحبة:

- «أم (خالد)، يا مرحبا بك، اشتقت لك يا عزيزتي».

كانت تلك صديقتها التي أمضت معها أيامًا لا تنسى في (جدة).

دار بينهما حوار ممتع انتهى بأن (خالد) يرغب في خطبة (سمية).

في أعماقها سعدت (جميلة) بذلك، ولديها يقين بأن (سمية) لن تمانع، فهي صديقة اخته (أميرة)، وتحب تلك العائلة، و(خالد) شاب صالح ومميز ومعلم فاضل.

ولكنها قالت بروية:

- «نتشرف بذلك، فمن عندي أعلى منك ومن (خالد)، ولكن عليّ أن أخبر أبا (عبد الله) أولاً و(سمية) ثانيًا لأعرف رأيهما، وبعد ذلك أخبرك، وبإذن الله تكون كل الأمور كما نحب ونتمنى».

قالت أم (خالد) بأمل:

- «بإذن الله، انتظر ردك بعد ثلاثة أيام لا أكثر، ابني مستعجل جدًّا فهو لا حديث له إلا عن (سمية)، وإن كانت الموافقة موجودة زرناكم آخر الأسبوع للنظرة الشرعية».

ضحكت (جميلة) على عجلة صديقتها وقالت بسعادة:



- «ونكسب رؤيتكم هذا هو المُنَى».

أنهتا المكالمة، والأماني تسللت برقة إلى قلب (جميلة) وهي تتخيل ابنتها (سمية) عروسًا، وبالرغم من أنها أصغر سنًا من (عبير)، ولكنها وزوجها على قناعة بأن من يأتي نصيبها أولًا فلن يقف في طريق سعادتها، حتى لو كان هناك أخوات قبلها لم يتزوجن بعد، وهذا ما حصل مع (فاتن) والآن (سمية)، وهنا تساءلت الأم في أعماقها، متى يأتي الرجل الذي يطلب يد (عبير) للزواج فهي الكبرى؟ ولماذا لم يحدث ذلك رغم جمالها؟ هل عدم إكمالها تعليمها هو فهي السبب؟

لكنها قد أنهت المرحلة الإعدادية - المتوسطة - أليس هذا كافيًا؟

هل أصبحوا في زمن الرجل يرغب فيه بالفتاة الجامعية والموظفة فقط؟

تنهدت الأم حزنًا على ابنتها (عبير) التي لم تمتلك رغبة أخواتها في إكمالهن لدراستهن، ولكنها رغم ذلك فتاة جميلة وصالحة، وسيأتي من يقدر قيمتها في يومٍ ما.

كانت (منى) تجلس تحت شجرة التفاح في الحديقة، و تقرأ رواية (غادة الكاميليا) بانسجام، وهي تتأمل كيف أن بطلة القصة التي هي في مثل عمرها قد أخذت تتبع غرائزها، و تتسلى بمُجُون مع كل رجل تشتهيهِ، إن كان لوسامته أو لثرائه، دون تفكير في العواقب!

فجأة لفت انتباهها أمر ما، فهناك ومن بين الأشجار كان شيء أبيض يسير، لا بل لنكون أكثر دقة كان يطفو، ولكنها لم تكن متأكدة مما رأيته، تساءلت ما هذا؟ هل هو لحاف طار من فوق حبل الغسيل؟ دقت نظرها أكثر فهاها ما رأيته، لقد كان رجلًا!

نعم، رجلٌ في الحديقة يرتدي اللباس الوطني السعودي، الثوب الأبيض، والغترة البيضاء والعقال الأسود.

ارتعدت فرائصها وشعرت بالرعب أكثر ألف مرة من رؤيتها لشيطانٍ مريد،
فاللص عندها خطره أشد وأقوى، ولكن هل هو لص حقاً؟

هل هو في الأساس إنسان؟

لأنه إن كان كذلك، فلماذا إذن يطفو وليس تحت أكمامه يدان؟

جحظت عيناها لتدرك بأن لا أطراف لديه، إن رأسه يستقر مباشرةً على كتفيه
بدون رقبة، وباقي جسده عبارة عن ثوب فقط.

التفت نحوها فشعرت بخنجر يخترق صدرها.

كانت عيناها جاحظتين وبيضاوين لا لون فيهما، وجهه طويلاً بذقن مدبب،
وهنا..

طاف جهتها كموجة عارمة، صرخت ورمت الرواية من يدها وولت الأدبار،
ركضت بسرعة نحو الباب، قفزت مترًا إلى الأمام وهتفت بلوعة:

- «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

نجحت في الوصول إلى الداخل، ويدها دفعت الباب بسرعة لتصفقه بسرعة
خلفها فيغلق في وجه الجني الطرفي، وهناك رآته من خلف الزجاج يطوف كالشبح
الهائم، بوجهه المخيف الخالي من الحياة.

كان قلبها يُقرع كالطبول، وصدرها يكاد ينفجر لكي تملأه بالأكسجين، فقال لها
(جَمُنُون) محذراً:

- «ابتعدي من هنا يا (منية)، فهم يريدون بك شرًا، ولا يمنعهم عنك إلا
وجودي، ولكن الوزير (شياط) قد شجعهم على الأذية».

هرولت عائدة للطابق الثاني وهي تكاد تموت قهراً على الرواية المرمية على



الأرض، والجني يطوف حولها كحارس عتيد.

بالنسبة لـ (سمية) لم يكن الرعب نصيبها، بل إن الفرح حليفها، لقد تقدم لخطبتها الشاب الذي طالما تمنته، فوافقت بدون تردد، وكذلك والدها، وهكذا تحدد موعد الزيارة بعد أسبوع، وقبل ذلك قرر والدهم أن يذهبوا في رحلة إلى مدينة (الشقيق) الساحلية في نهاية هذا الأسبوع، لتغير موجة أجواء المرض والكآبة، وتستنشق هواءً منعشًا جديدًا.

في ظلمة الليل، وقفت (منى) تنظر للممر الطويل المظلم الذي يفصل بينها وبين غرفة نومها، لماذا والدها جعل مكبس الضوء في نهاية الممر؟

فكرت في ذلك بغیظ، أي كهربائي أحقق يفعل ذلك؟ من المفترض أن يكون هناك مكبسان للضوء، واحد في أول الممر والآخر في نهايته، لو كان ذلك لما اضطرت الآن أن تسير في الظلمة حتى تصل إلى غرفتها.

فجأة ومن العدم ظهر خيال شخص أبيض كضوء النيون (مارد)، بهيئة غلام في الثالثة عشر من العمر، يقف بلّوم عند القوس المؤدي إلى غرفتها في تحدّ سافر، وابتسامة ثعلب ماکر ترتسم على شفّتيه.

ملّت من هذه الحركات، ومن تلك المناظر بالفعل ملّت منها، سمعت (جَمْنُون) يقول لها بفخر:

- «لا تخافي لن يؤذيك وأنا بداخلك أحميك».

مشّت بهدوء وقلبها رغم دقاته الخائفة، إلا أنه تماسك، وعكست ملامحها جَلَدً وهُدوء العالم، ورغم الظلمة إلا أن تلك الهالة البيضاء كانت واضحة مشعة، لمخلوق من عالم غيبي تقترب منه مع كل خطوةٍ تخطوها نحوه، والمسافة تقصر أكثر فأكثر، فتكبر هيئته لقربها منه فتصبح أكبر فأكبر.

لم يعد يفصلها عنه وعن ابتسامته المقيّنة سوى بضع خطوات، حتى أصبحت خطوة واحدة تفصلها عنه، وهو واقفٌ على يسارها، فالتفتت نحوه فجأة وهتفت بقوة وبمكرٍ أشد من مكره قائلة:

- «بسم الله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

كفقاعة الصابون اختفى، بعد أن لمحت وجهه الفزع، وهنا ساد الصمت، فأضاءت الضوء أخيرًا لتعلن ل(جَمُنُون) بأن الله دائمًا معها وسيحميها. وهكذا اتجهت إلى غرفتها والراحة تغزو قلبها، بعد أن كاد الخوف أن يوقف نبضاته.



سعادة أم كدر؟

(سمية) ووالدها لم يتعرّضا لأذى عفاريت الجن لكثرة ذكرهما، ولكن (سمية) أصبحت مكروهة أكثر من باقي سكان المنزل، فالجن أحرصوا شريط المسجل إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحرصوا صوتهما القارئ للقرآن.

(سمية) تسير بخفة وسعادة، لا جني يسكن جسدها ليؤلمها، وعريس رائع قد تقدّم لخطبتها، لذا أخذت تتبختر وتقفز هنا وهناك مُتَّجِهَةً إلى غرفتها لتأخذ كتاب (تحفة العروس) فتنهل منه كل ما يهم الفتاة العروس من معلومات.

وفي طريقها إلى هناك رأت (منى) خارجةً من المطبخ مُتَّجِهَةً إلى غرفة الجلوس، فابتسمت لها (سمية) وأكملت طريقها نحو غرفتها، وعندما وصلت، أخذت الكتاب من على مكتبها وهناك جحظت عينها وهي ترى (منى) عاكفةً على رواية (حذار من الشفقة) لستيغان زفايج بعد أن سقطت (غادة الكاميليا) في الحديقة، فهي لم تعد لإحضارها وقرّرت قراءة كتاب جديد.

هتفت (سمية) بذعر:

- (منى) أنتِ هنا؟

مظّت (منى) شفيتها بكسل ورفعت وجهها من صفحات الكتاب وقالت ساخرةً:

- «لا هناك».

قطّبت (سمية) جبينها وقالت بشك وخوف:

- «أتقولين الحقيقة؟ هنا أم هنالك؟ هل لك طيفان؟ وأيها أنتِ؟».

ضَيِّقَتْ (منى) عينيها وأخذت تتفَحَّص ملامح اختها المتوترة وهنا فهمت المغزى من وراء كلماتها فقالت بحذر:

- «هل رأيتني مرتين؟».

طَأْطَأَتْ (سمية) رأسها وقالت بحذر:

- «مَنْ منكما الأصلية؟».

هنا لم تتمالك (منى) نفسها فانفجرت ضاحكة، وقالت من بين ضحكاتها:

- «أُكَيِّدُ أنا التي تتكَلَّمُ معك، وليست شببهي الأخرى التي تتسَلَّى بكِ».

قَطَّبَتْ (سمية) جبينها وقالت بخوف:

- «ليس أمرًا مُضِحًّا يا (منى)، شببھتكَ تتجَوَّل في البيت كالشبح الهائم وأنتِ تضحكين!».

جمدت ملامح (منى) لبرهة ثم عادت عيناها لصفحات الرواية وقالت بخفوت:

- «لقد اعتدت الأمر يا أختي ومللته، ألم تعتادي عليه بعد؟!».

هَزَّتْ (سمية) رأسها رافضةً وقالت باضطراب:

- «لا، هذا الوضع غير طبيعي، والناس عليهم أن ينعموا بالراحة والسكينة في منازلهم، سأزوج قريبًا وأرحل من هنا، ولكنني أفكر فيكِ أنتِ وعائلتي، ماذا ستفعلون؟ وكيف ستبقيين وحدك في هذه الغرفة؟ إن البيت ليس وحده المسكون بل أجسادكم أيضًا».

صفعة شعرت بها (منى) على وجهها، فأختها مُحِقَّة في كلامها، وتساولاتها وخوفها، البيت مسكون، والأجساد مسكونة، نظرت نحو أختها بحزن فوجدتها تبادله نفس النظرات ثم قالت (سمية) بخُفوت:



- «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

قالتها ورحلت مع كتابها لتعود إلى مقعدها مع أحلامها الوردية، تاركَةً (منى) غارقةً في الحزن والحيرة وهي تفكر، هل رحلتهم في الغد إلى البحر كفيلة بأن تجعلهم ينسون الأحداث الغريبة التي مرُّوا بها؟ أم أن العالم الآخر يلاحقهم أينما كانوا؟

لم تجد جوابًا لتساؤلاتها، فالغد فقط هو من يحمل معه كل الأجوبة.

كان الطريق إلى مدينة الشقيق قصير، تقريبًا ساعة من الوقت قضتها الأسرة في الضحك وتبادل الأحاديث، في سيارة (GMC) كان بها (أحمد عبد الله) وزوجته (جميلة)، وبناته الثلاث (عبير) و(سمية) و(منى) أمًا سيارة ال(كاديلاك) تحمل (عبد الله) وزوجته (أسماء) وابنه (مهند) وسيارة ال(بيوك) تحمل (حسين) و(مها) وابنه الصغير (ماجد).

كان صوت (طلال مداح) ينطلق من المذياع في لحظة من اللحظات النادرة التي يسمح والدهم فيها بصوت الغناء يصدح في سيارته، إذا كان الصوت صادرًا من سيدة الغناء العربي (أم كلثوم) أو (عبد الحليم) أو (طلال مداح) رحمهم الله، أو (محمد عبده). لذلك امتلأت الأجواء بصوت (طلال مداح) الساحر وهو يقول:

كم تذكرتك سويغات الأصيل

وصدى الهمسات ما بين النخيل

وفي تلك اللحظة بالذات برزت لهم أشجار النخيل من بعيد مع خط البحر يلمع في الأفق عند سويغات الأصيل، فكان امتزاج كلمات الشعر والغناء، بالواقع الحقيقي، لعذب وأي عذوبة خلبت الألباب.

إنت في حبك وأنا في حبي
وأرى الذكرى دواء للعليل
فاتقي الله فاتقي الله
فاتقي الله في حبي يا حبيبي

هَمَس (جَمُنُون):

- «نعم يا (منيّي)، اتقي الله في حبي يا حبيبي».

تجاهلت كلماته، وجعلتُ جُلَّ اهتمامها لذلك المنظر الجميل الذي أمامها.

لم يُعد البحر خطًا فقط، بل أصبح أفقًا كاملاً، فهتفت الفتيات بحماس وهنَّ على شوقٍ ليصلن إلى الفيلا الخاصة التي اشتراها والدهن منذ سنتين، فيلا بسيطة من طابق واحد منقسمة إلى قسمين؛ جزء للنساء، وجزء للرجال. وفي خلفها بناء صغير عبارة عن مطبخ ومكان إعداد الذبائح.

كانت تطل مباشرة على البحر، يعزلها عن الناس سورٌ بعيدٌ عنها يجعل البيت والكثبان الرملية داخله، ثم من بعد ذلك يمتدُّ الشاطئ الرملي الساحر.

بعد أن حطوا الرحال، وجهزوا وجبتهم التي تناولوها بشهية مع نسيمات البحر المنعشة، اتجهت (منى) لتجلس على شاطئ البحر الرملي الناعم، شعرت بقرصات على شفتيّها فارتبكت إذ أدركت بأنها قبلات (جَمُنُون). عضّت على شفتيّها وهي تتمنّى لو تستطيع عضتها إبعاده عنها، شعرت بدغدغة على جسدها، فتوترت وتساءلت ماذا يحدث؟

سمعته يقول هامسًا:

- «كم أتمنى الحصول عليكِ على هذا الشاطئ الساحر، فقط اسبلي عينيك



واستسلمي لي».

فزعت، وخافت وهي تسمعه يدعوها إلى الرذيلة دعوةً سافرة، فهمست خائفةً:

- «هذه خطيئة».

قال مُغَوِّيًا:

- «الخطيئة الحقيقية هي أن نحرم أنفسنا».

ابتلعت ريقها وقالت بحذر:

- «قصدي أن تحرم نفسك».

صمت لحظة ثم قال بأسى:

- «ألم يخفق قلبك بعد؟ لن تجدي على وجه البسيطة قلب رجلٍ يعشقك مثلي، وسينبض قلبك لي عاجلاً أم آجلاً».

قالت بخوف وعتاب:

- «هل نسيت وعدك بأن يكون حبك طاهرًا؟».

زفر بحرارة وقال بالهم:

- «وهل أقدر على ذلك وأنا أعشقك؟».

إذن سؤال بسؤال.

ثم استطرد قائلاً:

- «صدقيني يا كياني بأنك تحبيني ولكنك تكابرين وتنكرين خوفاً من هذه العاطفة الغريبة».

فَكَّرْتُ في رده، ثم فجأةً سمعته يغني أغنية (خالد عبد الرحمن):

صدقيني قلبي يحكي لك حقيقة

صدقيني ما أرى غيرك ملاك

ولأجل وصلك باتخذ أي طريقة

ما أبالي لو طريقي لك هلاك

اتَّسعت عيناها دهشةً وقالت بصوتٍ مرتجفٍ:

- «هذه الأغنية؟! لماذا هي بالذات؟ ثم كيف عرفتُها؟ هل كنت تستمع إليها معي؟ لا تكذب (جَمُنُون) فقد كنتُ أستمع إليها في بيتنا بـ(جدة) ولم أستمع لها في (أبها) إلا مرّةً عندما...

قاطعها قائلاً بصوتٍ أجشٍّ:

- «عندما اشتغل المسجل في غرفتك فجأةً وتفاجأتِ لذلك، لقد كان ذلك أنا أَسْمِعُكَ الأغنية التي أحب والتي أراك في كل حرف من كلماتها».

صعقت وقالت بأوتار مهزوزة:

- «أين سمعتها؟ وكيف تتجرأ بأن تُسمِعني إيّاها؟».

تنهَّد وقال بحرقة:

- «سمعتها تتسلَّل من نافذة غرفتك بـ(جدة) عندما جيئت لأراك في يوم ما بعدما غلبني الشوق، أما عن كلماتها آآآه نعم يا (منيثي) أريد ذلك وهنا على هذا الشاطئ».

هتفت فَرَعَةً:



- «ما هذا الكلام؟! لست فاسقةً لأوافق، ولا أريد أن تُكرَّر مثل هذا القول البذيء الذي تفوّهت به. هل هذا مفهوم؟».

باقتضاب أجابها:

- «مفهوم».

أرادت أن تُلهيه عنها وعن مشاعره تلك، فأخذت عيناها تمشطان الأفق مع انعكاس البحر الأسود الغامض مع ظلمة الليل، وهناك رأته على سطح ماء البحر يقفون وكان البحر أرض لا مياه، جن من النساء والرجال يطوفون فوق الماء وكأنهم على حلبة تزلج.

كانت مبهورة بما تراه ولكن دغدغة رهبة تسَلَّت إلى قلبها، وهي تدرك بأن العالم الآخر يلحقها أينما كانت. سمعت (جَمْنُون) يهمس لها:

- «هؤلاء جن الساحل الذين يعيشون على البحر، وهم لا ينتمون لديانة أهل الكتاب، لا من المسلمين أو النصارى أو اليهود».

تخاطرت معه هامسةً:

- «إنهم كُفَّار. لقد سمح لهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يسكنوا البحار بينما المسلمون يسكنون الجبال».

ردَّ (جَمْنُون):

- «إن لهم ممالك عظيمة، ومنهم علماء وأطباء، كما هناك نوع غواص يغوص في أعماق لا يصل لها باقي الجن، أكثر من الدُّكْرِ عند قدومك هنا وعند السباحة، فأعدادهم رهيبة وأكره أن يروا فتنتك، فأنت لي وحدي».

ابتلعت ريقها وهي تتخيَّل نفسها الآن وقت السباحة وآلاف الأعين تُحدِّق بها، ليتها لم ترَ ما رأته لتنعم براحة البال أكثر.

فجأةً وكَسَّهْم قاتِلٍ اخترق قلبها، نظرت نحوها جنية كانت تلهو مع رجلين من الجن، نظرةً مصدومةً تعني أنني أعرف بأنك تَرَيْتَنِي.

لحظةً قصيرةً سرقت أنفاسها حتى أشاحت الجنية بنظراتها عنها وكأنها أدركت بأن داخلها عفریت قوي نبيل، وعادت تطفو فوق المياه والرجلان يحومان حولها بشقاوة.

تَعَكَّرَ مزاجها فقالت بضيق ل(جَمُنُون):

- «سأذهب لأنام، فأنا مُتعبة».

- «تُصبحين على خير يا (منيتي)».

ما أجمل السباحة في البحر برفقة الأحباب، كانت (منى) تزهو بجمالها وجمال قوامها في المايوه الأبيض والمخطط بالأسود والذهبي، فبدت به وكأنها حورية بجمال بشرتها، وشعرها الطويل يسبح معها على صفحات البحر اللامعة، التي اختلطت بألوان خيوط الشمس الذهبية.

كانت (مها) مُتعبةً رغم المرح، فالتفت حولها (سمية) و(منى) وسألتهما عن حالها. لم تُعدّ تحتمل كتمان أمرها أكثر فانهارت فجأةً وحكت لهما عن المارد (غدفان).

ابتلعت (منى) ريقها، إذ كانت تراه يسكن ظهرها وحلقها وينظر نحوها بتحدٍّ سافر.

قالت (سمية) في هلع:

- «هل تعتقدين أنه مَسَلَك؟»

توتَّرت (مها) وقالت بارتباك مُحزن:



- «لا أدري حقًا، لا أدري، ولكنني أشك في ذلك».

عَصَبْتُ (منى) على شفتَيْهَا بقهر، وأرادت أن تقطع عليها شكوكها باليقين، ولكنها في الوقت نفسه لا تريد إفساد مزاجها أكثر، بادلته (سمية) النظرات وكأنها تدرك ما دار في خلد شقيقتها وشعرت بالحزن يسيطر على أوتار صوتِ (سمية) التي أخذت تُعَلِّم (مها) أذكار الصباح والمساء، وهكذا غربت شمس ذلك اليوم الجميل مع أحاديث تُكَدِّرُ الخاطر.

في المساء كان والدها العاشق للرحلات يشوي السمك اللذيذ والروبيان بينما كانت (جميلة) و(عبير) مشغولتين بتقطيع السَّلَطات في حين تحلَّق (حسين) وزوجته وأخواته يلعبون لعبة الأونو (uno) وصرخاته تتعالى عاليًا، كلما حَقَّق انتصارًا عليهن.

كانت ليلةً جميلةً والعشاء أجمل، وبعد الشاي والسَّمَر، كلُّ منهم اتَّجَهَ إلى غرفته، وهكذا فعلت (منى) و (سمية)، بِنَدَ أن (سمية) أخرجت كتابًا لتقرأه، اما (منى) فقرَّرَت أن تستحم بالماء الدافئ لِتُزِيل آثار تعب السباحة.

وعندما دخلت وخلعت ثيابها، وأخذت تتمتَّع تحت الماء المنبثق على ظهرها بقوة، سمعت (جَمُون) يقول بطرب:

- «يا لجمالِك يا (منيتي)! جسدك الغض يتباهى تحت المياه الساقطة، ترى مَنْ منهما يداعب الآخر؟ جلدك الناعم؟ أم الماء العذب؟ أحبك يا (منيتي)».

صعقت عندما شعرت بيدها تتحرَّك رَغْمًا عنها نحو بطنها لتتحسَّسه في افتتاحان. ليست هي من تفعل! إنه (جَمُون).

انتفض جسدها وهي ترفض أن يسيطر على أطرافها، ويلمسها وكأنها عشيقته، أنزلت يدها الثقيلة بسببه بجهد كبير وهتفت بصوتٍ لاهث:

- «لا داعي لغسل شعري».

لَقَّت المنشفة حول جسدها بسرعة وخرجت، فسمعت صوته المقهور يقول:

- «لماذا خرجتِ بِعُجالة؟ هل ضايقتكِ؟»

ارتجفت باضطراب وقالت بصدق:

«نعم، ولقد أخفّيتني».

تنهَّد وقال برِقَّة:

- «أعتذر منكِ (منيتي)، لا تخافي مني».

كم تتمنى أن لا تخاف فعلاً ولكنها لا تزال تخاف من المجهول والمستقبل.



كتب الكتاب

انتهت رحلتهم البحرية وعادت الطيور إلى أعشاشها، وبعد أن تمت النظرة الشرعية بين (سمية) و (خالد)، تقرّر الحفل بعد أسبوع. وبدأوا في التجهيز لحفلة الخطوبة وكتب الكتاب، فبدأت الأسرة الاستعدادات وكان التحضير للحفل على قدم وساق.

زارتهم (فاتن) لتحضر الخطوبة، فرحوا برؤيتها ورؤية طفلها الصغير (ثامر) والذي له من العمر شهور فقط، تسامرت الأخوات معًا بعد عشاء عائلي لذيذ، ثم اتجهت (فاتن) وصغيرها وزوجها للنوم في غرفة الضيوف بالطابق الثالث، وعلى السرير لم تكن (فاتن) تشعر بالراحة، ذلك الشعور بأن هناك من يُحدّق بك، وعندما فتحت عينيها رأتَه أمام وجهها ويُحدّق في عينيها، ولد اسود صغير، قامته أعلى من طول السرير بقليل، فرأسه لا يتعدى رأسها المستلقي على الوسادة، هلعت وأرادت أن تذكر اسم الله فخرج صوتها مهزورًا حادًا كالصرير لا ينتمي لها، صوتٌ حريّ بالجني عند سماعه الضحك وليس الهرب، أدركت ذلك فبذلت جهدًا أكبر للسيطرة على خوفها، وعقلها، وصوتها، حتى يختفي ذلك الذي لا يفصله عنها سوى خطوة واحدة، وبعد محاولات عدّة، قالت بصوتٍ واضح:

- «بسم الله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

اختفى الجني أخيرًا تاركًا (فاتن) في دهشة من أمرها، وهي تفكر هل لازال منزل عائلتها مسكون؟

بل إن الجن أخذوا يظهرن ويجاهرون وليس كالسابق.

نساءلت لماذا أخواتها لم يُخبرنَها بشيء؟! هل الفرحة بقدمها وبالخطبة أنستهن؟ قرّرت أنها في الغد ستعرف كل شيء.

قرأت آية الكرسي والمعوذات ونفثت على زوجها وصغيرها وعادت للنوم.

في اليوم التالي ارتدت ملابسها وكلها عزم على استجواب أخواتها، وعندما أقفلت باب خزانة الملابس، شعرت بمن يرفعها عن الأرض بمسافة النصف متر في لحظة لم تتعدَّ ثواني، ولكنها كانت كفيلة لأن تدخل الهلع في قلبها بعد أن شعرت بدغدغة ورجفة في أعماقها أثناء ارتفاعها وهبوطها، ذكرت اسم الله باضطراب، ثم قَطَّبت حاجبيها وهي تشعر بالعجب لما آل إليه منزل عائلتها. حملت طفلها ونزلت إلى الأسفل هاربة، تناولت الإفطار ثم قالت بدون مُقَدِّمات:

- «البيت لا يزال مسكونًا، بل إن سكانه ازدادوا نشاطًا».

واضح بأنه لم يكن سؤالًا بل تقريرًا.

حَمَلَتْ فيها (سمية) و (منى) و (عبير) التي ضحكت وقالت:

- «ماذا هل تعرضوا لكِ أنتِ أيضًا؟»

قَطَّبت (فاتن) جبينها بغضبٍ وقالت لـ (عبير):

- «وهل هذا أمرٌ مُضحك؟».

أجابتها (سمية) قائلةً:

- «شُرُّ البليَّة ما يضحك».

قالت (منى):

- «إنهم يُرَحِّبون بكِ فأنْتِ من العائلة».

هنا ضحكت الأخوات ما عدا (فاتن) التي قالت مُحدِّرةً:

- «الموضوع يغم الصدر، فقصص البيوت المسكونة لا تسر القلوب».



توقّفت ضحككتهن، وتأمّلتن كلماتها، فأجابت (منى) بحزن:
- «معكِ حقّ، ولا ندري ما نهاية قصتنا».

نادت والدتهن (عبير) التي لبّت النداء، فيما حكّت (فاتن) ما حصل لها لأختيها،
فانهمر على مسمعيها كل المصائب التي حدثت في البيت وللعائلة، حتى أن
(سمية) زلّ لسانها بوجود (جَمُنُون) معهن يسمع حديثهن.

غضبت (منى) منها وتمنّت لو أنها لم تخبرها عنه أصلاً، فاختها (فاتن) من النوع
المُتشكّك ولن تُصدّق وجود جني يحدثها، وستتّهمها بالكذب ولفت الانتباه.

وبالفعل كما توقعت، مطّت (فاتن) شفّتيها وقالت بسخرية لـ(منى):
- «جني يحدثك، ما هذا الكلام؟!».

نهضت (منى) بغضبٍ وقالت بعصبية:

- «لماذا اخبرتها يا ثرثرة؟».

هتفت (سمية) بجزع:

- «(منى)، لا تغضبي أرجوك، زلّة لسان، وأنتِ يا (فاتن) هل جننتِ؟ هل
تعتقدين بأننا كاذبتان؟».

قالت (فاتن) بتوتر:

- «لا أقول بأنكما كاذبتان بل مُتوهّمتان، لعلّ الوهم سيطر على عقلك يا (منى)
بحكم أنك مراهقة وتعيشين في منزل مسكون، فأصبّت بالهلوسة».

زفرت (منى) بغیظ وقالت:

- «يؤسفني بأنك عقلانية أكثر من اللازم، وأنا شخصيتي ليست بالضعيفة حتى

أصاب بالهلوسة، ولا بالغبية حتى لا أميّز بين الواقع والخيال».

جاءها صوت (جَمْنُون) قائلاً:

- «لا تغضبي يا (مني) واخبريها بأنها ترتدي ملابس داخلية زرقاء ابتاعتها من محلات (نعومي) وقيمتها ٥٠٠ ريال».

صعقت (مني) وشعرت بالحرج فقالت:

- «كم أنت وقح؟ ثم هل أنت متأكّد؟».

قال بصوتٍ مرح:

- «نعم نعم.. سألت قرينها وهو أخبرني، هذا أمر خاص، ستعرف حينها بأنك لا تهلوسين إذ لا يمكنك معرفته إلا عن طريق جني».

ابتسمت (مني) بأمل وقالت فجأةً:

- «آه على فكرة يا (فاتن)، (جَمْنُون) يقول بأنك ترتدين ملابس داخلية لونها أزرق وابتعتها من محلات (نعومي) بقيمة ٥٠٠ ريال».

ثم عقّبت بطريقة ساخرة:

- «أتراني الآن أهلوس يا ترى؟».

الدهشة على ملامح أختها كانت كفيلة برسم ابتسامة النصر على شفتيها.

حاولت أن تنكر ولكن (مني) قالت مُحذرةً:

- «لا تنكري.. فوجهك اعترف قبل لسانك».

قالت (فاتن) بحيرة:

- «وكيف كلمك؟»

رَدَّت (منى):

- «بالتخاطر».

صمتت (فاتن) تُقَلِّب الأمر في ذهنها ثم قالت بِحيرة:

- لو لم يكن ما أَخْبَرْتَنِي به أمر لا يعرفه أحد إلا أنا، لقلت بأنك قطعًا تكلمين نفسك ومصابة بالهلوسة».

رَدَّت (منى) بضيق قائلة:

- «حسنًا ها أَنْتِ عَرَفْتِ بأنني لا أَكَلِم نفسي».

سألتها أختها:

- «وَأَنْتِ كيف تكلميه؟».

شعرت (منى) بأنها تُسْتَجَوِب فأحسَّت بالضيق أكثر، ورَدَّت بصوتٍ عَكَسَ ضيقها:

- «بالتخاطر أيضًا».

ضربت (فاتن) بكفيها وقالت باستغراب:

- «يا له من أمر عجيب».

قالت (منى) برجاء:

- «أرجوك لا تخبري أحدًا حتى لا يظنون بأنني مجنونة، فَأَنْتِ أختي ومع ذلك أَتَهَمِتَنِي بالهلوسة، فما بالك بباقي الناس».

انتفضت (فاتن) وقالت فَرِعَةً:

- «لا بالطبع لن أخبر أحداً اطمئني».

وهكذا مرّت الأيام دون أن تضايق (فاتن) (منى) التي تحاشت التحدث عن (جَمُنُون) وفضّلت الاستمتاع مع أخوتها بالأُمُور الطبيعية، والتمتّع مع طفل أختها الحبيب، حتى جاءت الليلة الموعودة التي تنتظرها (سمية) بفارغ الصبر منذ النظرة الشرعية، وهي ليلة كتب كتابها أو ما نطلق عليه في المملكة العربية السعودية اسم (الملكة) والتي تكون فيها متزوجة ولكن مع وقف التنفيذ فهي فترة للتعارف المقرب قبل حفلة الزفاف التي تتم فيها دخلة الزوجين.

كانت ليلة جميلة سطعت أضواء المنزل فيها فبدأ كأنه نجمة في السماء، حضر أهل العريس والضيوف والأقارب فأضاءت (سمية) كالقمر في تلك الليلة وهي تُزف إلى عريسها بفستان مشمسي اللون، كانت جميلة كإحدى ممثلات بوليوود الهنديات، وكان (خالد) وسيماً بملامحه الناعمة الهادئة ولحية خفيفة حول وجهه -عارض- زينت ذقته وفكه.

أصبحت (سمية) ملكاً لـ(خالد) في حفلة أنيقة وجميلة، لم يكن للجن نصيب فيها إلا بالرقص، فقد كانت (منى) تشاهد مذعورةً الجن يتراقصون بجنون مع نغمات الموسيقى، ابتلعت ريقها وأشاحت بوجهها، وخرجت من مجلس الضيوف وذهبت إلى غرفتها لترى انعكاس صورتها في المرآة وهي ترتدي رُوباً أرجوانياً طويلاً، كان مزموماً من أسفل صدرها وكامل خصرها، بعد ذلك تمازج اللون الأرجواني والأخضر التفاحي في كشكة جعلتها تبدو وكأنها خرجت من إحدى مجلات الأزياء البريطانية، تأملت نفسها ومكياجها الجميل، وفي غمرة تأملها لزينتها انعكس من بداخلها (جَمُنُون) وعيناه تلمعان في هيام وفتنة على صفحة المرأة.

نظرت نحوه مشدوهة وهو يشير بإصبعه إلى قلبه ثم نحوها إلى المرآة وصوته



يقول في هيام:

- «أحبك يا جميلتي».

ابتلعت ريقها وأشاحت بعينها عن المرأة بتوتر، وشعرت بأنها أينما تذهب ترى الجن حولها وداخلها وكأنها أصبحت في عالمهم وليست في عالمننا. صوت أمها أخرجها من مأزقها مع (جَمُون) فعادت إلى الصخب وهي توزع الابتسامات والعصير على الضيوف باذلةً جهدًا كبيرًا لأن تنسى العفاريات ورقصاتهم الصاخبة.

انتهى الحفل، وفي اليوم التالي جمعت الأستين وجبة غداء عائلية، وفي العصر ودَّعت (سمية) زوجها وحبيبها (خالد) العائد وأسرته إلى مدينة (جدة) وبعدهم بساعتين ودَّعت الأسرة ابنتهم (فاتن) العائدة مع زوجها وطفلهما الرضيع (ثامر) إلى (جدة).

كان الحزن مُخيِّمًا على الأسرة لسفر (فاتن) رغم سعادتهم بكل ما حدث من أحداث سعيدة في اليومين الماضيين، ولكن (سمية) زاد شعورها بالحزن لرحيل حبيبها، وبعد منتصف الليل جاءت (سمية) مكالمة من خطيبها بل زوجها، وكانت هذه أول مكالمة لها معه، كان الهاتف موجود في غرفة الجلوس والوقت هو الثانية بعد منتصف الليل، وكل من بالبيت نائم ما عدا (منى) التي تلقت المكالمة ونادت أختها التي لم تنم هي الأخرى، خفق قلب (سمية) لمكالمتها الغرامية الأولى، ولأنها ستسمع صوت حبيبها الذي اشتاقت إليه رغم أنه غائب عنها منذ ساعات فقط. كانت الغرفة مظلمة إلا من بصيص ضوء قادم من الممر، ومن خلال أضواء الإنارة الخارجية للشارع والتي يتسلل ضوءها عبر النافذة إلى داخل غرفة الجلوس، فبدت رغم ضوئها الشاحب وكأنها بقعة نعيم تلمع في ظلمة المكان، وبالرغم من كون النافذة في الطابق الثاني، إلا أن ضوء الشارع استطاع التسلل إليها بسهولة، فبيتهم قابع فوق ربوة مُشرقة على مساحة واسعة لا يفصله عن الشارع أي بيوت تعمل كحاجز للمناظر التي تستطيع الأسرة مشاهدتها بيسر من النافذة.

جلست (سمية) على الأريكة المجاورة للطاولة التي عليها الهاتف وتناولت سماعته وقالت بصوتٍ خجلٍ ومشتاق في نفس الوقت:

- «مرحبا».

وكان تلك الكلمة حملت كل كلمات العالم العذبة إذ قفز قلب (خالد) على إثرها فأجابها بدون تفكير:

- «اشتقت إليك».

ابتسمت ابتسامةً سعادة وإغراء فبدت أسنانها البيضاء الصغيرة تلمع بين شفثيها المكتنزين في فتنة، أرخت رأسها على حافة الأريكة وانسابت الكلمات والأشواق من بين شفثيهما وهما يقضيان ساعة من الحب الملتهب على سماعة الهاتف وأشواقهما تصارع المسافة وبُعد المكانين، كانت (سمية) تتكلم وعيناها على الحائط المقابل لها فقد انعكست عليه أضواء الشارع من النافذة التي تستقرُّ على الحائط الذي تستند عليه، كان المنظر جميلاً، حائط أبيض أصبح رمادياً مع ظلمة المكان والنافذة المفتوحة ينعكس ظلها أسوداً على الحائط، والضوء يزداد ويخفت مع حركة سير السيارات ذهاباً وإياباً، تسلَّل الهواء البديع بسلاسة إلى داخل الغرفة التي أصبحت كالعش الغرامي لهما، فأخذ شعر (سمية) يتطاير مع النسيمات العذبة والستارة تتهدأ مع النسيم، ومن بين أهداها المُسبلة مع كلماته العذبة شاهدت النافذة بإطارها الأسود وشبكها الفولاذي معكوسان على الحائط أمامها كما اعتادت عيناها أن ترى منذ ساعة مضت، ولكن هل هذا خيال قط أسود منعكس على الحائط يسير على حافة النافذة، فينعكس ظلُّه على الحائط؟!!

للحظات، لم تستوعب وكن لسعها عقرب انتفضت في جلستها، إذ تذكَّرت بأن هذه الغرفة في الطابق الثاني ومرتفعة ولا يمكن لقطة الوصول إليها! فإذاً كيف وصلت تلك القطة التي أخذ ذيلها يتمايل يميناً ويساراً؟!!

لم تُعد تفهم كلمات حبيبها إذ بدت كالمهمة، فعقلها مشغول بظلّ بتلك



القطعة، وكيف وصلت؟ بل هل هي موجودة أصلاً؟!

اشترأت بعنقها وعينيها تنظران بفضول نحو النافذة التي تقبع وراءها ناحية اليسار حتى استطاعت عيناها من زاوية الرؤية تلك أن ترى النافذة المفتوحة ومن عليها، فاكتشفت بأنه لم يكن بها أحد!

ارتجفت وأعدت بنظرها نحو الحائط الذي عكس بشكلٍ مُستفَرٍّ ظلَّ القطعة التي لا تزال تلعب بذيلها فيتمايل يمينًا ويسارًا في وقاحةٍ وتحدٍّ، بنظرة سريعة عادت عيناها إلى النافذة التي كانت خالية تمامًا، ثم إلى الحائط الذي كان يعكس النافذة وظلَّ القطعة، وهنا لم تُعدَّ تحتمل فرجة خوف تخللت عظامها رغمًا عنها فعادت بظهرها إلى الوراء وأشاحت بعينيها بعيدًا عن تلك الصورة المخيفة وأطرقت بوجهها نحو الأرض، وصوت (خالد) يسألها بحيرة:

- «هاه ما رأيك؟».

بعقل مشوش قالت:

- «هاه رأيي في ماذا؟».

- «أوووه حبيبي أعدت عليكِ السؤال مرتين؟».

اضطربت وهي لا تزال تشعر بحركات تنعكس على الحائط فقالت بتوتر:

- «آه آسفة لم أنتبه، لعلَّ النعاس بدأ يسيطر عليَّ».

قال لها بحنان:

- «أوووه سامحيني فأنتِ معلمة اعتادت على عدم السهر كثيرًا، غداً نُكمل

حديثنا ولكن في وقت أبكر، هل الساعة الواحدة صباحًا وقت مناسب؟».

لم تكن تشعر بالنعاس ولا يزال هناك ثلاثة أيام قبل أن تستأنف الدراسة، تَبَّاً لهذا البيت وسكانه الغيبين الذين أفسدوا عليها مكالمتها الغرامية الأولى؟ همست بأسى:

- «(خالد) اعذرني ولا تنسَ بأن هذه أجمل مكالمة حظيت بها في حياتي، ووقتي الذي أقضيه معك هو الأجمل والأروع دائماً».

حملت لها السماعاة ضحكته العذبة وهو يقول:

- «والأوقات القادمة ستكون أجمل وأجمل، والآن نامي يا حبيبتي، تصبحيني على خير».

بصوتٍ خافتٍ:

- «وأنت من أهل الخير».

أغلقت الهاتف فشعرت بأنها وحيدة مع الشيطان، لم تجرؤ على رفع رأسها، فقالت بصوتٍ عالٍ:

- «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم».

انتظرت ثواني معدودة قبل أن تتجرأ وتنظر إلى الحائط، لأن النافذة من الأساس لم يظهر من عليها حقاً، وهناك على الحائط كان ظلُّ النافذة منعكساً عليه وهي خالية.

خالية من أي قطة.



عين الجن

تحكيها (منى)

جاءت صديقة (سمية) واسمها (هيله) لتبارك لها خطوبتها، وكانت تعاني من سحر يمنعها من الزواج، السحر سبَّته زوجة والدها للاستفادة من راتبها كونها معلمة، ولأن الزواج سيبعدها عن الأسرة، سحرتها لثبقيها معها، وهذه القصة قد حكته (هيله) ل(سمية)، فالجني الذي يسكنها يتكلم معها تخاطراً كما يفعل (جَمُون) معي وقد أخبرها بحقيقة الأمر.

حقاً كم هي غريبة هذه الدنيا! وكم هو غريب التمازج بين عالمين مختلفين أحدهما مرئي والآخر غير مرئي!

أحدهما من طين والآخر من نار!

كانت (هالة) تخاف دخول منزلنا لأنها كما قالت عن نفسها بأنها جاذبة للجن كالمغناطيس، إلا أن أختي (سمية) طمأنتها بأنها لو تحصّنت لن تصاب بمكروه وجسدها ليس فندقاً يسكنه العشرات من الجن فهذا غير معقول! استمعت (هيله) لنصحها وقرأت أذكار الصباح وعند الساعة الخامسة عصرًا قرأت أذكار المساء ثم قَدِمَت لزيارتنا، وعندما دخلت سمعت الجني الذي يسكنها واسمه (سليم) يقول لها بدهشة:

- «وااااو بيتهم مليء بعفاريت الجن الأقوياء، وهم نصارى، إنني مسلم لذا لن يحبوني».

قالت (هيله) بصوتٍ مسموع:

- «ولكنك مسلم عاصٍ وإلا ما كنتَ خادماً للسحر».

انتفضت (سمية) وقالت:

- (هيلة) أتتكمين مع الجني الذي بداخلك؟»

قالت (هيلة) بدون اكتراث:

- «نعم هو».

تلك الحكاية أخبرني بها أختي بعد رحيل صديقتها، وزادت عليها أن (سليم) أخبر (هيلة) بأن (سمية) مُحَصَّنة من الجن بخمسة أشياء وهي أذكار الصباح والمساء، والوضوء، والصلاة، والذكر بعد الصلاة، واذكار النوم.

معلومات قيِّمة استفدت منها لاحقًا، أما ما حدث في تلك العصرية هو أنني دخلت لألقي عليها السلام وكنت أرتدي فستانًا طويلًا ناعمًا من الشيفون بلون الأحمر القاني وتفاجأت لمرأى وجهها يتوتر وهي تقول:

- «تبارك الله تبارك الله.. اذكر الله».

لم يطل بقائي دقيقتين وخرجت لأني سمعت (جَمْنُون) يقول بغضب:

- «تبًّا له، اخرجي حالًا».

لم أفهم وقتها فسألته:

- «ما بك؟».

ردَّ قائلًا والغيرة تهزُّ أوتاره:

- «هذا اللون مثير، وأنّ جميلة في الأساس وهذا اللون زادك فتنة، ذلك الأحمق صعد لجمالك تبًّا له».

سكتُ ولم أعقب ولكن شيئًا من غرور الأنثى قد تسلَّلَ إلى قلبي وشعرت حينها



بالفخر إذ لا بُدَّ أن جمالي صرع عالم الإنس والجن.

بعد ذلك أخبرتني (سمية) بأن (هيلة) حكّت لها أن (سليم) هتف بإعجاب عند رؤيته لي وقال:

- «واااا ما أجملها».

فهتفت (هيلة):

- «ما شاء الله تبارك الله.. اذكر الله».

حتى لا يصيبني بالعين، فالجن يعينون ويحسدون كالبشر تمامًا.

وهكذا رحلت (هيلة) وفي رصيدي معرفة بأنني لست الوحيدة على الأرض التي تتحدّث مع جني.



7

الوزير (شياط)

- أنا ملك من الملائكة.

بل هو عفريت من الجن.

هو (شياط)

رئيس العشيرة.



المكيدة

إنها تراه، الملاك الأبيض واقفًا أمام منضدة الزينة فتلمع هالته في أبهى صورة.

تَأَمَّلَتْهُ (عبير) كَالْمُنُومَةِ مغناطيسيًّا فسماعته يقول بصوته الْمُنَمَّقُ:

- «أنت مصدر الحكمة والشفاء، أمك المريضة تحتاج إلى لمسات رعايتك وبركتك».

قالت بصوتٍ مخلص:

- «وكيف أساعدها؟».

قال بدهاء:

- «عشبة (.....) اشترتها من البائع (بدران) من محل عطار اسمه (الغار) إنه يعرف كيف يخدمك، ثم أذيبها في الماء وبعد ذلك صفوها، واجعلي والدتك تشربها. وهكذا يوميًّا لمدة سبعة أيام تصبح حينها قويَّةً معافاة».

فرحت (عبير) وقالت بافتتان:

- «حَقًّا لا أعرف كيف أشكرك أيها الملاك الطاهر لمساعدتي؟ أرجوك أخبرني ما بها أُمِّي؟ لماذا هي مريضة؟».

صمت الوزير (شياط) لبرهة ثم قال بمكر:

- «كثرة احتكاكها بالناس ووجودها في جو اجتماعي سبب لها الإزعاج والصداع، أفضل حل لحالتها، هذه العشبة والخلوة مع نفسها، دعيها تبقى دائمًا وحدها في غرفتها دون إضاءة، فالظلمة الدامسة تريح أعصابها».

بدأت صورته تخفت تدريجيًا وصوته يبعد وهو يردد:

- «لا تنسي كلماتي... لا تنسي... لا تنسي...».

فكرت بأنها لن تنسى أبدًا ما يساعد أمها ويشفيها، اختفى الوزير واختفت معه كلماته، و(عبير) تعقد العزم على تنفيذ نصائحه في اليوم التالي مباشرة.

أقلَّ (حسين) أخته (عبير) إلى العطار الذي طلبت منه الذهاب إليه لشراء بعض الأعشاب الطبية المفيدة وحناء لأمها، وعندما دخل المحل أتتجة (حسين) إلى بعض الكريمات التي أوصته (مها) بجلبها، بينما سألت (عبير) العطار على استحياء:

- «هل أنت (بدران)؟».

نظر نحوها بدهشة ثم قال بحذر:

- «نعم».

قالت بتوتر قبل أن ينتبه لها أخوها (حسين):

- «أريد عشبة (.....)».

رفع حاجبًا واحدًا بشك ثم ابتسم ابتسامةً صفراء وقال:

- «آآه أي مرسل أرسلك إليّ؟ ثواني وأعود لك».

اختفى البائع داخل غرفة لثوانٍ معدودة ولم تفهم (عبير) قصده، لم تكن تدرك بأن هذا البائع يتعامل مع السحرة، وبأنهم يرسلون زبائنهم إليه لبيعهم أعشابًا ممنوع بيعها؛ لأنها تقوي الجن وليست تضعفهم، فهي أعشاب لا يستخدمها الشيخ بناءً على ما جاء في السنة النبوية المطهرة بل هي أعشاب خاصة بالعالم الآخر.



خرج البائع اللثيم من الغرفة الداخلية ومدَّ لفافَةً داخل كيس وقال سعرها الذي تفاجأت (عبير) لغلائه ولكن لأجل أمها ستفعل المستحيل.

تقدّم (حسين) ووضع الكريمات وسأل (عبير) عن الحناء والأعشاب فقالت بتوتر:

- «نعم لقد انتهيت».

انقد أخوها البائع النقود وخرج مع أخته وعادا إلى المنزل.

وبعد وجبة العشاء التي أعدتها (عبير)، وضعت العشبة التي نصحتها بها الملاك الشيخ-أي الوزير (شياط)- في الماء المغلي ثم صفتها واستعدت لكي تعطيها أمها. كانت (منى) ترتشف الشاي اللذيذ عندما تسَلَّ لعقلها صوتُ (جَمُون) المضطرب قائلاً:

- «لا أريد أن تصبح (جُنْيَاه) أقوى مما هي عليه».

لم تفهم القصد من كلماته وقبل أن تسأل سمعته يقول بتوتر:

- «امنعي (عبير) من أن تسقي أمك العشبة التي أوصاها الوزير (شياط) بأن تسقيها إياها، أختك الساذجة تظن بأنها ستشفى أمك بها، بينما هي ستزيد من قوة (جُنْيَاه)، فعشبة (.....) نحبها نحن الجن وتزيد من قوتنا وطاقتنا، الوزير الخبيث أخبر أختك بأن تسقي أمك هذه العشبة لمدة سبعة أيام على التوالي، وتجعلها تبقى في الظلام، ولا تصاحب الناس لتشفى، وفي الحقيقة كل هذا لكي تزداد قوة ابنته (جُنْيَاه) وسطوتها على أمك، أنجديها يا (منيتي) أرجوك بسرعة، لا أريد لـ(جُنْيَاه) أن يزداد تمرُّدها».

ارتعدت (منى) من الفكرة فتركت كوب الشاي من يدها وركضت فجأةً بطريقة جعلت (سمية) تهتف بها:

- «ماذا هناك؟».

لم تعرها (منى) بالأل، فالمهم الآن أن تنقذ أمها من تلك العشبة الخبيثة التي ستقدمها لها ابنتها الساذجة.

دخلت غرفة أمها الغارقة في الظلمة بدون استئذان وعبر ضوء الممر رأت أمها تجلس على سريرها وأختها واقفة كالشيطان فوق رأسها تمدُّ لها كوابٍ يبدو في نظرها كالسُم وصوت (عبير) يقول:

- «هذه أعشاب مفيدة للصداع، اشربها يا أُمِّي».

ركضت (منى) كالمجنونة نحو أختها وأمسكت يدها قائلةً بصرامة:

- «توقفي! هذه الأعشاب ضارة وغير نافعة».

في لحظة اشتعلت عينا أختها ورغم الظلمة تكاد (منى) تقسم بأنها رأت عيني أختها تبرقان وتشتعلان كالنيران المستعرة، فعينها السوداوين كانتا حينها صفراوين كعيني القطط بشق طولي، والغضب يعترها، والقسوة تكسو ملامحها، قالت بصوتٍ عنيفٍ:

- «لا شأن لك».

ارتجفت (منى)، فمن كان غاضبًا وينهرها ليس سوى الوزير (شياط).

استجمعت (منى) قواها وقالت بإصرار:

- «صلي على النبي يا (عبير)، الصداع لا ينفع معه سوى حبة البركة، وزيت الزيتون، والمسكنات الطبية، أما عشبة (.....) لم يذكرها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الطب النبوي أبدًا».

ذكر الله أعاد (عبير) لوعيتها وحلَّ بدل الغضب الذهول، فقالت بتوتر:



- «كي.. كيف عرفتِ بأمر العشبة؟».

نظرت نحوها (منى) بغموض وقد أدركت بأن أختها عادت لطبيعتها، فالوزير (شياط) لا يسكن كامل بدن أختها وإن كان قبل لحظة احتلها بالكامل، فهو يخرج ويدخل وقتما يشاء وليس مرتبطًا بشدة بهذا الجسد.

أشاحت بنظرها عنها ونظرت نحو أمها لترى التوتر في عينيها فأدركت بأن (جُنَيَّاه) قد خسرت هذه الجولة.

اقتربت من أمها ومثلما فعلت مع (عبير) فعلت مع أمها إذ قالت:

- «صلي على النبي يا أمي الحبيبة واجلسي مع عائلتك، الأنس والجو الاجتماعي والعائلي، يسبب الراحة النفسية وبدورها تبعد عنك الصداق، فبقاؤك في الظلمة لن يورثك إلا الهم».

هتفت (عبير) مدافعةً:

- «ولكنها تحتاج إلى الراحة والهدوء».

التفتت نحوها (منى) بجدة وقالت بعتب:

- «بأن تبقى وحدها كل ليلة؟ لا تنسي بأن بيتنا لا يوجد فيه أطفال وبالتالي لا إزعاج فيه، فأني هدوء تنشده في غرفتها وهي بإمكانها أن تنعم بالراحة جالسةً مع أبي في غرفة الجلوس، وتشرب الشاي مع أسرتها الهادئة؟».

أطرقت (عبير) رأسها ووجدت بأن كلام أختها منطقي ولكنه يخالف كلام الملاك.

حسمت أمهما النقاش حينما قالت:

- «أعتقد بأن (منى) مُحِقَّة، فبقائي وحدي يسبب لي الضيق والكآبة، أنا أفْضَل

أن أتسامر معكن، هيا بنا».

خرجت الأم بينما بقيت (منى) و (عبير) تتبادلان النظرات المُتفحّصة. قالت (منى) بحذر:

- «احذري يا (عبير)! فالأنبياء فقط هم من يرون الملائكة ويتكلمون معهم».

ارتجفت (عبير) وصعقت من كلام أختها وبدون وعي هتفت:

- «كيف عرفتِ؟!».

قالت (منى):

- «عرفت وكفى».

هزّت (عبير) رأسها بخوفٍ وقالت مرتبكةً:

- «لا مستحيل، أنتِ (مخاوية)».

تردّدت كلمة (مخاوية) في رأس (منى) وهي تستشعرها للمرة الأولى وتدرّك معناها، أهي حقًا مخاوية؟ وماذا تعني مخاوية غير ذلك؟

فالمخاوي هو من له خوي ورفيق من الجن يخبره بكل شيء ويساعده، لم تستطيع للأسف أن تنكر فقد انعقد لسانها.

قالت بعد تردّد:

- «هل سألتِ نفسك لو كنت بالفعل مخاوية فلماذا أكون كذلك؟ أليس لأن هذا البيت مسكون؟ فإذاً من ترين هو جني يخدعك، ومن يؤلم أمك هو جنية تسكن جسدها، ومن يخبرني بكل شيء جني آخر».

ارتجفت أختها من المعلومات التي انهالت على رأسها فهزّت رأسها مُستنكرةً



وقالت باضطراب:

- «ما هذا الهراء الذي تتفوّهين به؟ أعرف أن البيت مسكون، ولكن أن يكون كل شيء في حياتنا مرتبط بهم؟ مستحيل، أنا أشاهد ملاكًا».

قالت (منى) بسخرية:

- «ملاك! وهل صدّقت ذلك؟».

هتفت أختها بغضب:

- «ماذا؟ هل تعنين بأن لا هبة لدي؟ وأن من المستحيل أن يرزقني الله رؤية ملاك صالح؟ ولم لا؟ أنا إنسانة صالحة».

كم كرهت (منى) سداجة أختها وعدم تطويرها لذاتها في تلك اللحظة، ورغم أنها أصغر منها سنًا إلا أنها هتفت فيها بصرامة:

- «مهما كنتِ صالحة فلستِ بدرجة صلاح الأنبياء، أفيقي من غفلتك ولا ترتكبي ذنبًا عظيمًا، أنتِ لستِ نبيًا، ومن ترينه عفريت من جن هذا المنزل، بل إنه رئيسهم، يريد أن يخدعك ويوهمك بأن بيدك الشفاء وشيئًا فشيئًا حتى تصبحي مشعوذة».

صرخت (عبير) في دعر ووضعت كفّها على فمها وهي لا تُصدّق ما سمعته أذناها، أمعقول ما تقوله أختها؟! أحقًّا هي تنساق لبرائن السحرة والشياطين؟ هي المؤمنة بالله، دمعت عيناها وقالت بغلّ:

- «مجنونة، أنتِ تهلوسين، وتغارين أيضًا».

قالت (منى) بتحدّ:

- «أهلوس وأغارًا! أحقًّا؟ إذن لنختبر الملاك الذي ترين عندما يظهر لك من

باب الإيمان المشترك بيننا وبين الملائكة، اذكري الله أمامه على سبيل المؤازرة، لماذا لا تقرئين آية الكرسي أو تسبحان الله معًا، وحينها ستعرفين إن كان ملاكًا أم عفريتًا مخادعًا ينفر عند ذكر الله، ولكن وقتها إن كنت أنا على حق، عديني بأنك تستمعين لكلامي وليس لكلامه».

نظرت (عبير) بشك نحو (منى) التي هتفت بجِدَّة:

- «عديني».

انتفضت (عبير) وقالت بتوتُّر:

- «أعدك».

في تلك اللحظة سقط كتاب والدها من على الرف فانتنفضت الأختان وهتفتا مَعًا:

- «بسم الله».

بعد برهة صمتٍ قالت (منى) بخفوت:

- «هل صدقتيني الآن؟ يبدو بأن كلامي قد أزعج رعايا العفريت الذي يخدعك».

ارتجفت (عبير) بخوفٍ وهي تشعر بأن اختها مُحِقَّة، ولكن الحقيقة القبيحة التي كشفتها أمامها إن كانت صحيحة فعلاً، فهي من القبح بحيث لا تقوى على مواجهة بشاعتها.

وعندما همَّتا بالخروج كان (جَمُنُون) يدرك بأنه قد ورَّط نفسه مع الوزير وابنته وبأنه قد أصبح في خانة الأعداء الواشين، ولكن الذي أدركه أكثر هو قوة شخصية



(منية) التي يحب، فهي واجهت أختها دون أن تخاف من الوزير (شياط) أو من عفاريت هذا المنزل المسكون، إنها حقًا تستحق أن تكون حبيبة وليّ العهد».



لا للطهارة ولا للذكر

لم تُعَد (مها) كما كانت، إنها واثقة من ذلك، فهذا الخمول والألم الذي يتنقل من حلقها إلى ظهرها ثم إلى بطنها، يُشعرُها بأنها عجوز في السبعين وليست شابة في السادسة والعشرين.

سئمت هذه الحياة، فكم تتوق لنشاطها القديم، إنها حتى أثناء شرحها الدرس لطالباتها في المدرسة التي تعمل بها تشعر بقدميها لا تكادان تقويان على حملها، فتجلس على الكرسي وتتابع الشرح، ماذا جرى لها؟

أين عنفوان الشباب؟!

تنهدت بحزن وتذكرت صلاة العصر، لقد أصبحت تتكاسل عن الصلاة، أين تلك العابدة التي لا تؤخر صلاتها؟!

ثم إنها لم تُعَد تهتم كثيراً بالنوافل وقيام الليل كما في الماضي، وهذا يضايقها كثيراً، إنها مُتدبئة والآن أصبحت مهملة في عبادتها، لكنها لم تترك فرضاً من صلاتها، إلا أنها أصبحت تتأخر في أدائها، فكرت بأن عليها أن تكابر الوسوسة التي تؤخرها عن القيام بصالحها.

نهضت تجر جر ساقها الثقيلتين نحو المغسلة المجاورة لدورة المياه لتتوضأ، وعندما فتحت صنبور المياه وانسكب الماء، أدخلت كفيها تحته وقبل أن تذكر الله لتبدأ الوضوء، سمعت صوت صرير باب الحمام الذي وصل إلى أذنيها فالتفتت ببطء وحذر نحوه.

وهناك كان باب الحمام يُفتح ببطء ولوحده، ومن الداخل كان الظلام الدامس إلا أن زوجاً لست أعين حمراء أخذت تُحدّق بها من فتحة الباب، ارتجفت فلم تقوَ لا على الهروب أو التجاهر أو أي شيء آخر.



حالة من الصدمة أدخلتها في عدم الاستيعاب والتصديق حتى سمعت صوت خوار عالٍ قادم من الحمام كخوار ثور هائج.

هنا استجابت حواسها فأشاحت بعينيها عن الباب واغمضتهما وقرّرت بأنها لن تهرب، فالهروب لا يفيد، بل ستتوصّأ وتلجأ لرب العالمين، وعندما فتحت عينيها وهمت بالوضوء من جديد، عاد الخوار أعلى من قبل، فارتجفت وتوقّفت، وعند ذلك، توقّفت الصوت ففهمت بأنه غاضب لوضوئها ولا يرغب بأن تتابع الوضوء.

فابتعدت عن المغسلة وعند ذلك بدأت العين الحمراء في الابتعاد إلى داخل الحمام والباب الموارب أخذ طريقه في الإغلاق حتى اختفى مسرح الأحداث المخيفة تمامًا.

وهنا فقط هرعت لغرفتها فوجدت (حسين) يحلق ذقنه في مغسلة حمامهما الخاص، فقرّرت أن تستغل فرصة وجوده فذكرت اسم الله ودخلت لتفصل بجسدها بينه وبين المغسلة، وشرعت في الوضوء وزوجها بجوارها الذي أخذ يضحك من سطوها عليه، ولكنها واصلت الوضوء وهي على يقين بأن الجن لن يمنعوها من الوضوء وزوجها معها، ولن تتوقّف عن العبادة والصلاة ولا الطهارة.

ولكنها بعد أن انتهت وخرجت من الحمام مادت بها الأرض وسقطت مغشيًا عليها.

هرع نحوها (حسين) بهلع وأخذ يهتف فرعًا:

- «(مها)، (مها)، ما بك؟».

انتفضت كمن مسها فولت كهربائي، انتفاضة عجز (حسين) في السيطرة عليها، فشعر بالعجز والهلع مما جعله يركض لشقة أخيه (عبد الله) الذي هاله مرأى الفرع على أخيه، فانطلق معه إلى منزله وبالرغم من معرفة (حسين) من أنّ زوجته بدون حجاب إلا أنه في ذلك الوقت لم يبالٍ إلا بسلامتها.

عند وصولهما توقّفَا وعيناهاما تجحطان ذعرًا وصدمةً.

ف(مها) لم تُعد في مكانها !

كانت ترتفع عن الأرض بمسافة متر مُمدّدة على الهواء والانتفاضة قد توقّفت تمامًا.

هتف (عبد الله) المتديّن:

- «بسم الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم».

وكمَن حَرَّرها من أسرها حَرَّرتها كلماته من معقلها فسقطت على الأرض ولكن لتعود للانتفاض من جديد.

أدرك (عبد الله) بأن زوجة أخيه ممسوسة، فهتف بأخيه:

- «ثبتها جيّدًا بالأرض».

وبرغم توتُّره، إلا أنه انصاع لأمر أخيه الكبير، فثبَّت زوجته بقوة كلفته كل جهده فهي لم تُعد (مها) الرقيقة، بل أصبحت هائجة كالثور، وبعد أن ثبّتها (حسين) بجهد جهيد أمسك أخوه (عبد الله) المتدين رأسها بقبضة يده اليمنى وأخذ يقرأ عليها من آيات الذكر الحكيم وانتفاضات جسدها تزداد وتزداد حتى همدت أخيرًا وانخمدت بلا حراك كالمغمى عليها.

حملها (حسين) الواجم الوجه ووضعها على سريرها وبعينين مصدومتين نظر نحو أخيه الكبير الذي قال له بوجوم:

- «(حسين) زوجتك ممسوسة وتحتاج لعلاج روحي».

طأطأ (حسين) راسه بهمّ وقال بخُفوتٍ:



- «نعم رأيت ذلك وسأتصرف، ولكن أرجوك لا تخبر أحداً خصوصاً زوجتك، لا أريد أن تصبح زوجتي علكة في أفواه الناس يلوكونها ويتسلّون بها».

تفَهَّم (عبد الله) رغبة أخيه واحترمها ووعدته بالكتمان ثم خرج تاركاً أخاه غارقاً في بحرٍ من الحزن والحيرة.

في صفوف الدراسة أمضت (منى) أيامها كما اعتادت، تدرس وتقضي وقتاً طيباً مع صديقاتها قبل أن تعود إلى منزلها لتقضي وقتاً طيباً مع عائلتها ووقتاً عصيباً مع الجن ومكائدهم.

انتهى الدوام المدرسي وكانت تنتظر في بهو المدرسة الداخلي سيارة أخيها (حسين) ليقلها، وفي تلك الأثناء سمعت الحارس ينادي باسم صديقتها (لجين)، بحثت بناظريها عنها فلم تجدها، فوجدت من واجبها نحو صديقتها أن تبحث عنها لتخبرها بأن سيارتها تنتظرها في الخارج.

بحثت في الباحة فلم تجدها فقرّرت أن تصعد إلى غرف الدراسة في الطابق الثاني فربما تكون صديقتها لا تزال في فصلها، وهكذا دخلت إلى المبنى الدراسي فسمعت أصوات جلبة الطالبات ومزاجهن وحركة تحرك الطاولات والكراسي منبعثة من الطابق العلوي ومعلمتها المصرية (ريهام سلامة) العصبية تهتف بالطالبات:

- «(بس يا بنت أنتِ وهيه)».

فادركت بأن بعض الطالبات لا يزلن في الأعلى ولم يتّجهن إلى بهو المدرسة لسماع نداء الحارس عليهن، وربما تكون (لجين) من ضمنهن، وهكذا صعدت الدرجات إلى الأعلى قاصدةً غرفة الصف التي ربما (لجين) بها. وعندما وصلت إلى الطابق الثاني، توقّفت على إثر الصدمة التي ألّمت بها، فهناك كان المكان يعمّه الصمت والهدوء الشديد!

لم تُصدّق ما استنتجه عقلها، فسارت بخطوات مرتجفة نحو غرف الدراسة لتشاهد بما لا يدع مجالاً للشك الفصول الفارغة التي لا يوجد فيها حتى طالبة واحدة، وهذا يعني بأن الأصوات كان أصحابها...

تسلّلت الإجابة إلى عقلها من (جَمْنُون) الناعس وهو يقول:

- «إنهم رعايا الوزير (شياط)».

ابتلعت ريقها وهمست قائلةً:

- «حتى هنا في مدرستي؟! بسم الله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ثم دارت على عقبيها وحاولت أن لا تجري، ولكن الضحكات الشيطانية وشعورها بطاقة كهربائية انتشرت على عمودها الفقري جعلها تُهرول في هلع على درجات السُّلم لتخرج من هذا المبنى الخالي إلا من عفاريات الجن برعاية الوزير المُتجَبّر (شياط).

ركضت حتى وصلت إلى بهو المدرسة فسمعت اسمها يتردّد في الردهة مُعلنًا وصول أخيها (حسين) ليقفلها إلى المنزل الذي لم يكن أكثر أماناً من مدرستها.



برائن الجن

(فاتن) سعيدة في فلتها الصغيرة التي تؤويها مع زوجها وابنها (ثامر) الذي كبر الآن وأصبح يحبو مما جعله أكثر خطراً على نفسه، وهذا جعل (فاتن) مشغولةً بمراقبته والالحاق به طوال اليوم، وعندما حان موعد النوم حملته بين ذراعيها ووضعتة على سريريه المجاور لسريرها واستلقت على فراشها بجوار زوجها ونامت نومًا هانئًا، وفي الصباح الباكر صلت صلاة الفجر وأرضعت طفلها في حين ودعهما زوجها منصرفًا إلى عمله.

أنهى (ثامر) رضعته وعاد إلى النوم فاحتدت به (فاتن) وعادت لتنام على سريرها الوثير.

كانت تغط في النوم ولكن شيئًا ما جعلها تستيقظ، ففتحت عينيها فجأة، كان الظلام شديدًا إلا من نورٍ شاحبٍ لأشعة الشمس، استطاع أن يخترق الستائر الثقيلة فنجح في مدِّ نورٍ خفيفٍ كان كافيًا رغم ضعفه بأن يجعل عينيَّ (فاتن) تحملقان بذعر في تلك الأعين الصفراء المشقوقة بالطول كأعين القطط، أعين انتشرت على الحائط المواجه لسريرها، أعين لأشخاص لا وجود لهم، فلا رؤوسهم ولا أجسادهم ظاهرة، فقط زوج أعين لسبعة أشخاص.

خافت وغرقت في عرقها وانعقد لسانها من الصدمة، تمتَّت أن يكون حلمًا لذا أغمضت عينيها وهي تتوقَّع بأنها لو فتحتهما ستكون في مكان آخر، ولكن للأسف عندما فتحت عينيَّها عرفت بأنها لا تزال في غرفتها صاحبةً واعيةً تُحدِّق في تلك الأعين الماكرة والتي أخذت تسبح في الهواء وتتقدَّم منها مما جعلها تهلع وتخاف أن ينال منها أصحاب الأعين ومن ابنها.

ابنها!

عند هذه النقطة تشجعت، فابنها أولاً وأخيراً، لذا حرّكت لسانها الثقيل لتلهج باسم الله مُستعينةً به، مُستغينةً به.

توقفت الأعين مُعلقةً في الهواء وحلّ محلّ النظرة الماكرة، نظرةً مُتوتّرةً، فتشجعت وأكملت:

- «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم».

تبخّرت واختفت الأعين كفقاعة صابون أو كهلوسة لحظية، كوهم صوره عقلها ثم رحل مخلفاً وراءه (فاتن) تُفكّر فيما رأيته، وتتذكّر حال بيت عائلتها وما اتهمت به اختها من الهلوسة، تذكّرت ذلك المنزل بعفاريته وشعرت للحظة وكأنها انتقلت عبر المسافات إليه وأصبحت في داخله ترى ما يعجّب به من عفاريات الجن.

ابتلعت ريقها ونهضت نحو الراديو واختارت إذاعة القرآن وجعلت الصوت خافتاً حتى لا يوقظ ابنها الصغير، وعادت تنسلّ داخل فراشها وهي تسأل الله أن يصرف هؤلاء الماكرين عن بيتها وعائلتها الصغيرة، وتعود من حيث جاءت، فإنها تكاد تجزم بأنهم زوار من بيت والدها المسكون في (أبها).

مرّت سبعة أيام لم تصنع فيها (عبير) العشبة لأُمها فقد مال قلبها لنصيحة أختها (منى) رغم تردّدها وخوفها من أن تكون قد أغضبت الملاك إن كان حقّاً ملاك، فمن يدري لعله عفريت كما قالت اختها (منى)، سبعة أيام هي المدة التي كان يجب أن تسقي فيها أُمها العشبة ولكنها لم تفعل، وحينما استلقت على سريرها لتنام، ظهر لها الملاك من جديد، بلحيته البيضاء الناصعة وهالته المضئية، ارتجفت رغماً عنها بخوف هذه المرة، فهي الآن تنظر نحوه بشك، أُملاك هو أم شيطان؟

وكيف ستعرف؟



تذَّكرت كلمات اختها لها عن ذكر اسم الله والتسبيح، ولكن أتجراً على فعل ذلك؟

قطع عليها حبل أفكارها عندما قال لِيُدْخِلِ الطمأنينة إلى نفسها:

- «السلام عليك يا (عبير)».

فكَّرت (عبير) تحية الإسلام!

- «إنها المرة الأولى التي يُسَلِّم عليها، ردَّت السلام قائلةً:

- «وعليكم السلام».

قال لها بعتاب:

- «لماذا يا (عبير) حرمتِ والدتك التي أنجبتك، وربتك من فائدة العشبة الطبية؟ لماذا استمعت لأختك الصغيرة المراهقة وتركت نصائح العظيمة، لماذا؟».

ابتلعت ريقها وقالت بصوتٍ يرتجف:

- «لا أدري.. كلامها أربكني».

طأطأ رأسه في وقار وقال برصانة:

- «كم أنت طيبة القلب، لذا أنا لست غاضباً منك على أن تبدئي من الغد في معالجة والدتك المريضة».

ارتجفت (عبير) وحات في أمرها، ولكن ليرتاح قلبها من هذه الحيرة قرَّرت أن تقول رغم صوتها المضطرب:

- «الملائكة تحفُّ مجالس الذكر أليس كذلك؟ وهم يُكثرون من التسبيح؟».

صمت برهة ثم قال بحذر:

- «أجل».

قالت بسعادة وكلها أمل في أن يكون بالحق ملاك:

- «إذن لنذكر الله معًا».

وبدون ثانية تضييعها هتفت بصوتٍ عالٍ متفائلٍ:

- «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك».

لماذا لا تسمع تسبيحه؟!

كان مُتَجَهِّمُ الوجه منتفخ الأوداج، فارتعدت فرائصها، فأكملت بصوتٍ خافتٍ:

- «سبح قدوس رب الملائكة والروح».

تشوّشت الصورة أمام عينيها واختفى تمامًا...

ورحل الوزير (شياط).

فادركت (عبير) بأنه عفريت ماهر، ولا يمتُّ بصلةً للملائكة الطاهرين. وحينها ارتعدت وبكت وأخذت تنتفض على سريرها، وهي تتذكّر كلمات أختها (منى) التي أنقذتها من براثن الجن التي كادت أن توقعها في الشرك، وفي أذية والدتها.



نامت بتعب، وبعد 4 ساعات نهضت منهكةً وذهبت إلى الحمام، وهناك عاد لجسدها الوزير (شياط) المستشيط غضبًا، فرجعت إلى فراشها وآلام مبرحة تشتعل في ساقها..

آلام شديدة أقعدتها عن العمل في اليوم التالي.

لعلَّ الأسبوع التالي بتجهيزاتهم للسفر إلى (جدة) لقدم إجازة الحج قد أنسى (غير) وأشغلها عن همها، ولكنها لم ولن تنسى ما وعدت به اختها (منى) من أن تستمع لنصائحها دائمًا، وأن تحذر العفريت المخادع.

والآن غادروا منزلهم المسكون في رحلة إلى عروس البحر الأحمر إلى (جدة) البهية ليقضوا فيها أسبوعين بعيدًا عن الوزير (شياط) وعفاريت الجن.



8

الحب يطرق باب القلب
يتخلَّل الحب عظامنا وأرواحنا ويصبح
مختلطًا مع الدماء في عروقنا.
إنه الحب عندما يطرق باب القلب بدون
استئذان.



المأزق

وصلت العائلة إلى جدة وكانت (سمية) في أشدّ الشوق لزيارة بيت خطيبها أم نقول زوجها؟

كانت ليلة ربيعية و(جدة) في فصل الربيع تختال بجو معتدلٍ أقرب إلى البرودة، وتتخلّص من حرارتها الشديدة المعروفة.

ارتدت (سمية) فستاناً أحمر قاني كلون الدم، فبدت كزهرة جورى في بستان من الشوق العارم، فهناك سترها في بيئته التي اعتاد عليها، وليس في بيت عائلتها كآخر مرّة.

أمّا (منى) فقد ارتدت فستاناً قصيراً من الدانتيل الأزرق الداكن، بدت بشرتها البضاء فاتنة من فتحات الزهور التي تمثل قماش فستانها، والتي هي بدون بطانة حول نحرها، وربع ظهرها، وأكمامها الطويلة، تزيّنت بماكياج ناعم وردي، وارتدت حذاءً وردياً، وحملت حقيبتها الوردية من (شانييل)، كانت آيةً في الجمال بحيث وصل إليها همس (جَمُنُون) وصوته المفتون القائل:

- «ما أجملك! أنت فتنة تمشي على الأرض».

ابتسمت لإطرائه فقد كانت تعرف بأنها جميلة جداً.

وصلوا جميعهم إلى عائلة (خالد) الثرية، والمعروفين بالكرم وطيب الأخلاق، وكان منزلهم في حي الشاطئ آية من الجمال بطابق واحد فسيح يحوي العائلة التي كل أبنائها من الذكور ما عدا ابنة واحدة وهي (أميرة) صديقة (سمية) التي لم تكن المرة الأولى لها في زيارة هذا البيت، فقد حضرته عدّة مرات في الماضي لتدرس مع صديقتها (أميرة) وهكذا بدأت العلاقة بين الأسرتين بسبب صداقة الفتاتين.

بعد العشاء اللذيذ جلسن يشربن الشاي وبالمثل فعلت (منى) التي بدأت تشعر بالنعاس، فقَرَرَت أن تتمشَّى قليلاً لعلَّ الكرى يذهب من عينيها، استأذنت و نهضت واخذت تتمشَّى في بيتٍ هو تحفة من الذوق والفن، وكانت قاصدةً الحديقة كما أخبرت الجميع والتي ستمشَّى فيها برهة من الوقت ثم تعود لمجلس النساء من جديد.

كانت الحديقة رائعة مصممة بطريقة تعكس ذوق أهل هذا المنزل الجميل، سحبت (منى) نفساً عميقاً من الهواء العليل الذي اختلط برائحة الزهور والبحر.

- «آآآه كم أعشق رائحة البحر».

همست بذلك وهي تغبط أهل المنزل لسكنهم بالقرب من البحر، شعرت بالفرق بين البيئتين، فهم أهل الجبل وهؤلاء أهل الساحل وكلا البيئتين تعشقهما.

مياااااااااو .. مياااااااااو.

صوت مواء قط يصل إلى أذنيها، ولكنه مواء قط يتألم.

تبعث مصدر الصوت فدارت خلف المنزل لتراه قَطًّا صغيراً في أعلى الشجرة محشوراً بين غُصنيها.

هتفت (منى) بحزن:

- «يا للمسكين».

فكرت بأنه يحتاج إلى المساعدة، ولكن كيف؟

لم تجد طريقةً إلا أن تتسلَّق الشجرة بنفسها وتُخلِّصه من مأزقه، عزمت أمرها وخلعت حذاءها ذا الكعب العالي، ذكرت اسم الله وبدأت تتسلَّق، وبرغم فستانها الضيق القصير إلا أنها استطاعت أن تصل إلى القطة المسكينة، وبصعوبة استطاعت أن تُحرِّرها من بين الغُصنين.



قطة جميلة عسلية اللون صغيرة الحجم، أمسكتها بيدٍ واحدة بينما الأخرى تُمسك بجذع الشجرة حتى لا تقع، أدركت بأن عليها أن تنزلها معها وهكذا بدأت في خطوات النزول، فجأةً انزلقت قدمها فسقطت من على الشجرة، إلا أنَّها في لحظة سريعة أمسكت بأحد أغصانها الكبيرة بيدها الحرة لأن الأخرى لاتزال تُمسك بالقطة.

وهكذا أصبحت مُعلَّقةً في الهواء يفصلها عن الأرض أكثر من مترين والحامي الوحيد لها بعد الله هو قوة يدها على تحمل الألم وهي مُعلَّقة بهذا الشكل.

شعرت بالذعر والحيرة فهي لن تستطيع القفز من هذه المسافة، فهي بذلك ستكسر قدمها بالتأكد، عضت شفتيها بألم والدموع تكاد تخرج من محجريها. لا.. لا تستطيع الاحتمال أكثر، ذراعها ستتمزَّق من الألم.

صرخت طالبةً النجدة:

- «النجدة ساعدونيييييي».

لا مُجيب. صرخت مرَّةً ثانيةً بيأس:

- «أرجوكم ساعدونيييي سأقع».

ناجت ربهَا في أعماقها:

- «ساعدني يا إلهي أرجوك».

استجاب الله لمناجاتها، إذ رأت بابًا زجاجيًا من النوع الذي يسحب عند فتحه يخرج منه شاب، نعم شاب.

ارتجفت في خجل وندبت حظها إذ لم يستمع لها سوى رجل!

كيف تتصرَّف وهي الآن بدون عباءتها وخمارها؟

يا له من موقف محرج، ولكن أربطة ذراعها تكاد تتمزّق مما جعلها في تلك اللحظة ترغب بالخلاص وكفى، ولا يهتمها الآن من يكون منقذها.

تقدّم الشاب وهو في دهشة كاملة؛ فتاة مُعلّقة على الشجرة!

اقترب ليرى بوضوح فتاة كالحوريات إن كان للحوريات وجود، اقترب أكثر فأدرك ورتبتها، فهي تحمل قطعة بيدٍ والأخرى تُمسك بها الغصن، فخمن بأنها تسَلّقت لُثمسك بالقطعة، يا لها من مراهقة مُتهوّرة!

فكّر كيف يستطيع مساعدتها؟

إنها مرتفعة، وبالرغم من قامته الطويلة إلا أنها بعيدة عن مرمى يديه.

نظرت نحوه في رجاء وهتفت:

- «أسرع أرجوك لم أعد أحتمل أكثر».

قال لها بصوته الأشج الرجولي:

- «إرعي لي القطعة أوّلاً».

هتفت باستنكار:

- «ماذا؟ مستحيل، لم أنقذها من مصيدة الشجرة لتموت سقوطًا».

فَهِمَ الأمر.. إذن هي لم تتسلّق الشجرة لُثمسك بقطعة وتلعب معها، بل لتنقذها. ابتسم برقة ثم هتف بعزم:

- «سألتقطها، أعدك، فأنا بارع في ذلك».

فكّرت سريعًا وشعرت بأنه قادر على ذلك، ولكي تكون صريحة مع نفسها فهي



تدرك بأنها بحاجة ماسة ليدها الأخرى لتساند يدها المُمسكة بالغصن، هتفت مُتوسِّلةً:

- «إذن أرجوك التقطها جيِّداً، سأكره نفسي إن أصيبت بمكروه».

ضحك بخفة وهتف:

- «ألم تسمعي بأن القلط لها سبعة أرواح؟ إنها تقف على قدميها عند سقوطها، فكري في نفسك أنتِ، ومع ذلك أعدك.. ارميها نحوي وسترين بأني بارع، هيا أسرع».

سحبت نفساً عميقاً رغم ألمها وهتفت مُنْبِهَةً:

- «إنها صغيرة الحجم، فانتبه لها».

لا يدري لماذا شعر بمتعة كبيرة للقصة التي دخلت حياته بدون سابق إنذار؟ قال مُؤكِّداً بمرح:

- «سأحرص عليها وكأنها ابنتي، هيا لا تخافي».

ذكرت اسم الله ثم ألقته نحوه وبأنفاس محبوسة راقبتها وهي تموء بذعر وتطير في الهواء ليلتقطها الشاب بين يديه ثم يضعها برقة على الأرض.

تنهدت بارتياح ثم مدَّت يدها الأخرى لُتمسك الغصن، لم يكن ذلك سهلاً ولكنها بعد محاولتين استطاعت ذلك، فشعرت بالراحة لأن الضغط تورَّع على كتي ذراعيها هتفت قائلةً:

- «والآن ماذا؟ هل أففز وتلتقطني أنا الأخرى؟ محال أن أفعل، فليس عندي سبعة أرواح».

نظرت إلى الأسفل فلم تجده، توتَّرت وشعرت بالذعر وتساءلت:

- «أين ذهب؟ هل تخلي عني؟ أم أنه جني وليس من الإنس؟».

اقشعرت لهذه الفكرة ولكنها سمعت حفيف الشجر فنظرت بسرعة نحو جذع الشجرة لتصاب بالدهشة وهي ترى ذلك الشاب يتسلق جذع الشجرة، كان يرتدي قميصاً أسود وبنطالاً من الجينز مما ساعده على التسلق بسرعة كبيرة، ثم رآته يتعلّق على نفس الغصن الذي هي مُتعلّقة به، تساءلت هل جُن؟ هل يريد أن ينضم لها ليقعا في ورطة واحدة، يا له من غبي! ولكنه عندما أصبح جانبا ارتعدت فرائصها لوجود شاب على مقربة منها.

توتّرت ولكن الألم أخذ يُمرّق ذراعيها فأنت وهي تتساءل في أعماقها: - ماذا بعد؟.

جاءها الجواب على سؤالها الذي لم يسمعه حينما قال وهو يلهث:

- «لا تخافي، سأحملك».

هتفت مُستنكِرةً:

- «ماذا؟! تحملني! كيف؟ لا تقل بأننا سنقفز معاً، لا، لا يمكن».

صرّ على أسنانه وقال بحسم:

- «ثقي بي واتركي لي نفسك ولن تندمي».

أرادت أن تعترض ولكن شيئاً في صوته بث الدفء إلى نفسها وجعلها تثق به رغم عدم معرفتها به.

ارتجفت إذ احتكت كفه الأيمن بكفها، ولكن تلك الاحتكاكة لم تكن كل شيء بل هناك المزيد، فهو وبخفة قد لفّ ذراعه اليمنى حولها مما جعلها تشهق بفزع ولكن فزعها لم ينته فها هو يطلبها هامساً:



- «تعلقي برقبتي بسرعة».

بحيرة قالت:

- «م... ماذا؟».

عضَّ على شفثيه إذ بدأ الألم يمزق ذراعه المُتعلِّقة بالغصن وقال بصرامة:

- «قلت تعلقي برقبتي بسرعة وإلا سقطنا معًا».

قالت بذعر:

- «ولكنني خائفة بأن نسقط إن فعلت».

هزَّ رأسه نافيًا ونظر نحوها بعزيمة وقال:

- «أقسم بأنك لن تقعي. طالما أنك معي».

وبرغم موقفها الصعب إلا أنها ارتجفت، فذلك الشاب وسيم ولديه عينان واسعتان سوداوان عكست الصدق والثقة بطريقة جعلتها تُحرِّك يدها اليسرى لتنقلها إلى كتفه الأيمن، اهتزَّ للحظات من تغيُّر وزنه ولكنه تماسك وانتظرها وقال بصوتٍ دافئ ليبث الثقة إلى نفسها:

- «الآن اليد الأخرى».

شعرت بأنه من غير المنصف أن يحتمل كل الثقل عليه ! ولكنه حل رائع وهي لن تنسى صنيعه أبدًا، نقلت يدها الأخرى بعزيمة خشيت أن تخونها، ففي لحظة ظنَّت بأنها ستسقط، فصرخت ولكنها شعرت بالدفع يلامس صدرها ففتحت عينيها اللتين أغمضتهما فزعًا من قبل لتلتقي بعيني الشاب الذي ابتسم لها وقال بصوته الأجش:

- «تمسكي بي جيّدًا فأماننا رحلة صعبة».

تساءلت بتوثر في أعماقها الوجلة: ترى ماذا سيحدث لها بعد ذلك؟



بين ذراعيه

ما كان من (منى) إلا أن تضم نفسها نحوه بقوة وهي لا تُصدّق بأنها تلتصق بشاب غريب، إنها مُتعلّقة برقبة شاب في تجربة هي الأولى من نوعها، فهذه أوّل مرّة لها تكون بمثل هذا القرب من رجل، رجل من الإنس، شعرت بخدر في لسانها، علمت بأن (جَمُون) لديه ما يقوله ولكن لا ليس الآن، قاومته وأشغلت ذهنها بالشاب الذي شدّ ذراعه حول خصرها، ويده الأخرى تتعلّق بالغصن بقوة وتنتقل خطوة خطوة وعروقها بارزة تنبض بشدة، رأتها من طرف عينيها، ألاكم تشعر بالنشوة والسعادة، والخجل والإثارة معًا، مشاعر كثيرة مضطربة في أعماقها.

وصل أخيرًا إلى جذع الشجرة فوضع قدمه على بروز فيها ونقل يده بسرعة واحتراف إلى الجذع الكبير ليُمسك به، وهكذا أخذ في النزول وهي مُتمسّكة به حتى وطأت قدمه الأرض أخيرًا، فهمس لها وهو يلهث:

- «وصلنا بأمان».

فتحت عينيها بامتنان فالتقت بعينه، هتفت في أعماقها: - ما أوسمه.

كان شابًا ببنية رياضية وطويلاً، شعره القصير ناعم فاحم السواد يتمايل مع النسيمات الباردة، كان وجهه طويلاً بذقن مربع، أسمر البشرة، حاد الملامح له عيان ناعستان واسعتان سوداوان، تُظللّهما أهداب كثيفة وطويلة، وحاجباه الكثيفان مرسومان بدقة، وفمه المكتنز الخمري ارتسمت عليه ابتسامة خلبت لبها، وصوته الأجش يخرج منه قائلًا:

- «هل أنت بخير؟».

اكتسى وجهها بحمرة الخجل فأطرقت رأسها وقالت بخُفوت:

- «نعم شكرًا لك».

هل يقفز؟ هل يحملها ويدور بها؟

شعر بسعادة غريبة، فتلك الفاتنة تستقر بين ذراعيه وقد انضمت ذراعه الحرة مع ذراعه التي كانت ولا تزال مُمسكةً بخصرها، وبدون أن يشعر وجد نفسه يشدها نحوه أكثر، وأخذت عيناه تلتهمان وجهها، نظرت نحوه بفزع وتوتر، وأنزلت يديها من حول رقبته إلى صدره، وأخذت تدفعه عنها ولكن ذراعيها الواهنتين لم تقويا على حمله على الابتعاد.

أما هو فلم يدرِ ما أصابه؟ انقطع عن الزمان والمكان وأخذ يتأمل قسمات وجهها، وهو يشعر بجسدها الغض بين ذراعيه ويديها الدافئتين على صدره، لم يكن يدرك الفزع في عينيها والخجل، حتى هتفت بصوتٍ اهتزت أوتاره:

- «هلاً تركتني أذهب؟».

عاد فجأة إلى أرض الواقع واستوعب بأنه يحتجز الفتاة بين ذراعيه، ولكن ما الحيلة إن كان لا يريد أن تتركه وترحل؟ همس باضطراب:

- «أ.. آسف».

تركها مُجبرًا ولكن كانت يده اليسرى حرة إلى جانبه، أما ساعده الأيمن لم يتحرك، فقد علقت ساعته في ثوب الفتاة المخرم من قماش الدانتيل.

ابتلع ريقه بتوتر وقال بحرج:

- «ساعتي علقت ب... بثوبك».

شهقت بدهشة وهمست باضطراب:

- ما.. ماذا؟ يا إلهي».



قال بحرج:

- «سأعالج المشكلة».

فَكَرَّتْ أن لديه الحلول دائماً، هنا دَقَّ قلبها بقوة في صدرها عندما انثنى فوقها أكثر فانتسعت عيناها لتصرِّفه ولكنها في لحظة أدركت لماذا ؟

فقد فعل ذلك لكي يستطيع رؤية ساعده من خلف كتفها، ولأنه طويل فقد أشرف على ظهرها بالكامل، إذ أن رأسه كان قد تجاوز كتفها، وشعرت بأنفاسه على مؤخرة عنقها، وبحركة يده الحرة حول خصرها التي تحاول أن تحرر الساعة بدون أن تفسد فستانها الجميل.

مرَّت تلك اللحظات كالسنين، فمشاعرها أخذت تختلج في صدرها وهي في أحضان ذلك الشاب الشهم والوسيم، وأخذت تتساءل ترى من هو؟ لا بُدَّ بأنه أخو (خالد) عريس أختها، ربما يكون أخاه (وليد) الذي يدرس في السنة الثالثة من كلية الطب.

كانت ترتجف بين ذراعيه وهي ملتصقة به رغماً عنها، فالقدر جمعهما في موقف غريب جعلها في أحضان شاب بطريقة عفوية رغماً عن كليهما، وما يحدث الآن هو أنها محبوسة بين ذراعيه بدون قصد وتشعر بأن أعماقها تهتُّ بقوة كسنابل قمح في مهبِّ الريح.

أما هو فكان قلبه يخفق بعنف، فهذه الفتاة أخرجته من غرفته لتجعله بدلاً من مطالعة كتابه العلمي وتحليل مفرداته، يطالع جمالها ويحلل مشاعره، أي حورية زينت ليلته وأخرجته من قوقعته، أي أنثى تستقر بين ذراعيه الآن وترتاح في أحضانها، وبدون أي موعد مسبق أو شعور بالذنب، لا فلم يكن يشعر بالذنب، فالقدر وضعها في مأزق حتم عليه أن يحملها وأن يضمها بسبب الساعة التي أبت أن تنفصل عنها، وكأنها تترجم حاله هو في عدم رغبته في الانفصال عنها، لم تُعد يده قادرة على تحرير ساعته فقد انشغل تفكيره عنها، وأغمض عينيه في هيام،

وأرخی رأسه على شعرها الذي تخلّل شفّتيه، كان الضعف يتسلّل إلى مفاصله وقلبه يرتجف في نشوة غريبة، فأنفاسها تداعب رقبتة، ورائحة عطرها الأنثوي خدر أعصابه، ابتلع ريقه بصوتٍ مسموع.

رجفة لذیذة لسعت جسدها، ففتحت عينيها بتوتر لتقعاً على رقبتة الطويلة والقوية التي كانت تختلج وقتها، ورائحة عطره الرجولي تتسلّل إلى مسامها فتخدر أعصابها، لماذا توقف؟

تململت بين ذراعيه فشعر بحركتها، عندئذ فتح عينيه كالصحوّة من السبات وأبعد وجهه عن شعرها، ونظر نحوها باضطراب، فقالت له باضطراب مماثل والخلجل يُربكها:

- «.. لماذا توقفت؟ أنت لم تحرر يدك بعد، أليس كذلك؟».

شعر بالحرّج من نفسه فقال مُرتبكاً:

- «لا ليس بعد، أخشى أن أمزق فستانك الجميل».

عاد ينثني عليها من جديد فأربكها أكثر وشعرت بحركة يده من جديد على ظهرها.

تمنّت لو الزمن يتوقّف وتبقى بين ذراعيه إلى الأبد، هل من الخطأ أن تشعر بمثل هذا الشعور؟ هل هي خطيئة إن نبض قلبها بقوة في صدرها وهي تشعر بدفئه ورجولته؟

أسبلت عينيها وأخذت تسرق من الزمن هذه اللحظات الساحرة وممتعة عجيبة تداعبها وتجعلها تغرق فيها حتى النخاع، لقد ذابت أنوثتها في عبق رجولته ذابت بالكامل.

أما هو فكان قلبه يرتج في صدره، خفقاته القوية أربكته، كان يحاول أن يتجاهلها



ويركز تفكيره أكثر على تحرير ساعة يده، فمشاعره قد شتت تفكيره وعقله، وشعر إن هي أطالت البقاء في أحضانه أكثر فحتمًا سيقبلها قبلًا يبت فيها كل لهفته التي انفجرت فجأة في صدره، شعور لم يشعر بمثله من قبل، عضّ شفته بقوة حتى كاد أن يُدميها ليوقف رغباته، ورُكّز حتى استطاع تحرير يده من الفستان الذي شكّل صلة الوصل بينهما.

بعد ذلك نظر نحوها بحزن وهو لا يتخيّل بأنها سترحل ولن يراها أبدًا، فكون أنه رآها بدون حجابها لحظ مشرق، ولكنه لن يتكرّر.

تأملها فوجد بها سحرًا عجيّبًا، ليس في جمالها وحسب، بل في نظرات عينيها، كلماتها، ردة فعلها البريئة، شعر بأنه عرف روحها حتى بدون معرفة حقيقية لشخصها.

همس لها بحزن:

- «لقد تحرّرت مني وبإمكانك أن ترحلي».

عرفت بأن لحظة الوداع قد حانت، أين تلك القطة لتشكرها على إتاحة هذه الفرصة لتتعرف عليه؟

إلا أن الانفصال قد حان مواعده، ولا تعرف إن كانت ستراه بعد اليوم أو لا، ففي مجتمعنا لن يكون لها نصيب لقائه، والحديث معه بدون صفة شرعية، وهي محترمة ولن ترضى بعلاقة غير شرعية، لذا أطرقت بعينيها نحو الأرض وهمست بأسى قائلة:

- «شكرًا لك. أرجوك لا تذكر لأحدٍ ما حصل، لا أريد إشاعات عني. عدني بذلك».

إنها تطلبه وعدًا، قال بهيام:

- «أعدك ولكن بشرط».

توترت وقالت بتوجُّس:

- «ماذا؟»

قال بترقُّب:

- «أنا (وليد) فمن أنت؟».

إذن هو (وليد) كما خمَّنت، ولكنها لن تخبره بمن تكون، لذا همَّمت بالذهاب ولكنه أمسك بمعصمها، فتوقَّفت متفاجئةً وقالت بغضبٍ:

- «لا يحق لك لمسي متى شئت، لقد كان حادثًا، ولكن الآن لاااا».

نظرتها الغاضبة لم تزده سوى تمسُّك لمعرفة من هي، فقلبه يلح عليه بأن يعرفها وإلا ضاعت منه، قال بإصرار:

- «لا لن أتركك قبل أن تخبريني من أنت؟ إنك لتقتلي المرء ببراءة ثم ترحلين، كم أنت قاسية!».

انتفض قلبها بين ضلوعها وهي تفهم مغزى كلامه، أيعقل بأنها أصابته في مقتل؟! ولم لا؟ ألم يفعل ذلك بالمثل؟

همست في ضعف وعيناها المُسبلتان أذابت مشاعره:

- «وتعدني بأنك لن تخبر أحدًا بما جرى؟».

بصوتٍ متحشجٍ أجاب بصدق:

- «أقسم أن لا أفعل، أنت من عائلة (أحمد العبد الله) فأنتم الزوار الوحيدون لنا اليوم، ولكن اسمك، بالله عليك».



بَلَّتْ شَفَتَيْهَا وَقَالَتْ بِخَجَلٍ شَدِيدٍ:

- «(منى)، أنا (منى)».

بافتتان قال بصوته الدافئ الشجي:

- «(منى)، لن أنساه ما حييت».

ابتسامة سعادة ارتسمت على شَفَتَيْهَا رَغْمًا عنها، فقالت بخجل والسعادة تُغْلَفُ صوتها:

- «هل تعيد لي يدي الآن؟».

تنَبَّهَ لذلك فترك ساعدها الناعم مُكْرَهًا لينسل من بين يديه كقطعة قماش من الحرير تركها لتطير مع الرياح.

كانت لانزال تشعر بدفء لمسة يده على ساعدها، فنظرت نحوه للمرة الأخيرة وقالت بعدوبة:

- «لا تنسَ وعدك».

ابتسم بعدوبة وقال بصدق:

- «أبدًا لن أنساه».

ابتسامة خجل رمتها بها قبل أن تتبختر ماشية أمامه لتلتقط حذاءها من على الأرض، ثم دارت على عقبيها مُهْرَوْلَةً نحو المنزل، لتترك (وليد) في بحر من الحب أخذ يسبح فيه، وهو يقسم بأن أعماقه بأن (منى) لن تكون لرجل غيره.



خفقات القلب

أغلقت باب الحديقة الخلفي وراءها، وأسندت ظهرها عليه لتسترد أنفاسها التي انقطعت من بشدة انبهارها بكل ما حصل معها، هل كانت تحلم؟ مشت كالثملة عندما وجدت باب دورة المياه فقرّرت أن تدخل الحمام لتستعيد توازنها قبل أن تواجه أهل المنزل.

دخلت الحمام وأغلقت الباب ونظرت نحو انعكاسها في المرأة، كان وجهها مُصطبغًا بخمرة خجل فزادها ذلك فتنة، وعيناها البندقيتان تلمعان في نشوة وسعادة، وكأنهما زاجتان من العسل، شعرت بأن نجوم الكون اجتمعت في عينيها، فابتسمت في هناء ووضعت يدها على خدها الساخن.

فقال بصوتٍ مسموع تُكلم نفسها وهي تلهث انفعالاً:

- «تُرى ما بي؟ قلبي يخفق بشدة، (وليد)، (وليد)، أبداً لن أنساك ولن أنسى اسمك».

تنهدت في هيام، وأغمضت عينيها وهي تستلذ بطعم الحب الذي أخذ يعزف على أوتار قلبها معزوفةً عشق ألهمت مشاعرهما، ما أعذبه من شعور! لم تكن المرة الأولى التي تشاهد فيها شاباً فأبناء عمومتهما وأحوالها كثر، ولكن هذا الشاب غزا قلبها حتى الأعماق، غزاه بقوة وبدون استئذان، فاستسلمت له ولن تقاومه أبداً.

انزلت يدها من على وجهها لتضعها على قلبها فتهدئ من خفقانه الشديد، صرخة قهر انطلقت في رأسها بدون سابق إنذار، ففتحت عينيها بذعر، لقد كان (جَمْنُون) الذي نسيته تماماً، وهو أبى إلا أن يفسد عليها لحظتها الخاصة، وسعادتها، فما هو (جَمْنُون) تنعكس صورته في المرأة والغضب يشتعل في داخله، انكمشت على نفسها وهي ترى غيرته وجنونه، لقد أصابه الشاب الإنسي في مقتل،



وكان طوال فترة بقائها في أحضان (وليد) يحاول مكالمتها ولكنها تجاهلته والآن فرض وجوده عليها في فورة غضب عارمة تراها في المرأة بشكل أعادها إلى واقعها وحياتها الغريبة مع الجن.

قال في قهر وغيرة:

- «إنه متكبر ومتعجرف، ماذا تعرفين عنه؟ إنه (دون جوان) فهو يدرس في كلية الطب والنساء حوله كالفراش، لن يحبك مثلي، ولن يُخلص لك أبداً».

شعرت بالغضب، نعم الغضب من تدخله في حياتها وقراراتها، فهو لاحق له عليها ليأمرها ويملي عليها من تختار، ثم ما الذي يرغب به؟ أن تبقى له إلى الأبد! لذا ردّت عليه بغضب:

- «لا تفتري عليه وتكذب، فسمعت طيبة، ثم إنك أخبرتني بأنك لن تتدخل في حياتي وسأعيشها بشكل طبيعي كأني فتاة، فماذا الآن؟ هل غيرت رأيك؟ أم أنه هكذا منذ البداية وأنت خدعتني؟ أليس كذلك؟».

توتّر (جمنون) وصمت ثم بلّونه قال:

- «(منيتي)، ارفقي بقلبي المنفطر، كنت الرجل الوحيد في حياتك، والآن دخل إليها هذا ال(وليد)».

هتفت مُتخاطرةً معه بغضب:

- «من يسمع كلامك يظن بأنك كنت خطيبي والآن أصبح هو زوجي».

في لحظة طيش هتف:

- «محال أن يفعل».

بصدمة سألت:

- «ولِمَ لا؟».

تبادلا النظرات على سطح المرأة فأطرق برأسه وقال بخنوع:

- «لن أؤذي (منيتي) حبيبتي».

قالت له بتصميم:

- «أَتَعَشَّمُ ذلك، ولا تتدخل في حياتي إن أردت أن تبقى».

كانت تعي ما تقول، فإما أن يحترم رغبتها في أن تعيش حرَّةً طليقةً تختار وتحب من تشاء، وإلا ستطرده من جسدها.

همس بخُفوت:

- «أنتِ حبيبتي، وسعادتك تهمني، لن أَدْخُل، ولكن على أن تجعليني معك إلى الأبد».

شعورٌ محرج أنه يراقب انفعالاتها ومواقفها الشاعرية، شعورٌ صعب أن تتخيَّلَ نفسها مُتَزَوِّجَةً وهو يحضر اللحظات الحميمة، ولكن هل تقوى على الإفصاح عن ذلك وإغضابه؟ قالت بحسم:

- «لن تؤذي ولن أؤذيكَ، والآن لا تكلمني بدون إذن».

بصوتٍ منكسرٍ أجاب:

- «أمركَ حبيبتي».

اختفت صورة (جَمْنُون) وعاد وجهها منفردًا على المرأة، فعدلت هندامها وخرجت لتجلس مع العائلة الطيبة التي أنجبت الشاب (وليد).

في غرفة جلوس صغيرة جلست (سمية) بجوار (خالد) الذي أخذ يهتمها بعينيه



وهو لا يُصَدِّق بأنها أخيراً أصبحت ملكه، كم تمتع برؤياها من نافذة المنزل عبر الحديقة، وهي تجلس مع أخته عندما كانتا مراهقتين تمرحان أو تستذكران دروسهما معاً.

كان يحب كلمات (أميرة) عنها، وعندما رآها صدفَةً من بعيد وهي تمشي في الحديقة مع أخته أحبها، ولذا كان يراقبها من النافذة، والآن أصبحت له أخيراً، ومع هذه الذكريات ابتسم بعدوبة جعلت (سمية) تسأله برقة:

- «ماذا؟».

ضحك بخفة وقال لها:

- «تذكّرت أمراً أضحكني، هل أعترف لك به؟».

تنبّهت حواسها واعتدلت في جلستها وقالت بحماس:

- «نعم أخبرني».

سحب نفساً عميقاً ثم بنظرات مشاكسة قال:

- «كنت أراقبك من النافذة في كل مرة زرت فيها (أميرة)».

انّسعت عيناها دهشةً ثم هتفت بخجل وهي تضربه بخفة على كتفه:

- «يا لئيم، كيف يعقل هذا؟».

ضحك بخفة ثم أمسك يدها التي تضربه وسحبها نحوه، وقال وعيناها تلمعان حباً:

- «لأن الأذن تعشق قبل العين أحياناً، ولأنني أحبتك من كلمات (أميرة) عنك فإنني أقرنت السمع بالبصر، وأصبحت أقر عيني برؤياك كل زيارة وقلبي لا يخفق إلّا لأجلك».

ارتجفت لكلماته ورأته ينحني عليها ليطلع قبلة حملت كل حبه لها على شفثتها المكتنزتين.

برغم خجلها إلا أنها تركت نفسها تنعم بتلك اللحظة والسعادة ترفرف بجناحيها فوق الزوجين السعيدين، وهما يمنيان نفسيهما بالوصال الذي لن يكون إلا بعد حفل الزفاف، فمتى تمر الأشهر بسرعة لتأتي تلك اللحظة الحاملة معها كل المنى والأحلام؟

في اليوم التالي زارت العائلة منزل ابنتهم (فاتن)، كانت سعيدة برؤية عائلتها الحبيبة وانضمت إليهم أسرة تجمعهم مع زوج (فاتن) علاقة حميمة.

كان العشاء الذي أعدته (فاتن) لذيذاً والسهرة جميلة، وقد حدث انسجام عجيب بين (جميلة) و (عائشة) وهي أم صديق زوج (فاتن)، كما أن ابنتي (عائشة) انسجمتا مع بنات (جميلة) وزوجة ابنها التي هي صديقة مقربة ل(فاتن) وطول السهرة ما أبعدت (عائشة) ناظرها عن (عبير) فقد أحببت فيها جمالها، وطبعها الهادئ، وطيبة قلبها.

رحلت (عائشة) وبناتها وزوجة ابنها وبقيت (جميلة) وبناتها يكملن ليلتهن مع ابنتهن الغالية (فاتن) حتى آن رحيلهم فودّعنها لأن في يوم التالي ستعود الأسرة إلى الجنوب، إلى ذلك البيت المسكون.



9

الوجه الآخر للحب

الحب يعني التضحية والحنان، وهو

ملاذ آمن لروح العاشق الولهان..

إلا أن له أحياناً وجه آخر

وجه غاضب وشرس..

فكما أن هناك حب ناعم،

هناك أيضاً حب صاخب.

الحب الصاخب

لم تنسَ للحظة (وليد)، فشبح ذكراه يطاردها أينما ذهبت، لمساته على خصرها، رائحة عطره، أنفاسه على رقبتها.

فزت وجلست على سريرها وهتفت بصوتٍ مسموعٍ:

- «يا رب السماء لا أستطيع أن أفكر في شيءٍ سواه».

عادت تستلقي على سريرها وهي تشعر بقلبها يخفق بحب، تساءلت هل هذا الشعور هو الحب؟

تلك اللذة الغريبة التي تدغدغ قلبها وتجري في عروقها، تلك الלהفة والشوق الشديدين لرؤياه، لسماع أي شيءٍ عنه.

تقلّبت على فراشها كالمحمومة، لماذا تشعر مسامها برغبة شديدة في لمسه، ورئتها تطالب بشدة في أن تستنشق عبيره.

بقدر ما تشعر بالفرحة لذكراه بقدر ما تشعر بالحزن والوحدة لبعدها عنه. وضعت يدها على قلبها لتهدئ من خفقاته السريعة التي تشعر بأنها ستشق صدرها.

تأوّهت بحب وهمست في أعماقها بشوق: - «أحبك (وليد)... أحبك».

ابتسمت عندما اعترفت بذلك لنفسها وشعرت بارتياح لمواجهتها للحقيقة التي دارتها في خجل وحيرة.

ولكنها قطّبت ما بين حاجبيها وهي تتساءل في وجل:

- «تُرى هل يحمل لي نفس الشعور؟ أم أن حبي مصيره أن يتكسر كموجة عارمة



على صخرة جامدة غير آبهة به؟ ماذا افعل إن لم يحبني؟ فهو بذلك لن يتقدّم لخطبتي وسيذهب لفتاة أخرى».

وعند هذه النقطة شهقت بفزع واشتعلت الغيرة في عروقها وهي لا تتصوره لفتاة سواها.

ستموت إن فعل، ولكن ألا يُحتمل أنه أحبها كما أحبه؟ فنظراته لها كانت تحمل أكثر من الإعجاب.

تنهّدت من جديد عندما تذكّرت لمساته ودفء صدره واستلقت على بطنها وأخذت أصابع يدها المتدلية من سريرها تلعب جيئةً وذهاباً على أرض الملاط الناعمة، أسبلت عينيها في هيام، كم تتمنى أن تحلم بحبيبها (وليد).

تسلّل صوتُ (جَمُون) مختنقاً مضطرباً ليقطع أفكارها قائلاً:

- «هل تحببته فعلاً؟».

فتحت عينيها بذعر وأخذت تُفكّر، هل تخبره؟ أم تصمت؟

ولكنها قبل أن تتوصل إلى قرار، سمعته يقول في ضيق:

- «تَبّاً، هل تظنين بأن هناك من سيحبك أكثر مني؟ أتحسبين شعورك نحوه حبّاً؟ إنه افتتان فقط لا غير، فأنت مراهقة لا تميزين أمور الحب جيّداً».

ضايقها كلامه فقالت في أنفة:

- «أنت مراهق أيضاً، فهل حبك نزوة لأنك مراهق؟ بالطبع لا، فكون المرء مراهقاً ليس حجة تنفي صدق حبه، وإلا ما كان حبك لي مستمر إلى حد الآن، وأنا حتى إن كنت مراهقة فلست طائشة كأغلب قريناتي، إنني أدرك مشاعري جيّداً».

صرخة غاضبة تبعتها كلماته الهادرة القائلة:

قال بلهفة غاضبة:

- «إنه أنا من يلمسك، وحدي أنا ولن تكوني لسواي».

هلعت وأيما هلع، إنه يتمادى، قالت بصوتٍ مختنقٍ من الغضب والحنق:

- «لقد وعدتني أنك لن تتدخل في حياتي أبدًا، ورغم محاولتك السابقة إلا أنك على الأقل احترمت رغبتي، فماذا الآن؟!».

ردّ بلهفة:

- «لا يكون الحب حبًّا إلا إذا أراد الارتواء».

هتفت:

- «لن تفعل شيئًا إن لم أرغب، أليس كذلك؟».

- «.....».

- «(جَمُنُون)».

- «.....».

بغضب هتفت:

- «(جَمُنُون)، تبًّا أجيني!».

- «.....».

لم يجبها فقد امتنع عن ذلك، شعرت بالحنق، كرهت هذا الحوار، ما كل هذا؟ هل ينوي أن يحرمها من حبها للإنسي؟ من (وليد) الأثير؟ ايعقل بأنّه سيفعل!

نزلت دموعها رَغْمًا عنها وتساقطت بجانب أناملها التي كانت منذ لحظات ترقص على الملاط في سعادة قبل أن يُعكّر صفو أحلامها (جَمْنُون).

الجني العاشق.

شعرت بنعاس شديد وإعياء يغلبها فنامت، وهناك في (السودة) الخضراء بين الأشجار كانت تمشي والضباب يغلف المكان بطبقة سميقة، والبرد يجعل بشرتها البيضاء تختفي منها حمرة الدماء فتزداد بياضًا، كانت تسير كالتائهة لا تعرف ما الذي جاء بها إلى هنا! وماذا تفعل؟

ولكنها تذكرت هذا المكان، أليس نفس المكان الذي تزهت فيه مع أسرتها وأخت (مها) سابقًا!

وهناك شعرت بأنها مراقبة، أنها حتى ترتدي نفس الملابس السوداء والتي زادتها فتنة على فتنة.

فجأة سمعت أصوات انفاث قادمة من اللامكان، اقشعر بدنها واخذت تجري على غير هدى حتى تعبت وتقطعت أنفاسها، فأسندت يديها على جذع شجرة كبيرة لتسترد أنفاسها ولكنها سمعت صوت أنفاس أخرى غير أنفاسها.

والمصدر خلف جذع الشجرة التي تستند عليها، رفعت رأسها فزعّة ومالت جانبًا لترى صاحب النّفس فالتقت عيناها بعينه.

ذلك الشاب الأبيض.

فعرفته على الفور إنه (جَمْنُون) في صورته الآدمية والتي عكست في عينيه نظرة متألمة، ارتعدت وهي لا تشعر بالارتياح لرؤياه، أبعدت وجهها عنه!

فوجئت به يقف خلفها، فقفزت فزعّة والتفتت نحوه فرأت نظراته نحوها حادّة وملئيّة بالرغبة.



ابتلعت ريقها وقالت مُتحدّثَةً بصوتٍ مضطربٍ مسموعٍ وليس كالواقع مجرد
تخاطر فكري:

- «جم... (جَمُون) ماذا تريد مني؟».

اقترب منها فارتدّت للخلف حتى التصق ظهرها بجذع الشجرة، فأشرف بطوله
عليها، وقال بصوتٍ مبحوح يخرج حقًا من بين شفثيه لتسمعه بوضوح وهو
يقول:

- «أريد ما يريده العاشق».

جحظت عيناها رعبًا وشعرت بأنفاسها تضيق في صدرها فقالت مُتلعثمَةً:
- «محال».

وهنا هاجت عواطفه فأمسك وجهها بيده ضامًّا خديها واقترب منها بلهفة
وانفاسه تلفح وجهها:

- «أنتِ لي يا (منيّي) ولن تكوني لرجل سواي».

قالها ثم انقضَّ عليها يقبلها كذئب جائع، أخذت تدفعه بيديها دون جدوى فقد
كان جامدًا كالصخر.

سمعته يقول لها بعد أن تركها لثوانٍ معدودة وبأنفاس متلاحقة:

- «بادليني الحب وستكونين أسعد إنسية في الوجود».

قالها وانقضَّ يقبلها من جديد حتى أدمى شفثيها.

أرادت الخلاص فقد بدأت تشعر بالضعف، خشيت أن تنزلق إلى مستنقع
الآثام، ففكرت بأن ذكر الله سيبعده عنها، ولكن كيف تنطق بذلك وفمها مكمم
به؟

ضربتہ علی صدرہ وحاولت أن تدفعه فهي لن تستسلم له مهما حصل، إنها تريد بشريًّا من لحم ودم.

ترید بشريًّا تستطيع لمسہ وتشم عبيره، وتذوب في أحضانه.

ابتهلث في أعماقها أن يا الله اصرفه عني.

أرادت أن تستيقظ من نومها ليتوقف.

يا الله اصرفه عني.

لا أريد.

لا أريد أن أرتكب ذنبًا.

أي إلهي ساعدني.

أرجوك ربي أنجديني.

برجلها ركنته وكأنها تركل جدارًا صلبًا.

لا فائدة من ضربها له.

أنقذني يا الله.

وفجأة سمعت صوتًا يتسلل من بعيد كالوهم.

صوت الشيخ القارئ (عبد الباسط عبد الصمد) يقرأ من آيات الذكر الحكيم:

إِنَّا لَمُعْزُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) سورة الواقعة

«إِنَّا لَمُعْزُمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ».

إِنَّا لَمُعْزُمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ».



تَوَقَّفت (جَمْنُون) وابتعد شفتيه عنها ونظر نحوها باضطراب انعكس في مقلتيه،
كان يرتجف توتُّراً، نعم توتُّراً بعد أن كانت هي من يرتعش خوفاً.

ارتجفت شفتاها وقالت بصوتٍ متحشرج مكتوم مُردِّدةً كالتأهة:

- «إِنَّا لَمُعْزَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ».

قَطَّبَ جبينه وكشَّرَ عن أسنانه بضيق وزمجر كمصاص دماء مفترس في غضب
وشراسة.

فتجَرَّأت وهمست بأوتار مهزوزة:

- «بسم الله...».

تراجع (جَمْنُون) ورأت العرق يبلله.

وهنا انتفضت مستيقظة بعد أن خفَّ الكابوس الجاثم على ظهرها والذي
شعرت بأنه ألحم صدرها بسريرها، نظرت نحو الملاط الذي لاتزال يدها متدلّية
عليه من فوق سريرها، وهي تشعر بأنها فاقت من كابوس فظيع، فقد حامت
حولها الرذيلة وكادت أن تستجيب.

ولكن الله حماها بصوت الذكر الحكيم الذي تسلَّلَ إلى حلمها، ولكنها لاتزال
تسمع صوت الشيخ (عبد الباسط عبد الصمد) رحمه الله، فهل لازالت تحلم؟

تحاملت على نفسها لترفع جسدها الغارق في العرق والدم على شفتيها، والتفت
صوب مصدر الصوت لتكتشف بأنه المسجل الذي نقل لها آيات الذكر الحكيم
في الوقت المناسب وأختها (سمية) مستلقية على سريرها تقرأ كتاب (البداية
والنهاية) للإمام ابن كثير.

فإذن هذا هو الواقع وليس حلماً آخر.

واقع تسلَّلَ بروعة داخل حلمها ليفرض واقعيته.

بنظرة خائفة وبصوتٍ ضعيفٍ قالت:

- «أنتِ من شغلَّ المسجل؟».

نظرت نحوها (سمية) متفاجئة لسماع صوتها فهي منذ لحظات كانت نائمة وبعمق، ولكنها قطبت جبينها لمرأى أختها بهيئة رثة فقالت بحيرة:

- «كأنك قادمة من الحرب ههههه، نعم أنا مَنْ شغلَّ المسجل، فوالدي أنَّبني لأنه لم يسمع القرآن اليوم في البيت، هل أذيتك به لوجود (جَمُنُون) داخلِك؟».

نظرت نحوها كالغارقة في الوحل، بل إنها حقًا لغارقة فيه، وابتسمت بطرف شفيتها ابتساماً لم تصل إلى عينيها وقالت بصدق:

- «بل إنه يناسبني، دعي كلام الله يملأ المكان فهذا أبعث للطمأنينة».

قالتها واستلقت على جانبها الأيمن وهي تشعر بالتعب، ثم مدَّت يدها للمصحف الذي كان على طاولة أختها الجانبية وضمته إلى صدرها والحزن يملأ روحها، وأخذت تبتهل إلى الله أن تنام بهدوء بدون أن يتطفَّل على منامها وقلبها وجسدها الجني العاشق

(جَمُنُون).



وللعشق وجوه

مرّت الأيام و(منى) تشعر بالتعب لشدة تفكيرها، ف(جَمُون) ما فتئ يقنعها بحبه وبأن تسلمه نفسها، وهي محتارة ما بين حبها ل(وليد) الذي لا تدري إن كان حبًّا سيُكلّل بالنجاح؟ أم أن مشاعره تجاهها كانت افتتاحًا لحظيًّا وتمضي الحياة وتمر فينساها ويرتبط بأخرى؟ وبين (جَمُون) العاشق الذي لن تجد أحدًا يستطيع أن يعشقها بكل هذا العمق والإخلاص مثله.

إنه يقنعها بأن (وليد) طالب طب تحوم حوله الفتيات لأنه وسيم ومرموق من عائلة غنية، وهو (دون جوان) زمانه، فهل تُصدّق (جَمُون)؟ أم تصدق حدسها؟ ومن جهة أخرى موضوع الحلال والحرام، فهي من بيت محترم وتعرف دينها وربها، ولا يمكن أن تنساق قدمها إلى ما يدعوها إليه (جَمُون)، ولكن دماءها الحارة، وطبعها العاطفي الرومانسي، ومشاعر خفية داخل قلبها تكاد أن تجعلها تخضع لكلماته، لهمساته، ولاستعطافه المتواصل، وكأنه يدرك نقاط ضعفها فيستغل تلك النقطة لصالحه، وهي تقاوم بكل قوّة إغواءه، لأنها حتى وإن لم تكن ل(وليد) فهي على الأقل لن ترتكب إثماً برضاها وعلمها.

كانت تمشي في الممر الذي به غرف النوم تفكّر وتفكّر وفي نهاية الممر وجدت أمرًا يفوق قدرة العقل على استيعابه.

أمر جعلها تفتح عينيها ذعرًا، وتفتح فمها دهشةً، وهي تجزم بأنها تتوهّم ولكن (جَمُون) قال لها بحذر:

- «بل حقيقة يا (منى)... احذري».

فهناك أمام عينيها مباشرةً كان يقف ثور أسود كبير الحجم، وغضب العالم يلمع في عينيه وهو يخور بقوة أرعبتها، وصوت خواره يفتت مسمعيها، وصوت حافره الذي يضرب ويحتك بالأرض يعلن بأن نيته الهجوم عليها.

ابتلعت ريقها وهي تفهم يقيناً أن وجود ثور داخل منزل حصين وفي الطابق الثاني أمر مستحيل!

وبأنّ تأكيد (جَمْنُون) لوجوده، ليس له سوى معي واحد، أنه جني، بل عفريت قوي.

همست لـ(جَمْنُون):

- «عفريت».

قال بتوتر:

- «جُنيّاه».

اتّسعت عيناها على محجريهما فاستطرد (جَمْنُون):

- «لقد خرجت من أمك لحظةً لتنتقم منك».

ارتجفت (منى) وقبل أن تفكر كان الثور أو بالأصح (جُنيّاه) تهجم عليها، صرخت (منى) فزعةً وأخذت تجري وصوت صراخ (جَمْنُون) يقول:

- «لا يا (جُنيّاه) بحق حبك لي وأيام طفولتنا لا تؤذيها».

كان قلب (منى) يقرع كآلاف الطبول وهي تجري بدون وعي وكأنها في فلم مرعب، في عالم غير العالم الذي نعرفه كأنها انتقلت فجأةً لأرض اللعنات، أرضٍ لا خير ولا بركة فيها.



ولكن أليس الله موجود في أي وقت وفي كل مكان، إن كانت في أرض طيبة او أرض خبيثة؟ فإن مالك الملك يعلو عرشه من فوق سبع سماوات يراها ويعلم ما يدور في صدرها، حتى وإن كانت تعيش مع ملايين البشر، لذا وقبل أن تؤذيها (جُنَياه) التي ترغب أن تصطدم بها وتصيب أحشاءها بضرر، لهجت (منى) بذكر الله قائلةً بصوتٍ لاهثٍ عالٍ:

- «إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، يا الله يا مالك الملك أعوذ بك من شرها، أعوذ بك منها، أعوذ بك من شياطين الإنس والجن، بسم الله وحده لا إله إلا هو، والله أكبر».

رغم اختفاء صوت حوافر الثور إلا أنها استمرت بالجري حتى دخلت غرفة اختها (عير) الأقرب لها، أغلقت الباب خلفها وقفزت على سرير اختها واخذت ترتجف، حتى سمعت صوت (جَمُون) المضطرب:

- «لقد رحلت رحلت.. اهدي الآن».

همست (منى) مُضطربةً:

- «لماذا كل هذا؟ حرام عليك... اذهب لها واتركني».

هتف بغضبٍ:

- «لا! لا يحق ل(جُنَياه) أن تُقرّر حياتي وتتحكم في قلبي».

قالت (منى) بكمد من بين دموعها:

- «وأنت أيضًا لا يحق لك أن تتحكم بي».

صمت بحزن ولم يرد عليها.

أما (جُنْيَاه) فعادت للمسكينة (جميلة) التي سمعت مثل صراخ في رأسها وصفير في أذنيها، فأخذت تبكي وهي تكاد تُجن من الألم.

كانت (جُنْيَاه) تحترق على جمر الغضى والأسى يملكها والغيرة تقتلها، لقد أخبرها رعايا والدها برغبة (جَمُون) في (منى) وبأنه يحاول مراودتها عن نفسها، لذا أرادت أن تفتك بتلك الإنسانية التي لجأت إلى الله فانهزمت بسبب ذلك، ولكن ذلك اللقاء ألمها لأن (جَمُون) كان يصرخ ويدافع عن الإنسانية التي شغفته حبًا.

أخذت تبكي بلوعة، لماذا لا يسكب عواطفه عليّ؟ كم انتهى حبه وتقيله؟

لماذا عواطفه مسكوبة هدرًا على إنسية لا تحبه؟

ولماذا هذه الإنسانية بالذات؟

تبا لجمالها.

ولكنها أيضًا جميلة جمالًا آسرًا، وتحبه ومستعدة أن تعرض نفسها عليه بدون مقابل.

بكت ألمها وغيرتها وحبها المنبوذ.

فلتتألمي يا إنسية.

أنتِ من أنجبتِ تلك اللعينة.

أنتِ من أورثتها ذلك الجمال اللعين.

فلينفجر رأسك ولتبكيك ابنتك.

عليكما اللعنة معًا.

لماذا أتيتم أرضنا؟ لماذا؟



ما كان رآها وعشقها، وكان قلبه الآن ملغاً لي.

لم تسمع الأم المسكينة المظلومة كلمات (جُنْياه) الحارقة الحارقة، ولكنها تسمع صوت طنين في رأسها يكاد يفجره، كانت تبكي بألم شديد وعندما دخل عليها زوجها هاله مرآها، فهرول نحوها وسكب عليها فجأة ماءً مقروءاً عليه كان قد جلبه من عند شيخ قارئ جليل، وكمن سكب الماء على النار شهقت زوجته ونامت، وبعد نصف ساعة استيقظت وهي بخير وعافية، كانت (جُنْياه) تشعر بكره شديد لهذا الزوج المحب للإنسية التافهة، دائماً ينقذها منها، فتباً لهما معاً.

في اليوم التالي أخذت (منى) تمشي على سطح المنزل تحت سماء (أبها) الصافية، وبرغم جمال الجو إلا أن قلبها كان حزيناً، كانت كل يوم ترى أختها (سمية) سعيدة بحبها وتعبر عن رأيها بكل بساطة، وكل تفكيرها الآن منحصر في حفل زفافها القريب.

كم غبطت أختها التي تُعبر لحبيبها عن مشاعرها، والتي تحب بكل حرية دون أن يكون هناك من يكبل مشاعرها ويحاول تقييد حريتها.

(جَمْنُون) كيف تحوّل من الصديق الذي كان يساعدها ويخبرها كل شيء إلى عاشق مُتطلب.

تذكّرت قبلاته المحمومة في حلمها، وبرغم من أنه حلم إلا أنها شعرت بوجوده كحقيقة لا يستهان بها.

تذكّرت في الماضي عندما أخبرها من أن حبه سيظل عذرياً، وبأنه لن يتدخل في حياتها، هل غير رأيه؟ أم أنه كان يكذب منذ البداية؟!

ألم يصرح برغبته بشكل سافر على شاطئ البحر، ولكنه مع ذلك لم يكن يلح كإلحاحه الآن، وكان يعود إلى الاحترام والصدقة البريئة، إنه غشاش لم يلتزم بوعده لها لا الآن ولا في الماضي.

فلطالما أخلف وعده.

يا لحماقتها!

تنهدت بحرقة فسمعتة يهمس لها:

- «لا تلومي العاشق إن انفجرت عواطفه، منذ أحد عشر عامًا وأنا أتلوع في حيي لك، هناك في السودة كنت أحوم حولك كمن ينشد النجاة، والآن في كل لحظة وأنا داخلك أنتشكك كأكسجين يمدني بالحياة وبدونه أموت، فإن كنت تتساءلين عن نواياي، فأليك إجابتي، لا لم يكن حيي لك عذريًا ولن يكون، فأنا أرغب بك بشدة كرجل يحلم بك ليلاً ونهارًا، رجل يحبك بجنون».

ارتعدت وهي تسمع اعترافه لها، فأذن قد كانت على حق، فهو خدعها. لماذا لم تفرح لكلماته التي تذيب كل مراهقة؟! لعلها تسعد بعشقه لها فقد أرضى أنوثتها بالكامل، ولكنها خائفة وليست مرتاحة فهي ترغب بقصة عشق عنيفة جدًّا مع شاب بشري مثلها، والآن عندما وجدته تجد بينها وبينه حائل من عالم آخر، عفريت له قدرات لا تملكها، فكيف السبيل إلى الخلاص؟

- «أشفي عليَّ يا (منيتي) ولنعيش معًا بسعادة فأنا أستطيع أن أجعلك تنتشين بالحب إحساسًا في قلبك، وفي جسدك أيضًا، أستطيع أن أتجسد لك إن أردت أن أكون كالإنسان بأي هيئة تريدونها في الواقع وفي المنام، فقط أطلبني ما تريدين لا بل أؤمريني فأنا عبد مطيع لك، أنا طوع بنانك».

ارتجفت فكم هي حلوة كلماته، كم هو عذب عشقه، ولكن صوتًا يصرخ في عقلها أن قاوميه، فقالت وهي ترتجف:

- «إن كنت تطيعني فأنا أمرك بأن تتركني وحالي».

قال بصوتٍ اهتزت أوتاره غضبًا وخوفًا وتمردًا:



- «إلا هذا الطلب، كم أنت عنيدة! أستطيع أن أفعل ما تشائين، إلا أن أتركك. فأنا أحبك، وأقسم بالرب بأنني لن أتركك حتى لو كان في هذا موتي».

أدركت بأنه لا سبيل لخروجه من جسدها فبكت عينيها حزناً وكمدًا، فكيف السبيل لتحظى بـ(وليد)؟ وكأنه فهمها فقال بليونة وكياسة:

- «ذلك الإنسي! انسيه، لقد فتتك فقط ولكنه لا يعشقك كما أفعل، أنا أهيمن بك وأعشقك حتى النخاع».

شعرت بذراعيها ترغبان أن تتحرّكا رغماً عنها، صعبت من ذلك ولكنها وجدته يقول:

- «لا تخافي كوني مطواعة».

كان عقلها مُشوَّشًا ولم تفهم مقصده، ارتفعت ذراعيها والتفتا حولها وكأنها تضم نفسها وعبر عقلها سمعته يتنهد قائلاً:

- «لا تحزني».

فتحت عينيها مدهوشة، فقد كان (جَمْنُون) يضمُّها الآن ليواسيها، أطرقت برأسها وهي تشعر بحيرة شديدة أتركه أم تقاومه؟

لمن الحكم الفاصل؟

من بيده القرار؟

خطوات راكضة نحوها جعلتها تستجمع شتات نفسها لتنظر فزعاً خلفها فترى (سمية) راكضةً فرحة وهي تهتف قائلةً:

- «(فاتن) قادمة بعد ثلاثة أسابيع وستبقى عندنا أسبوعين، فكما تعرفين حفل زفافي بعد خمسة أسابيع، كم أنا سعيدة».

ابتسمت بانكسار، فأختها حقًا سعيدة، ولمَ لا؟ وهي بعد فترة وجيزة ستكون في أحضان حبيبها (خالد).

تذكرت (فاتن) فقالت برقة:

- «جميل أن تأتي قبل الزواج بمدة وتبقى معنا، فوجودها سيضفي المزيد من البهجة».

تأملتها (سمية)، فقد بدت لها غريبة، مما جعلها تسألها في توتر:

- «هل أنتِ بخير؟ تبدين مريضة».

قالت تُطمئن أختها:

- «أنا بخير، فقط لم أنم جيّدًا».

اندفعت نحوها وتعلّقت بذراعها وقالت بحنان:

- «أووّه سأفتقدك، من يصدق بأنني سأنفصل عنك قريبًا ولن أعود للعيش هنا، سأعيش في (جدة) .. زوروني دائمًا سأفتقدك بشدة».

ارتعدت وهي تتخيّل نفسها تنام في الغرفة وحدها مع (جَمْنُون) كيف تتركها (سمية) في محنتها هذه؟

مَن سيقراً عليها الرقية بعد اليوم؟

اغرُورقت عيناها بالدموع فهتفت (سمية):

- (منى) يا حبيبتى لا تحزني، سأهاتفك كل يوم».

طأطأت (منى) برأسها وهي تعلم بأنها تريد أكثر من مكالمة هاتفية، ولكن ما باليد حيلة.



وهناك في أعماقها كان (جَمُون) يطرب سعادةً لخلاصه من (سمية)، فهي مزعجة، ولينعم بخلوته في غرفة خاصة مستقلة مع حبيبته الأثيرة وأمنيته الوحيدة (منى).

أو كما يناديها دومًا (منية).

الأسرة التي شاهدت (عبير) في منزل (فاتن) أرادت أن تخطبها إلى ابنها وكم فرحت العائلة لهذا الخبر فتلك العائلة صديقة لـ(فاتن) وزوجها وهم أناس طيبون وابنهم (عبد العزيز) مدرس للمرحلة الابتدائية تم تعيينه في مدينة (خميس مشيط) المجاورة لمدينة (أبها) وكأنهما مدينة واحدة، وهو معلم بها منذ فترة ويُفكر في الانتقال إلى (جدة) حيث عائلته والمكان الذي درس وعاش فيه.

انفقوا على النظرة الشرعية بعد أسبوع، وعادت للأسرة فرحة جديدة بعد خطوبة سمية، حلّت خطبة (عبير) وأجواء عامرة من التشويق، وكم فرحت (جميلة) لأن ابنتها الكبرى أخيرًا سيتسنى لها أن تتزوَّج من رجل يرغب بها كما حصل لأختيها من قبل.

تمّت النظرة الشرعية و(عبير) تختال بفستان أخضر فاتح (تيفاني) بدت فيه كزهرة برية، وهكذا تم الاتفاق على حفل الزفاف بعد زواج (سمية).

10

التجسد

عندما يبلغ العشق حدَّه الأعلى

فإنه يتجسّد لنا كروح حقيقية

من لحم ودم..

هنا يكون كيّاناً ملموساً.

لسعات النحلة

جاءت (فاتن) لزيارة أسرتهما وحضور حفل زفاف أختها (سمية) الذي سيقام بعد أسبوعين، الأسرة في قمة الانشغال والتحضيرات و(منى) تدرس وتجتهد للامتحانات النهائية للصف الثاني ثانوي، لم تُعد تُكلم (جَمْنُون) كثيرًا كما في الماضي.

أما (عبير) فكانت مُتحمّسة جدًّا لأنها بعد زواج أختها بشهرين سيأتي دورها، هي الآن لا تفكر إلا في خطيبها (عبد العزيز) كم هو طيب وعطوف، لم يكن يزعجها بالمواضيع الثقافية التي لا تحبها، بل كانت أحاديثه بسيطة مرحة مُشوّقة كما تحب، وذلك الجني المخادع، لم تُعد تراه، ولكن الألم يضايقها من وقت إلى الآخر، ربما بعد الزواج ترتاح منه.

حملت الفستان الذي سترتديه في زفاف اختها (سمية)، فستانًا مشمشيًا يخطف الأبواب وصل للتو من (جدة) مع أخيها (فيصل) الذي وصل منذ ساعة، وسيبقى عند عائلته حتى تنتهي مراسم الزفاف ثم يعود لجامعته في (جدة) لينهي سنته الدراسية الأخيرة.

دخلت غرفتها لتُجرب الفستان عليها ولكنها عندما وضعت إصبعها على مكبس الضوء، سمعت صوت فحيح أفعى فأضاءت الغرفة بسرعة، وأصغت السمع جيّدًا فسمعت من جديد صوت فحيح الأفعى قادمًا من جانب سريرها، ابتلعت ريقها وهي تتخيّل الأفعى التي كانت ستنقضُّ عليها بينما هي غافلة تخلع ثيابها.

خرجت مُسرعةً من غرفتها ونادت على الخادمة التي هرعت ومعها عصاة المكنسة الخشبية الطويلة، دخلتا الغرفة على مهل وأصغتا السمع فسمعتا بوضوح صوت فحيح الأفعى، أشارت الخادمة ل(عبير) بأن لا تقلق فهي قد تعاملت كثيرًا مع الأفاعي في قريتها.

مشّت بحذر وعندما أصبحت بجانب السرير عند المكان الذي به الأفعى التفتت بدهشة نحو (عبير) وقالت بحيرة:

- «لا يوجد شيء».

هتفت (عبير) بدهشة أكبر:

- «كيف؟ مستحيل!»

هزّت الخادمة رأسها يمينًا ويسارًا بحيرة وقالت:

- «لا يمكن أن تكون تحت السرير فلا فراغ أسفله».

هتفت (عبير) في رعب:

- «ربما تكون في مكان آخر ونحن أخطأنا تحديد مكان الصوت».

أيّدها الخادمة وأخذت تبحث في كل مكان حتى أصابها الاجهاد وقالت وهي تلهث:

- «لا توجد أفعى في أي مكان .. بسم الله الرحمن الرحيم».

حدّقت فيها (عبير) وقد تنبّهت للأمر بعد أن سمعت الخادمة تسمي بالله، إذن فلا وجود لأفعى، إنما لجني يريد أن يخيفها، قالت بصوت مضطرب:

- حسنًا (سمياتي) شكرًا لك، عودي لعملك».

وبالطبع لم تخرج الخادمة وحدها من الغرفة بل إن (عبير) تبعتها وجرّبت الفستان عليها في غرفة اختها (سمية) وقد كان جميلًا جدًّا.

انتهت الامتحانات ونجحت (منى) وبدأت تترتاح وتستعد للإجازة ولحفل رفاف أختها، فما أجمل أن تجتمع العائلة بأكملها؛ الإخوة الثلاثة (عبد الله) و(حسين)



و(فيصل) وهي وأخواتها جميعهن لحضور حفل زفاف (سمية) الذي لن ينتهي بسفر (سمية) إلى (جدة) بل بانتقال أخيها (عبد الله) للعيش فيها مع زوجته وولده.

جاء اليوم الموعود وتألّقت (سمية) كعروس خرجت من قصر (فرساي) في فرنسا بذلك الثوب فرنسي التصميم، كان الزفاف فخماً ورائعاً و(منى) بثوبها الذهبي المصنوع من قماش الأطلس بهرت الحضور بجمالها بحيث كلمت عدّة نسوة أمها ليطلبن يدها لأبنائهن، ولكن الأم ردت بحرج بأن ابنتها لا زالت صغيرة على الزواج فلها من العمر سبعة عشرة ربيعاً فقط.

كانت ليلة جميلة تعلّقت فيها (منى) بأم (خالد) تلك السيدة الطيبة الفاضلة وخفق قلبها طول السهرة وهي تدرك بأن (وليد) يحضر الزفاف مثلها في قسم الرجال، فهو الآن يتنفس نفس هواء مدينتها (أبها)، وكم شعرت بالغبطة لمجرد فكرة وجودها معه في نفس المدينة، مما أدخل البهجة على روحها، وورّد دم خديها فازدادت جمالاً على جمال، حتى سمعت (جَمْنُون) يهمس في انبهار:

- «لا أصدّق ما تراه عيني، أنتِ أجمل من كل الجميلات، كل مَنْ في قاعة الاحتفال لا يضاهون جمالك، أنتِ أجمل من رأت عيني، وأنتِ حبيبتي».

لم تجبه سوى بكلمة:

- «شكراً».

فعقلها مشغول بذلك الذي أنقذها حتى لا تسقط من الشجرة واستكانت بين ذراعيه وذابت في عينيه.

ذلك الشاب الوسيم والشجاع (وليد).

انتهى الزفاف الجميل وودّعت أختها الغالية (سمية) التي سافرت لشهر العسل وبعد ذلك ستعيش في (جدة)، لكن الحزن لم يتملّكها بعد لأن أختها (فاتن) لم ترحل، وحبيبها (وليد) قرر أن ينام عندهم في منزلهم لأن أباها (فيصل) صديقه.

أخوها الذي سيسافر اليوم بالذات، وعلى ذلك أرادت أن تعطيه قميصه وتودعه، وعند المساء سيسافر (وليد) وهنا سيعرف الحزن قلبها، وبعد يومين ستسافر (فاتن) وهكذا ستصبح هي و(عبير) وحيدتين

إلا أن (عبير) تكاد تطير من السعادة، فبعد شهرين سيكون زواجها مع كتب الكتاب في يوم واحد، فقد اكتفت بالتعرف على زوجها من خلال الهاتف في فترة الخطوبة، وهو مستعجل وهي لا تمنع، ولكن ماذا سيحدث لها وحدها بعد (عبير) في هذا البيت المسكون؟

زفرت بجدة وطردت الكآبة من عقلها وقرّرت أن تستمتع باللحظات التي تجمعها مع أحبّتها ثم عندما يحين وقت الحزن، تحزن.

دخلت غرفة (فيصل) التي تستقل بجناح بعيد عن غرفهن وبها حمام خاص فشاهدت حزيناً حقيقته الجاهزة للرحيل، مطّت شفيتها بحزن فها هو يغادر كما غادرتهم (سمية) العروس.

- «ولكن أين (فيصل)؟».

تساءلت إذ كانت الغرفة خالية، وهنا صدمت عندما شاهدته على سريرته متدثر بالغطاء من رأسه لأخمص قدميه، ليتقي نور الشمس القادم من النوافذ مفتوحة الستائر.

وضعت يدها على شفيتها في دهشة فقد بقي نصف ساعة ويجب حينها أن يكون في المطار.

ابتسمت في لؤم وتذكّرت طريقة أخيها في إيقاظها، والآن جاء دورها لتنتقم.



مشّت على أطراف أصابع قدميها حتى وصلت إلى حافة السرير عند قدميه ثم جلست بهدوء وأمسكت بأناملها اللحاف وبخفة كشفت عن قدميه، كادت أن تفلت منها ضحكة منعته بالقوة، ثم ابتسمت بمكر وأخذت خصلة من شعرها، فأخوها كان يستخدم إصبعه ولكنها ستفوق عليها بخصلة من شعرها الطويل، فهي أكثر تأثيرًا من الإصبع، ثم مدّت الخصلة وأخذت تدغدع قدمه وهي تقلد صوت النحلة:

- «زيبين زيبين زيبين زيبين».

حَرَكَ قدمه في تَذْمُرٍ، فتَوَقَّفت لثانية وهي تَكْتُم ضحكتها بيدها الأخرى، ثم عادت إلى عملها الصبياني:

- «زيبين زيبين زيبين زيبين».

نفذ قدميه من جديد وهو يصدر تأفّف انزعاج، توقّفت لثانية ثم عادت من جديد:

- «زيبين زيبين زيبين زيبين».

فجأةً كما ينقضُّ الصقر على فريسته نفذ اللحاف وانقضَّ على النحلة المزعجة، مشقلاً نفسه وجاعلاً قدميه مكان رأسه ورأسه مكان قدميه ليُمسك بيدها الماسكة خصلة الشعر بالجرم المشهود.

صرخت فَرِعةً، ليس من انقضاضته فحسب بل لأن ذلك الشاب لم يكن أخوها (فيصل).

لا لم یکن هو.

نظرت نحوه ترتجف غير مصدقة وهو يشرف عليها من فوق حافة السرير وهي لاتزال تجلس القرفصاء على الأرض، وعيناها تلتقيان بصدمة عنيفة.



لقد كان (وليد)!

حبيبها الغالي.

هنا من بين كل الناس.

اختفت الصدمة من عينيَّه ليحل مكانهما لمعة فرح وسعادة وحبور، همس بصوتٍ سعيدٍ:

- «أنتِ (منى)! لا أصدِّق عيني».

كلماته أيقظتها من دهشتها، فتلعثمت وارتبكت وتخبَّطت مشاعرها ما بين الخجل والحرج والفرحة لرؤيته، وعدم تصديق اللعان السعيد برؤيتها في عينيه، واللهافة التي ميَّزتها في صوته، نطقت بجهد كلمات متقطعة:

- «أنا آآ آسفة ظ... ظ.. ظننتك.. (فيصل) ك.. كيف جئت إلى هنا؟».

ثم رفعت إصبعًا مرتجفًا نحو الأعلى واستطردت:

- «فراشك فوق، أنا وظَّبتَه».

ابتسم لها ابتسامَةً أذابت عظامها وقال بهمس سعيد:

- «أنتِ من كان يوظبه لي لذلك نمت عليه نومًا هائئًا، ولكن حظي السعيد جعل أذاك يدعوني للنوم معه البارحة فحظيت بفرصة لقائك، إنه الآن يأخذ حمامًا سريعًا (دشًا) قبل سفره، وسيخرج بعد قليل، وأنا المحظوظ كنت مكانه لأتلقى لسعاتك أيتها النحلة الجميلة».

ارتبكت ونظرت نحوه وفكرت هل تجري وتختفي من أمامه؟ أم تبقى وتنعم بوجوده؟



همس لها والحب ينطق من عينيه ولمسة يده على ساعدها تكاد تذيب عظامها بين يده:

- «اشتقت إليك، ألا كم أنا سعيد، كنت أنتشي سعادة لأننا نجتمع وننام تحت سقف واحد، ولكن أن التقيك وأجتمع بك وجهًا لوجه، أكاد لا أصدق عيني».

ارتجفت من أعماقها أنه مشتاق لها، بل إنه عرفها أول ما رآها وهذا يعني أنه لم ينسها، خشيت أن تكون تحلم؟ أو تتوهم أو...

أعادها إلى الواقع صوت (وليد) الدافئ المرتجف وهو يقول:

- «(منى) هل هذه أنتِ حقًا؟».

لم تقوَ على النظر في عينيه أكثر، فقد كان قلبها يضج في خفقاته، وشعرت بالدماء تغلي في عروقها كأنها تسمع جريان دمائها السريعة في أذنيها، انعكست لون الدماء على وجهها الذي اصطبغ بحمرة الخجل، فانكمشت على نفسها واطرقت وجهها وعينيها نحو الأرض خجلاً، واخذت ترتجف بشكل انعكس على ساعدها الذي لا يزال يمسك به.

تلك الرجة ملكت قلبه، فهتف بحنان بالغ:

- «لا لا لا تخافي أنا لن أؤذيك، فقط أردت أن انتهر الفرصة لأخبرك بمدى اشتياقي إليك، ولا أدري إن كان ذلك سيسعدك أم يغضبك مني؟ ولكن مهما غضبت لا تكرهيني أرجوك».

قال كلمته الأخيرة وعيناه تتسعان بلوعة ورجاء، فرفعت رأسها نحوه و شهقت رافضةً هذه الكلمة التي لا تندرج في قاموسها، ففضحت عيناها مشاعرها مما جعله ينظر نحوها في عدم تصديق، ثم ابتسم لها برقة أدهشتها وسحب يدها ووضعها على خده وأسبل عينيه وقال هامساً بصوتٍ متحشرج:

- (منى) منذ يومين كانت أختك عروسًا وأنتِ ستكونين يومًا ما اجمل عروس، ولكنني أعدك».

صمت وفتح عينيه ونظر نحوها نظرةً ثاقبةً ثم قال في حسم وإصرار:

- «أعدك بأنك لن تكوني عروسًا لرجل غيري».

شهقت في دهشة غير مصدقة ما سمعته أذناها، وما رأته عينها من الحب والصدق الفاضحين في عينيه.

قال كلماته تلك ثم لثم بشفتيه المكتنزتين والدافتتين راحة يدها.

وهنا لم تحتمل أكثر فقد غلبها خجلها، كما غلبها الحب الذي تخشى أن يجعلها تتصرف تصرفًا مُتهوّرًا يفضح شعورها نحوه أكثر، فسحبت يدها منه ولكنه أطبق عليها فوق خده ورماها بنظرة رجاء وابتسامة ناعمة كسلى تداعب شفتيه.

سقط قلبها عند قدميها، يا إلهي إنها لا تقوى على تحمل الحب الذي يكاد يفجر شرايينها، قال لها بصوتٍ متحشج:

- «سأتركك الآن وأنا على يقين بانك ستكونين لي يومًا ما (منى)».

صمت ونظر نحوها نظرة جادة، وشعرت بأنه يرغب بقول شيء ما فترقّبت شفتيه، فقال لها بصوتٍ خرج من بين شفتيه أجش أصابها في مقتل عندما قال:

- «أحبك.. أحبك يا قطي الصغيرة وما قبلت المبيت في بيتكم إلا لأت نفس الهواء الذي تتنفسينه».

ارتجفت شفتاها ولمعت الدموع في عينيه.

أمعقول ما سمعته؟

(وليد) يحبها!



(وليد) حبيبها يبادلها نفس الشعور!

أي سعادة هذه التي ملكت روحها، وجعلت قلبها يتوقّف عن النبضان وأنفاسها تتجمد؟

ضيقَ عينيه وهو يترقّب ردّة فعلها فوجدها ترتعش في هيام.

انتفض قلبه إذ أدرك يقينًا من أن مخاوفه قد ولت وذهبت مع الريح فحبيبة قلبه تبادله الشعور، أغمض عينيه في نشوة ثم فتحهما وقال بسعادة كبيرة وبصوتٍ مُتهدّج:

- «أنتِ لي وأنا لك، وحدك أنتِ، لكِ أنتِ من بين كل النساء».

ارخي يده عن يدها فقد آن للأسف وقت رحيلها (فيصل) سيأتي في أي لحظة، فأدركت بأن لقاءهما السريع الذي سرق لحظة عذبة من الزمن، ودقائق ساحرة من الساعة، قد آن له أن ينتهي، ولكن هل تحزن؟ أم أن عليها أن تكون ممتنة لتلك اللحظات الأسعد على قلبها من بين كل لحظات حياتها؟ رمته بابتسامة خجولة وأشاحت بوجهها عنه، فتوقّف قلبه عن الخفقان وهو يتأمل محبوبة قلبه التي سحبت يدها الغالية من يده، ووقفت لتركض أمام عينيه كغزالة تجري وسط الغابة، وشعرها الطويل يطير في الهواء ووركاها ينتفضان كمهرة جامحة وعندما اختفت من أمام ناظره، اطلق زفرة حارة وألقى بنفسه على الفراش، ووضع يده على خده الذي كان منذ لحظات ينعم بدف راحة يد حبيبته الوحيدة.

حبيبته (منى).



سأذوق منك المفاتن

في غرفتها استردَّت أنفاسها وتذكَّرت بأنه راحلٌ مساءً، وتساءلت كيف تحتمل
فراقه بعد أن صرَّح لها بحبه؟

كم هي سعيدة الآن إذ تيقَّنت من حبه لها وهي بالمثل تحبه.
أخذت تدور بسعادة، إنه يحبها فأَي سعادة أعظم من سعادتها؟
تنهَّدت في هيام وأخذت تتمنى اللحظة التي تكون فيها ملكه بالفعل.
ترى متى؟

لا بُدَّ من أن تنتظر سنين حتى يستطيع أن يخطبها.
عَضَّبَتْ شفيتها وأغمضت عينيها بإثارة ثم أخرجت مذكرة تكتب فيها بين الحين
والآخر خواطر وأشعار وأفكار.
جلست على كرسي مكتبها وأخذت تسطر كلمات خرجت من أوتار قلبها المهتزة
حبًّا وطرَبًا:

بروحي أنت وروح الروح تطريك
لا تطول على قلبي الغيبة
يا بعد روحي وقلبي أنا أغليك
عساك بالطيب والعز والهيبة

صوت (جَمْنُون) الباكي:

- «لن يحبك بقدري اقسم لك».



اشراًبَّت بعنقها لعلها تراه بوضوح، ورغم خفقات قلبها الشديدة العالية إلا أنها استطاعت أن تسمع فحيح ثوبه وهو يتقدَّم نحوها.

حبست أنفاسها وهي تشعر بأن الهواء اختفى من المكان، والضيق يجثم على صدرها، ومن الركن الشديد الظلمة خرج ليكون في دائرة الضوء الشحيح القادم من السماء المشعة من ضوء البدر، وفي تلك الدائرة رأته وعرفته.

(جَمُنُون) بهيئته الآدمية.

يرتدي بنطالاً أسود وقميصاً أسود طويلاً جداً كأنه ثوب، له فتحة صدر كبيرة قد أهمل أن يغلقها فكشفت عن صدره المرمري، وشعره مبعثر، ووجهه شاحب غارق في دموعه، وعيناه الرصاصيتان كعيني نمر غاضب، نظرت نحوه متوترة فسمعته يقول بصوتٍ قادم من أعماق بئرٍ سحيق:

لماذا الصد والهجران؟

قابلتِ الحب بالعدوان

في نظرك أنا الجاني

وحبي لك غير عادي

قلبي من الجور يعاني

بعدك سبب عنادي

كم أعاني كم أعاني

ستجديني في كل مكان

معك طول الزمان

كم أعاني كم أعاني

ابتلعت ريقها بصوتٍ مسموع، شعرت بالألم في قلبها وهي ترى صديقها الغالي يبكي بألم وحرقة، خشيت أن تضعف ففضلت أن تجري في العراء ولكنها ما كادت تخطو خطوتين حتى وجدته أمامها يسد المدخل والمخرج الوحيد لهذه الغرفة القديمة.

ارتدت إلى الوراء لتبتعد ولكنه انقضَّ عليها كالثور الهائج ومن قوته أسقطها على الأرض الترابية، صرخت بهلع، ولكنه لم يبالي بصراخها، وبيديه ثبت ساعديها على الأرض واقترب من وجهها يتشممه بشوق عجيب وعشق أعجب، جحظت عينها لما رأيته وأدركت ما هو مفروغ منه من أنه حقًا عاشق لا ينتمي للبشر.

هتفت بتوتر:

- «ابتعد عني... أنا لا أريدك».

صرخ في وجهها فبدت عيناه كفوهتين من النار وقال بغل:

- «أنا الآن لا أستأذنك».

عَضَّتْ شفتيها بقهر وهي تبعد وجهها عن أنفاسه وجسدها يرفض قربه منها بالغضب، وقالت بقوة وعناد:

- «ولن تلمسني رغمًا عني، فأنا معي ربي سيحمني».

ثم استطردت بصوتٍ مرتجفٍ راج:

- «إن كنت تحبني فعلاً فلن تؤذي مشاعري بأخذ مرادك مني بالقوة».

توقَّفت لبرهة في خنوع وأشاح بوجهه عنها مُتَأَلِّمًا مُقاوِمًا رغبته وغضبه في سبيل أن لا يجرح قلبها، فواتتها الفرصة لأن تدفعه وتحبو بخوف حتى استطاعت أن تقف على قدمها وتهرب، أخذت تجري في الخلاء والدموع تُبَلِّل وجنتيها وحينما أدركت أخيرًا بأنها وحدها و(جَمُنُون) لا يتبعها، توقَّفت لتسترد أنفاسها. لكنها



فجأةً سمعت صوته المُتَوَعَّد يتردّد صدها في الفضاء قائلاً دون أن تعرف مكانه أو أن تراه:

كم شكوت الحب لكن

طينك اللازب صامد

سأذوق منك المفاتن

فذوقي نار المارد

اتَّسعت عيناها رعباً وقد فهمت ما يعنيه، إنه يهددها لرفضها له، إنه يتحداها ويعلن الحرب عليها إن لم ترضخ له، فهل ترضخ؟ فأمثالها لن يرضخن بسهولة؟ اهتزت أعماقها رافضة الرضوخ أن لا وألف لا... لست أنا من ترضخ للإجبار، لن يجبرني أحد مهما كان لأن أفعل شيئاً لا أريده، نعم لن ترحمه بعد اليوم ولن تغفر له مسه ودخوله لجسدها حتى لو ملأ الأرض بكاءً وصراخاً، فإن أراد الحرب فله ذلك.

صرخة مدوية أطلقها (جَمْنُون) بعذاب لقراءته أفكارها، صرخة جعلتها تُمسك رأسها بكلتا يديها لتستيقظ مُبَلَّلة العرق على فراشها.

كان شهر عصيب ذلك الذي سبق زواج (عبير)، ف(جَمْنُون) يتعذّب داخلها من الحزن ودائماً تسمع صوت بكاء في عقلها فتعرف بأنه (جَمْنُون).

رغم حزنها عليه إلا أنها حاولت تجاهله وانشغلت بتحضير الزفاف والاستمتاع مع أختيها (فاتن) و(سمية) حتى جاء الزفاف الأنيق الذي اختالت فيه (عبير) فبدت جميلةً سعيدة.

انتهى الزفاف وودعتهم (عبير) ورحلت.

وبعد أسبوع سترحل (سمية) و (فاتن)، كان قلب (منى) ينفطر لهذا الأمر، ولكنهما الآن معها وستستمتع (منى) بهما قبل أن ترحلا وتبقى وحدها.

وأخيرًا جاء اليوم المشؤوم الذي سافرت فيه أختها فأصبحت وحيدة في منزل كبير مع والديها، وهنا ومن بين أحزانها سمعت (جَمُنُون) يهمس لها:

- أدرك حزنك ووحدةك، ولكني معك وأستطيع أن أغمرك حبًا من رأسك حتى قدميك، أستطيع أن أطير بك في سماء من الحب لو سلمت قلبك لي».

أغمضت عينيها بألم وهي تدرك صدق حبه لها ولكنها تخاف أن تُسلم له قلبها ومن بعد ذلك تتخبط في حياة غير طبيعية.



الحبُّ السافر

مرَّ أسبوع هادئ على غير العادة، فهي تنام وحيدةً في غرفتها بل منفردةً في القسم المخصص لغرف النوم، فقد أصبح مهجورًا، إلا منها ومن الخادمة. وذات ليلة وهي ذاهبة إلى فراشها لتنام ووالداها قد سبقاها إلى رحلة النوم، دخلت غرفتها وخلعت ملابسها لترتدي منامة النوم وكانت قميصًا قصيرًا ناعما أبيض، فجأة شعرت بألم في إصبع قدمها الكبير، ألم أشبه بدبوس يخرقه خارجًا منه، تأوهت من الألم وجلست على سريرها، خف الألم وبقي مكانه نبضات، ورغم ذلك شعرت بخفة في جسدها وراحة لا تدري مصدرها.

سرَّحت شعرها الطويل الذي يصل إلى ردفها، وضعت المشط على منضدة الزينة لتتَّجه إلى سريرها وتنام ولكنها قبل أن تفعل رأت خيال شيء في المرأة فالتفتت بسرعة خلفها، وهناك في الزاوية التي بين خزانة الثياب ومكتبة الكتب شاهدت كيانا يقف بينهما، ارتعدت فرائصها وثقل لسانها، وقبل أن تشعر بمزيد من الهلع خرج ذلك الظل إلى النور فانتفض قلبها في صدرها بعنف وفتحت عينيها على محجريها، فأمام عينيها مباشرةً كان يقف رجل، رجل حقيقي!

شاب وسيم بهي الظلة لم ترَ أوسم منه في حياتها، يرتدي ثيابًا بهية، بنطالًا قماشه غريب لونه فضي، وقميصًا حريريًا أسود مُطرَّرًا يكشف عن صدره.

شاب يبدو في التاسعة عشر من العمر، ممشوق القوام، عريض الكتفين، مفتول العضلات، دقيق الأطراف، ناصع بياض البشرة، شعره بني ذهبي ناعم وكثيف، وعيناها الكبيرتان واللوزيتان كانتا رصاصيتين.

تلك العينان تعرفهما، وقبل أن تفكر أو تتذكر، تكلم الشاب بحذرٍ شديدٍ قائلاً:

- «نعم يا (منيتي)... انه أنا (جَمُون)».

ارتجفت وشعرت بعجز ساقها على حملها فجلست على الكرسي وقلبها يخفق رهبةً وذعرًا وعجبًا، مشاعر مختلفة تضاربت في أعماقها فلم تُعد تدري بماذا تفكر!

كان يشعر بالخوف عليها أكثر من خوفها منه، فتقدّم بخطوات بطيئة وقال بحذر:

- «أرجوك لا تخافي مني، فأنا صديقك الذي رافقك منذ طفولتك أنا أكن لك كل الحب، الحب وحده، ولا أبغي بك شيئًا، أرجوك (منيّتي) اسمعيني لحظة».

رمشت بعينيها مرارًا وتكرارًا وهي لا تصدق بأنها ترى (جَمُنُون) حقيقةً ماثلةً أمام عينيها، بدأت أنفاسها تهدأ قليلًا، ولاحظت بأنه أمامها بهيئته الحقيقية، فشكت بأنها تحلم رغم أنها لا تذكر متى نامت، فهمست بصوتٍ مرتعدٍ:

- «هذا منام كالعادة، أليس كذلك؟».

اقترب منها أكثر وجثا على ركبتيه وقال برجاء:

- «لا ليس منامًا، بل هو واقع سيكلفني الكثير، لقد خرجت مضطربًا من جسدي وأنا الذي أقسم أن لا أفعل، كل هذا لتريني كشخص ملموس لتقتنعي بوجودي كرجل يستحق أن يحصل ولو على القليل من مشاعرك».

أطرق رأسه فأدركت مدى توثره وقد ذهب منها الخوف قليلًا، استطرد بعد أن رفع وجهه والدموع تلمع في مقلتيه الكبيرتين:

- «تعبت، أتعبني صدك ورغبتك في الخلاص مني، بل قتلتني نفورك مني وكانني شيء قبيح، أرجوك ارفقي بحالي فقلبك كبير».

ارتجفت لتوسلاته وشعرت بشفقة كبيرة عليه، وفكرت، ألهذا الحد يحبها؟!

كان قلبها يختلج حبًا، قاومته ولازالت تقاومه خوفًا ورهبةً من عالم مجهول،



فلم تعرف بماذا تجيب؟

قال بُولِه:

- «أنا أمامك حقيقة ماثلة وليس مجرد طيف يزورك في المنام، أنا أمامك رجل يركع ويتوسّل رضاك، أنا سيد قومي أركع خاضعًا كعبد عند قدميك».

أغمضت عينيها الدامعتين ألماً وتأثّرًا وهي تدرك بأن في هذا الكون لن يحبها أحد كحبه لها.

قرأ أفكارها فقال بهمس حنون:

- «ولا حتى أمك وأبوك».

مدّ يداً مرتجفة نحوها فأنّسعت عيناها وتجمّدت مكانها.

يده تتّجه نحوها ببطء شديد حتى لامست أناملها، أجفلت لحظة لبرودة يده، كانت يده كالهواء الثقيل وقد ارتاحت أصابعه الدقيقة الطويلة على أناملها برقة.

أغمض عيني بهناء وهمس بهجة:

- «يااااه وأخيرًا».

بلّلت شفّتها ولم تعقب على كلامه، نظر نحوها فالتقت عيناها هو يحمل مشاعر العشق والشوق، وهي الحيرة والرغبة.

أمسك بكلتا يديها ونهض من مكانه ساحبًا إياها من على كرسيها.

ارتجفت وهي تقف أمامه، كان فارح الطول، وكان جميلًا وساحرًا كأنّه مصاص دماء بشري جميل وفي نفس الوقت غير بشري، ابتسم لها فكشف عن صف أسنان بيضاء، ابتلعت ريقها بوجل وأطرقت بعينيها تتجنّب فتنته الخطيرة، همس بشوق:

- «لا... لا تفعل.. أريد أن أرى عينيك».

لا تدري لماذا انصاعت له ورفعت عينيها؟

فالتقت بعينه وشعرت وكأنه إنسان بالفعل وأنَّ هناك في تلك العينين راحتها وتوأم روحها.

قال بصوتٍ أجشٍّ:

- «أحبك.. لا لا هذه الكلمة لا تكفي... بل اعشقك! أعبدك وإمكاني أن اجعل منك سعيدة، ولكنك ما فتئت ترفضيني، لا ألومك فأنا من عالم غير عالمك، ولكني قد أخبرتك من قبل أن إمكاني التجسد والحضور إليك كرجل حقيقي».

أقرن قوله بالفعل، فسحبها نحوه واحتضنها فانتفضت.

نعم انتفضت حتى الأعماق.

رجل في غرفتها بعد منتصف الليل ويحتضنها!

والأمر كله حقيقة وليس وهمًا، رجل يعشقها وهو من الجن.

كان حضنًا حقيقيًا شعرت به يُذيب قلبها، ضمها نحوه بشكل أقوى فشعرت بكهرباء تنفض روحها وقلبها وكيانها، شعور عجيب يختلف عما شعرت به في حضن (وليد)، دفن وجهه في شعرها وشعرت بأنفاسه على رقبتها، فارتجفت.

تأوّه بعذاب وبكى، هنا أصابها الذهول ولم تنبس ببنت شفة، قال من بين دموعه وشهقاته:

- «أرجوك لا تطرديني وتتركي، أحد عشر عامًا وأنا قلبي ملكك وحدك، رأيتك طفلة والآن أراك زهرة تتفتح، دعيني أبقى معك، اقبلي بي جريبي ولو مرة واحدة لتحكمي إن كنت سأسعدك أم لا».



عقلها مرتبك يحاول أن يفهم فحوى كلماته، ولكنه مشتت، وقلبها مضطرب.

رفع وجهه المُبَلَّل بالدموع ونظر في عينيها وهمس:

- «أريدك لي، لا تخشي الذنب والخطيئة فأنا أريدك زوجة».

ارتعدت فرائصها وسقط قلبها بين قدميها ونطقت بصعوبة قائلة:

- «م.. ماذا؟».

ردّ بسرعة مدافعًا:

- «لَنْ تُلَاحِظَ سَمْعَتَكَ، سَتَبْقِيْنَ كَمَا أَنْتَ أَمَامَ عَائِلَتِكَ وَالنَّاسِ».

قالت برعب:

- «كيف إذن؟».

رَدَّ بِسُرْعَةٍ مُسْتَغِلًّا تَجَاوُبَهَا:

- «يحدث يا حبيبي يحدث، وستشعرين بالسعادة، ولكن أعضائك ستبقى

سليمة فأنا خفيف لأني مخلوق من نار، وأنت بناء سميك مخلوق من طين».

حاولت أن تفهم، فاقترب منها وهمس بشوقٍ شديد:

- «ليتك تأخذين شعلة واحدة من النار التي في قلبي لتدركي بأنها قادرة على

حرق العالم كله».

کلماتہ..

ناااامة..

کلماتہ..



سأاحرة..

كلماته تغوي ..

تغوي.

وعواطفه الساخنة استثارت الأنثى في داخلها.

قلبي يفزُّ له فزًّا وهي تقمع نبضاته.

ابتلعت ريقها وأسبلت عينيها الدامعتين فلم يضيع الوقت إذ مال على شفتيها وقبلها قبلة ناعمة.

ارتجفت للمسمة شفتيه، فرغم كونه قد قبلها من قبل إلا أن الشعور هذه المرة مختلف، فقبلاته الماضية كانت وهو في داخلها ولكن الآن قبلته حقيقية، أول قبلة حقيقية في حياتها كانت من شفتيه إن في المنام أو الواقع، ارتجفت خائفة من برِّ إغوائه.

تململت لتتخلص منه ولكنه عاد وقبلها قبلة عميقة شلَّت أطرافها فاستكانت، وفي لحظة حملها وبدون أن يمشی بل طفي فوق الأرض وكأنه لا يلامسها، وضعها على سريرها وأضجع جوارها مشرقاً عليها بجذعه العلوي، وبعينيه المشتعلتين نازراً أسر عينيها النجلاءين ثم انحى في لهفة وشوق يقبل نحرها، وجسده يرتجف بالكامل من السعادة والحبور، والرغبة في أن يمتلك معشوقته (منى) بعد طول صبر.

كان حضوره قويًا، فذبذبات كهرومغناطيسية انتشرت حولها وعلى لحمها، إنها تشعر بحضوره وكأنه فولت كهربائي، وكلما اقترب من جسدها أكثر كلما شعرت بتلك الذبذبات على بشرتها، أسبلت عينيها وهي تستشعر تلك الكهرباء التي أخذت تلسع بشرتها، فجأةً شعرت بيدٍ تدخل من تحت ثوبها وتزحف على وركها



مُتَّجِهَةً إِلَى مَكْمَنٍ أَنْوَّثَتْهَا، هُنَا فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا بِفَرْعٍ وَقَدْ شَعَرَتْ بِأَنَّهَا تَسْقُطُ فِي
الْهَآوِيَةِ.

هَآوِيَةِ الْخَطِيئَةِ، لِذَا وَقَبْلَ أَنْ تَصِلَ يَدُهُ لَتَلْمَسَ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ لِمَسِّهِ..

لَتَلْمَسَ مَكَانًا مُقَدَّسًا لَا يَكُونُ إِلَّا لَزَوْجِهَا..

أَمْسَكَتْ بِيَدِهِ الَّتِي تَحْتَ ثِيَابِهَا وَتَبَّتَتْهَا عَلَى وَرْكَهَا لِتَوْقِفَ زَحْفَهَا وَهَتَفَتْ بِصَوْتٍ
خَائِفٍ مُقَاوِمٍ:

- «لَا لَا... ابْتَئِدْ عَنِّي أَنْتِ تَحْتَنِي عَلَى الْخَطِيئَةِ، مَا تَفْعَلُهُ حَرَامٌ حَرَامٌ».

عَضَّ شَفَتَيْهِ حَتَّى أَدْمَاهَا وَنَظَرَ نَحْوَهَا بِقَهْرٍ وَقَالَ بِصَوْتٍ أَبْج:

- «حَرَامٌ.. حَرَامٌ..».

ضَحَكَ بِمَرَارَةٍ ثَمَّ هَتَفَ بِالْم:

- «الْحَرَامُ مَا تَفْعَلِينِي بِي، أَرَأَيْكَ كُلَّ ثَانِيَةٍ وَلَا أَعْبِرُ عَنِ النَّارِ الَّتِي فِي عُرُوقِي، مَا عَدْتُ
أَصْبِرُ، أَقْسَمُ بِالرَّبِّ مَا عَدْتُ أَطِيقُ صَبْرًا».

وَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى صَدْرِهَا وَأَجْهَشَ بِالْبَكَاءِ، سَقَطَتْ (مَنَى) فِي مَسْتَنْقَعِ ضَحْلٍ لَمْ
تَعْرِفْ كَيْفَ تَخْرُجُ مِنْهُ!

لَقَدْ شَعَرَتْ بِشَفَقَةٍ شَدِيدَةٍ عَلَيْهِ جَعَلَتْ قَلْبَهَا يَبْكِي لِأَجْلِهِ.

وَضَعَتْ يَدَهَا الْمُرْتَجِفَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَخَذَتْ وَهِيَ فِي حَالَةٍ دَهْشَةٍ مِنْ نَفْسِهَا
تَمَسَّدَ عَلَى شَعْرِهِ النَّاعِمِ الْكَثِيفِ لِتَوَاسِيهِ وَتَهْدِئِهِ مِنْ رَوْعِهِ.

لِمَسَاتِهَا تِلْكَ كَانَتْ كَالسَّحَرِ عَلَيْهِ إِذْ هَدَأَتْ انْفِعَالَاتِهِ لِمَدَاعِبَتِهَا لَهُ وَكَقَطِ مُدَلَّلٍ
أَخَذَ يَحْكُ شَعْرَهُ بِيَدِهَا أَكْثَرَ فَشَعَرَتْ بِهِ وَكَأَنَّهُ طِفْلٌ.

قالت برقة لترضي خاطره:

- «قد كنت غاضبة منك أما الآن فأنا أشفق عليك أكثر من قبل، ولكن أنت تعرف بأنني فتاة فاضلة من أسرة فاضلة، أنا أخاف العقاب الإلهي ولا أقوى على ارتكاب كبيرة من الكبائر كالتى تطلبها مني».

رفع رأسه ونظر نحوها وقال بآلم:

- «لنعلن زواجنا».

ارتدت مصعوفة، فاستطرد بحماس:

- «فقط قولي زوجتك نفسي».

فكرت بحرارة..

أيهما أشد رعباً؟ أن ترى عفريناً أو ماردًا أو حتى شيطاناً، ولكنك تذكر اسم الله فيخنتي ويرحل وينتهي خوفك؟

أم أن يغويك عفريت؟ يغويك بالمنطق، بالعزف على وتيرة المشاعر، فيخفق قلبك وتنساق لرغباته؟ وبعدها أين الخلاص؟ فحتى لو ذكرت اسم الله فهو يقبل بالحرق ولا يرحل.

فجأةً تنبّهت لأمر هام، أمر قد ينقذها ويوقف (جَمُنُون) عند حدّه، فقالت بحسم:

- (جَمُنُون) أنت مسيحي وأنا مسلمة، لا يجوز زواجنا. لذا انس الموضوع».

حدّق فيها بذهول ثم زفر بغضب وقال من بين أسنانه:

- «أنت إنسية وأنا جني فلا تُدقّقي في مثل هذه التفاصيل».



رَدَّتْ بِذَكَاءٍ:

- «بالضبط كما قلت أنت؛ أنا إنسية وأنت جني. وهذا سبب ثانٍ لعدم صحة زواجنا».

أغْمَضَ عَيْنِيهِ بِقَهْرٍ وَصَبَرَ وَقَالَ بِرَجَاءٍ:

- «بحق الرب (منيتي) لا تعقدي المسائل أرجوك... أرجوك».

أَخَذَ يَهْمَسُ أَرْجُوكَ وَهُوَ يَقْبَلُهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ ثُمَّ هَمَسَ بِذُلٍّ شَدِيدٍ:

- «أنا عبدك.. خادمك.. زوجك.. أي شيء تريدينه، ولكن لنكن معًا، اجعليني التحم معك، مرة واحدة فقط، مرة واحدة».

فَكَّرَتْ بِأَنَّهَا لَنْ تَكُونَ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَبَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى سَيَطَالِبُ بِهَا عَلَى الدَّوَامِ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ حَقِّهِ، حِينَهَا كَيْفَ سَتَتَخَلَّصُ مِنْ بَحْرِ الرِّذِيلَةِ الَّذِي سَتَصْبِحُ فِيهِ وَتَغُوصُ؟ ثُمَّ مَاذَا لَوْ أَحَبَّتْ وَصَالَهُ وَوَقَعَتْ فِي غَرَامِهِ؟ كَيْفَ تَعُودُ لَوَاقِعِهَا كِإِنْسِيَّةٍ؟

لَقَّتْ رَأْسَهَا عَلَى يَمِينِهَا فَوَقَعَتْ عَيْنَاهَا عَلَى دَفْتَرِ خَوَاطِرِهَا وَأَشْعَارِهَا فَتَذَكَّرَتْ حَبِيبِهَا (وَلِيد) فَقَالَتْ بِدُونِ وَعِي:

- «هل أكون لك؟ وأتزوج بـ(وليد)؟ أيعقل أن يكون لي رجلان في وقت واحد؟! هذا لا يجوز».

رَفَعَ رَأْسَهُ بِجِدَّةٍ وَصَرَخَ صَرْخَةً كَزَيْرٍ نَمْرٍ أَسْوَدَ جَعَلَتْهَا تَهْلَعُ خَوْفًا وَتَتَكَمَّشُ عَلَى نَفْسِهَا، انْقَضَ عَلَيْهَا مُمْسِكًا بِسَاعِدَيْهَا وَمُثَبِّتًا إِيَّاهُمَا فَوْقَ رَأْسِهَا وَقَرَّبَ وَجْهَهُ مِنْ وَجْهِهَا وَالْغَضَبُ يَنْبُضُ مِنْ وَجْهِهِ فَبَدَأَ كَتْنِينَ يَنْفِخُ نَارَهُ قَائِلًا:

- «لعينة لعينة محال محال محال محال أن يلمسك رجل غيري أفهمت؟».

رغم خوفها إلا أنها همست قائلةً:

- «ألسْتُ تغريني بأن وصلك لا يفقدني عذريتي وكأنك تقصد أن بإمكانك الزواج ببشري؟». صرخ في وجهها نائراً:

- «يوووووووه بشري بشري، ها أنا رجل أمامك».

خافت منه، حقاً خافت منه، وهي تشعر بالفعل بأنه عفريت جبار، أي عينيّن تصطبغ عدستاها باللون الأحمر الناري هكذا؟!

أي وجه هذا الذي أصبح لونه يصطبغ بالاحمرار، أي قوة تلك التي تكاد تحطم ساعديها؟ همست بصوتٍ مرتجفٍ مرتعجٍ:

- «لا تؤذني أرجوك... ساعداي سيتحطمان».

اتّسعت عيناه وأخذ ينظر نحوها تارة، وتارة نحو ساعديها وهو يفر هواءً تراه كأنّه دخان تنين هائج.

صدره يعلو زفيراً وشهيقاً بقوة وبصوتٍ مسموعٍ حتى كادت تشعر بأن قفصه الصدري سينفجر، قال بصوتٍ مُتهدّجٍ:

- «أن أكون.. اه... اه. حقيقياً أمامك.. يستدعي قوة عفريت.. وكسراً للقوانين.. وانتِ.. أنتِ تستنزفين طاقتي برفضك هذا.. تجعليني أغضب ولا أركز».

كانت خائفة ترغب في البكاء والصراخ، تشعر بهلع فظيع في أعماقها، رغم أنها تسمّرت على سريرها ولم تصرخ بعد، تمثّت لو تجري إلى والديها وتنام في أحضانها كطفلة صغيرة، تمثّت لو أختها (سمية) تفتح الباب فجأةً وتنقذها من خوفها وبأنّها واقعة في الأسر.

خوفها وتلك الأماني جعلت الدموع تنهمر من عينيها في غزارة وشهقات بكائها تنفلت من شفيتها رغماً عنها.



تنبّه لها (جَمُنُون) فأجفل، كانت تبكي، وترتجف خوفاً منه.

(منيته) التي طالما كانت قوية، كانت ترتعد منه ! ذعر من دموعها فهو لا يريد لها بالقوة وإلا لكان فعل منذ سنة مضت، سهل أن يأخذها بالقوة لكنه يرفض ذلك، مرة واحدة فقط جرب لأنه كان في قمة غضبه وغيته وعندما هربت تركها لأنه يرغب أن تستكين بين ذراعيه وتبادل له الشعور، واستمرّ في إغوائها لعلها توافق ولكنها طالما تمنّعت ومع ذلك لم ولن يجبرها بالقوة، لا يحتمل ان تكون خائفة منه لا يحتمل ذلك، فهو لا يريد لها أن تخاف منه.

لذا اقترب منها وبيده مسح الدموع عن وجهها وقال بانكسار حنون:

- «(مني) لا تبكي... (مني) لا تخافي».

عاد الأمل إلى قلبها وقالت بخفوت من بين شهقاتها:

- «إذن ستركني».

كظم غيظه وقال ببطء:

- «تؤ تؤ تؤ إلا هذا، كم أتمنى أن يتوقّف عقلك عن التفكير والتحليل ويعيش اللحظة كما هي، ما بالك مع الحقيير (وليد) مستكينة ومطبعة؟ ومعى تحليلين وتهلكيني بالحلال والحرام؟!».

فكرت ما أغرب أمره يكون لطيفاً للحظة ثم يشتعل غاضباً بعدها مباشرة! وكيف تستغرب ذلك وهو مخلوق من نار وطبعه ناري؟

ابتلعت ريقها وقالت بهدوء:

- «أريد أن أنزّوج وأنجب أطفالاً، وأعمل في وظيفة مرموقة تحقق ذاتي، هذا هو حلمي».

أجفل وجهه وسألها:

- «ما قصدك؟».

قالت برجاء تستعطفه:

- «قصدت ما ترغب به كل فتاة إنسية».

ردَّ بعصبية:

- «وأنا ماذا أفعل بنفسي؟ أنتحر؟».

أمسك وجهها بين راحتيه وركز نظراته في عينيها وقال بحسم مجنون:

- «لن أتركك.. انسي ذلك، وسأحصل عليك بزواج أو بدونه، حتى وإن تزوّجت
برجل غيري فأنا سأظل معك، فلا حياة لي بدونك».

قالت بصوتٍ يرتجف:

- «سأتركك في حياتي إن جعلتني أتزوّج ببشري وأحيا حياة طبيعية».

زأر بغیظ وقال من بين أسنانه:

- «سأحتمل الذل لأجل عينيك».

ثم استطرد:

- «والآن لتكوني لي أوّلاً».

فقالته بحزن ورجاء:

- «لا، أنا خائفة، لا أريد، يا رب أنجدني، يا.....

وضع كفّه على فمها وضحك بسخرية مريرة قائلاً:



- «لا لا يا حلوتي، لن أدعك تستنجدين به الليلة».

طفرت الدموع من عينيها، فزفر بحرقة:

- «ولا تبكي لا تبكي».

فجأةً مال على وجهها وأخذ بشفتيه يمسح دموعها، رفع رأسه نحوها والعشق يمزق أوصاله وقال بالميم:

- «لماذا الهوى يغزو القلب فجأة؟».

لماذا لا نحب من يحبنا أصلاً، لكننا ارتحنا؟

أنا أتوجّع وأموت في كل لحظة.

إن كنت للرب عاصياً فقد عاقبني بك لأتعذب كل لحظة.

عينها أرسلت له أسفها عليه، فصرخ فجأةً بغیظ:

- «لا تنظري نحوي هكذا».

تغيّرت قسماته إلى رجاءٍ باكٍ:

- أحبيني أحبيني».

كان لا يزال يكلم فمها، ففكرت أن جوارحها تشعر نحوه بالعطف والحب وأحياناً بالخوف، وكما قال؛ "الهوى يغزو القلب فجأة" فإن كانت غزت قلبه فجأةً فأحبها، ف(جُنِيَاه) قد غزاها عشق (جَمُنُون) وأما هي فحب (وليد) دخل قلبها، وهي أيضاً سكنت قلبه، فإذا كان الرباعي هذا فيه اثنان فقط ووفقاً في تبادل الحب بينهما، لماذا لا يتحدثان ويعيشان بسعادة إذن؟!

هل على رباعي الحب بأكمله أن يعانون عذاب الحب إلى الأبد؟!

تَأَمَّلْتُ عَيْنِيهِ الْمُتَأَمِّلَتَيْنِ فَقَالَ بَعْتِبِ رَاجٍ:

- «يا ليتك تقدرين الجهد الذي أبذله لأجلك، ليتك تفهمين كم ضحيت لأجلك، لماذا المقاومة؟ فستكونين لي يومًا ما إن كان اليوم أو غدًا أو بعد سنين، فَلِمَ المقاومة من الأساس طالما أنه أمر حاصل حاصل؟ فأنا أعرف بأنك في أعماقك تحبيني ولكنك تكبرين، انظري في عيني جيّدًا يا (منية)».

أبعد كفه عن فمها وأمسك وجهها بين راحتيه وحدّق في عينيها بقوة وقال بصوتٍ حاسم واعد:

- «انظري إليّ وتذكري كلماتي جيّدًا، أقسم لك في هذه الساعة وأنفاسي تلامس وجهك بأننا يومًا ما سنكون كالزوجين العاشقين وبموافقتك، إن طال زمان أو قصر».

ارتعدت لكلماته وارتجفت شفتاها فنظر نحوهما وقال بأمل:

- «فليكن الآن».

هتفت فجأة وقد تمرّدت على خوفها:

- «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله».

ارتدّ إلى الوراء ووجهه صادم، وكانت تلك الفرصة الذهبية التي لن تسنح لها مرة أخرى، فأطلقت لساقها العنان وركضت نحو باب غرفتها وفتحته وركضت بأقصى سرعتها كالمجنونة، ركضت كطفلة في السابعة وليس كفتاة في السابعة عشر.

ركضت نحو غرفة والديها التي كان بابها مواربًا.

فتحتها وأعادته كما كان ثم تمدّدت على الأريكة التي تلامس نهاية سرير والديها وتكوّرت عليها وهي ترتجف برعب وتبكي خوفًا، وتندكر ما مرّت به غير مصدقة



لذلك، فقد كانت مع رجل في غرفتها هو (جَمْنُون).

الرجل الذي أفقده العشق صوابه ويريد أن يحصل عليها إن طال الزمان أو قَصُر.

كانت لا تزال تشعر بلمساته وعبق رائحة عطره الزاكي عالقاً بها، وتسمع صدى كلماته الرقيقة والعنيفة في أذنيها.

ولكنها خائفة ولا تريد (جَمْنُون)، لا تريده مهما كان مُحِبّاً جَدّاً؛ لأن في ذلك تحدي للطبيعة ولن تتقبل أفراد أسرتها والمجتمع قصة غريبة كهذه، فهو بعد كل شيء يظل جِنِّيّاً من عالم خفي لا نراه.

ومن وسط بكائها دخل (جَمْنُون) الخفي الغرفة ومستغلاً شهقاتها، عاد ليدخل جسدها فشعرت بألم شديد في إصبع قدمها، وتنميل في جسدها فأدركت بأنه عاد ليحتل جسدها من جديد فندبت حظها إذ لم تستغل الفرصة لتحصن نفسها حتى لا يستطيع العودة إلى بدنّها.

ولكن هيهات أن يخرج من جسدها بعد اليوم، لقد أضاعت فرصتها الوحيدة.

أمّا (جُنَيّاه) فرأت بعينها (جَمْنُون) يعود لجسد (منى) والعرق يتصبّب منه ورائحة (منى) تفوح من جسده، فبكت واشتعلت نيران غيرتها الحارقة.

(جُنَيّاه) التي كانت تنتظر أن يحبها وعلى ما يبدو لن تنال حبه أبداً، وهذا جعلها تصب جام غضبها على (جميلة) وهي ترى أمام عينيها (جَمْنُون) يشتعل لهفةً على (منى) وبتحدٍ للعلن أفصح عن حبه وتجسد لهذه الإنسية التي سلبت (جُنَيّاه) حقها في ابن الملك، تلك الإنسية التي جعلته يخل بوعده والده الملك للوزير بأن الأميرة (جُنَيّاه) للأمير (جَمْنُون).

أمام عيني (جُنَيّاه) رأت هيامه بالإنسية فماتت قهراً، وتفتّت قلبها فتفتّت بالمقابل عظام (جميلة) بالآلام المبرحة التي أقعدتها الفراش.

مرض كان سببه غضب وحزن (جُنْيَاه).

أَمَّا (عبير) فقد عانت في زواجها، كانت تشعر بالضيق لبُعدها عن منزل عائلتها ولا ترتاح إلا عند زيارتها لهم، وذلك لأن الوزير (شياط) لا يطيق البعد عن أرضه ورعاياه، وعندما يعاشرها زوجها تنتفض رجلها بشدة وبشكل محرج مما يعيق عملية المعاشرة الزوجية، وقد اشتكت إلى أمها بأنها تخشى أن تطلق من زوجها لهذا السبب، وبسبب الألم الشديد في ساقها الذي يمنعها من أن تقوم بأعمال بيتها.

وضعها كان يرثى له ووضع (منى) أيضًا، أما (جميلة) فكان وضعها أسوأ من الكل.

لم يحتمل (حسين) حال أمه، ولا زوجته وكلمات أخيه (عبد الله) ترن في أذنيه؟ زوجته مصابة بمرض روحي، لم يحتمل هذه الحقيقة وهو يراها تذبل أمام عينيه كالزهرة التي جفّت من المياه وحرقتها أشعة الشمس، مما جعله يُكَلِّم والده راجيًا قائلاً:

- «أرجوك والدي أُمي مريضة جدًّا لا يصح أن نتركها هكذا».

تنهَّد والده بحرقة وقال بِعَمٍّ:

- «أنا أقرأ عليها فتزداد تعبًا».

قال (حسين) برجاء:

- «يا والدي أنت رجل صالح ولكن وضع أُمي عويص، تحتاج إلى شيخ قارئ معتاد على التعامل مع هذه الحالات، فأنت تقرأ عليها وترحل ولكن الشيخ سيعطيها ما تشربه وما تدهن به نفسها ونصائح تساعدنا، أيضًا زوجتي تحتاجه وأنت رجل دين تستطيع أن تحضر لنا من نثق فيه وفي مصداقيته في أن يكون شيخًا قويًا وتقياً، لا مشعوذًا أو دَجَّالًا».



أطرق (أحمد) برأسه مُفَكِّراً وقلب الموضوع في رأسه ثم قال:

- «ولمَ لا؟ إن كان سيتلو آيات من الذكر الحكيم».

بعد ثلاثة أيام حضر مع والدهم شيخ قارئ، حضر فجأةً بدون سابق إنذار، فأصاب جميع من في البيت الدهشة والارتباك.

دخل الشيخ مجلس الرجال، و دعا (أحمد) زوجة ابنه وزوجته التي قامت بدعوة ابنتيها مما فاجأ والدهما، ولكنه كظم حزنه وقادهن ليحضرن عند الشيخ، بعد أن ارتدين عباءاتهن.

(جميلة) و(مها) و(منى) و(عبير).

عندما جلسن أمام الشيخ، جثم الضيق على صدورهن، وعندما بدأ يتلو آيات القرآن الكريم، لم يتصرعن ويتكلم عليهن الجان كما كن يسمعن في القصص وذلك لأن العفاريت والمردة لا يفعلون كباقي الجن، أنهى الشيخ قراءته ثم سألهن بماذا يشعرن؟ فأجابوه ببعض التأميل الخفيف، هزَّ رأسه وقال برصانة:

- «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، البيت مسكون وسكانه أقوياء يا شيخ (أحمد)، عندما دخلت منزلك شعرت بذلك، وزوجتك وبناتك متعبات، سأقرأ على بيتك واعطيهن ماء وزيت زيتون مقروءاً عليه آيات من القرآن الكريم والله هو الشافي، ولكن دعني أذكرك، لقد دخلت بُيُوتاً مثل بيتك وشعرت بما شعرت به، وأصحابها أصابهم من الأذى الكثير خاصة بعد قراءتي على منازلهم، كاشتعال الحرائق فجأةً وغيرها من أساليب أذى الجن، ولم يطق البشر صبراً فخرجوا من منازلهم، وبعدها ارتاحوا من كل مشاكلهم وانتهت قضيتهم، ومن واقع خبرتي أرى أن تخرج من هذا البيت وترتاح من شره فمن فيه ليسوا من الجن العاديين.. إنهم أقوياء، أدرك هذا الشعور وأفرق بينه وبين المكان المسكون من جن العمار».

امتعض (أحمد) من كلام الشيخ فهذا بيته الحبيب أيعقل أن يكون مسكوناً
بجن أقوياء؟! وأن يتركه للجن ويرحل؟

قطع الشيخ حبل أفكاره عندما قال:

- المنزل الشعبي في الحي المجاور لبيتك هو مهجور منذ أن أتيت لهذا وبنيت
منزلك وسكنت فيه، أليس كذلك؟».

حاول (أحمد) أن يتذكره حتى رآه في مخيلته فقال مُتذكراً:

- «نعم صحيح».

تنهَّد الشيخ وقال بروية:

- «ذلك البيت الشعبي له حكاية وأي حكاية! ألم تسمع بها؟».

أجاب (أحمد) بحذر:

- «لا».

مطَّ الشيخ شفّتيه وقال:

- «قد كان بيتاً يسكنه أناس طيبون استنجدوا بي أكثر من مرة، ولكن الجن
الساكنين فيه من النوع الشقي المالك للأرض، هم نوع لا يسلم أحد من أذاهم
وعنادهم، واستحالة أن يخرجوا حتى لو حرقتهم آيات القرآن فدونهم الموت ولا
شيء سوى الموت يوقف أذاهم، ولذا خرج صاحب البيت ولم يبع بيته لأحد
خشية أن يحدث للسكان الجدد ما حدث مع ابنه الصغير».

ابتلع (أحمد) ريقه وقال مُتوجِّساً خيفة:

- «وماذا حدث لابنه الصغير؟».



قال الشيخ بحزن:

- «ابنه كان له من العمر ثلاث سنوات فقط، وعند وقت المغربية تشاجر مع أخيه الأكبر منه سنًا مما أدى إلى بكائه بكاءً شديدًا، حاولت الأم أن تسترضيه ولكنه من شدة حنقه اندفع إلى الحمام وأغلق على نفسه الباب واستمرَّ في البكاء أضعافًا مضاعفة لأنه لم يعرف كيف يفتح قفل الباب بعد أن ترجمته أمه ليفعل واستعطيه ما يريد، اجتمعت الأسرة خلف الباب مُحاولَةً فتحه والولد يبكي بشدة حتى صمت فجأةً».

سأل (أحمد) بترقُّب:

- «سكت لأنهم فتحوا الباب؟».

نظر نحوه الشيخ بعينين ثاقبتين وقال بصوتٍ جمَدَ الدماء في عروق الجميع:

- «بل لأنه اختفى. عندما كسر الأب الباب وجد ابنه اختفى وكأنه لم يكن في الحمام أبدًا، لولا فردة حذائه وصدى بكائه اللذان يؤكدان بأن ابنه كان بالفعل في الحمام في وقت الغروب يبكي بشدة قبل أن يختفي».

ارتجف الجميع ومن بينهم (أحمد) الذي قال بحيرة وتوتر:

- «اختفى! وأين ذهب؟».

قال الشيخ برصانة:

- «لم يعرف أحدٌ جواب هذا السؤال، سوى الظن بأن الجن اختطفوه إلى عالمهم، فتحت قضية الطفل عند الشرطة وشكوا بأنه قُتل، وعاشت الأسرة أحلك أيام حياتهم حتى انتهت القضية بضيايع الطفل بدون فعل فاعل، ومن بعد هذه القصة الكثيبة شدَّت الأسرة الرجال حاملَةً أحزانها، وبقي المنزل الشعبي مهجورًا على حاله».

سحب الشيخ نفسًا عميقًا وقال بحكمة:

- «يا شيخ (أحمد) أنت صديقي ومن واجبي تحذيرك، بيتك مسكون، ولذا نصيحتي لك ارحل ولتنعم أنت وأسرتك بالسلام».

لم يعقّب أحدٌ على كلامه، نهض الشيخ وقرأ في غرف المنزل وفي أرجائه كافةً ثم رحل.

ثلاثة أيام شعرن بها بتحسُّن طفيف بعد الماء والزيت ولكن أذى العفاريت الجن ازداد، فأصبحوا يطفؤون الضوء فجأةً، والكوابيس غزت أحلام النسوة لأنهن استعن بالله، فكان هذا رد فعل الجن لمنعهم من الاستمرار في العلاج الشرعي.

وضع مُزِرُّ شعر به (أحمد) ولكن من الصعب عليه أن يترك هذا البيت الذي بناه بجوارحه وكان حلمه يسكب مع كل طوبة ولبنة فيه، أتركه بهذه السهولة؟ كيف؟!

وهنا تذكّر أمرًا حدث معه في الماضي البعيد.

عندما كان يشرف على بناء هذا المنزل لأول مرة، جاءه عجوز وحذره من هذا المكان!

أكانت نبوءة وتحققت؟ أم كان مشعوذًا وعرف بأن الأرض مسكونة بالجن؟ لا لم يكن عرّافًا ليتنبأ، ولم يكن مشعوذًا كذلك.

لم يكن (أحمد) يعرف بأن ذلك العجوز ما كان سوى العفريت (شياط) رئيس الجن، والذي أراد منع (أحمد) من أن يبني منزلًا على أرضهم.

زفر (أحمد) بهمٍّ وفكّر لبرهة طويلة ولم يعرف كيف يتّخذ قرارًا صعبًا بالنسبة إليه؟ فما بين زوجته الحبيبة وبناته وبين بيته الغالي والأثير، كان كمن بين المطرقة



والسندان.

زفر بحرارة وارثاى أن يؤجل قراره لحين أن يصفى ذهنه فيتخذه بحكمة دون تهوّر، وقال وقت وجبة الغداء لزوجته و (منى) بصوتٍ حاول أن يضفي عليه لمسةٍ مرح:

- «فلنذهب في رحلة نهاية الأسبوع لزيارة أمي، فنحن نحتاج لتغيير جو وأنا اشتقت لأمي، ولنأخذ (عبير) معنا، كما أن (فيصل) قادم لزيارتنا بعد غد، فلنذهب جميعًا هاه ما رأيكما؟».

استحسنّت الأسرة الصغيرة هذه الفكرة وكأنه الخلاص من هذا المكان الموبوء بمرض طاعون لا علاج منه، وقَرَّرت أن تخرج من بيت الجن مُتَّجِهَةً إلى مدينة (النماص) الخضراء والتي تبعد عن (أبها) مسافة ساعتين.

وهكذا رحلت الأسرة إلى مدينة (النماص) الجميلة لزيارة منزل جدتهم الواسع الموجود على تلٍّ أخضر يشرف على القرية.



11

أساطير الأولين

أساطير الأولين يتداولونها بعضها أسطورة

وبعضها واقع ضاعت حروفه

بين الخرافات.

اجتماع آخر الليل

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عندما اجتمعت (جميلة) مع ابنتيها وابنها (فيصل) حول نار (الجزء) في حديقة منزل الجدة في مدينة (النماص) وبالتحديد في قرية أم زوجها، بعد حفلة شواء لذيد ذهب على إثرها زوجها وأمه الطَّيِّبَة ليناما، إلا أن البقية فضَّلوا البقاء ساهرين في هذه الحديقة الكبيرة الغناء، وهم يشعرون بالراحة بعيداً عن العفاريث، وسماء الليل السوداء تنتشر على صفحتها قطع ألماسية لامعة، والهواء العليل في فصل الصيف جعل (منى) تتنهد في استلذاذ وتقول:

- لا تزال القرية تحتفظ ببريقها في كل مرة نأتي فيها إلى هنا، فالجو هنا رائع وكأنني في أوروبا».

طأطأَتْ والدتها رأسها وقالت:

- «هذا صحيح، لا تنسي لقبها المعروف (النماص) مدينة الضباب و (لندن) السعودية و(بيروت) السعودية، إنها تستحق هذه الألقاب لجمالها والجو الآن بديع، فنحن لا نأتي في الشتاء بسبب برودتها القارصة، أما في الصيف فهي رائعة، وإن كان هذا لا يمنع كون النار مشتعلة فالجو بدأ يبرد قليلاً».

ضحكت (عبير) وقالت:

- «هذا أفضل، فأنا أعشق الهواء البارد».

ردَّت (منى) مُتهكِّمةً:

- «ذلك لأنك من ذوات الدم البارد فلا تشعرين بالبرد».

ضحك الجميع على تعليقها الذي أعجبهم، ثم تدرت (منى) بوشاحها وقالت

وهي ترتجف من البرد:

- «كوب من الشاي سينعش الروح الآن في هذا الليل الساحر».

سكبت (جميلة) الشاي في الأكواب ووزعته على الحضور، ثم قالت:

- «في الماضي كان البقاء حتى الساعة التاسعة يعتبر مُتَأَخَّرًا، أما الآن فالزمن قد تَغَيَّرَ».

قال ابنها (فيصل) في استمتاع:

- «أتوق للعيش أحيانًا في الزمن الماضي... كانت الحياة أكثر صدقًا وبساطة».

أيدته والدته وقالت:

- «وخالية من التعقيدات».

فقالت (منى) بلؤم:

- «ومليئة بالحكايات...».

التفت أخوها نحوها وبرقت عيناه، ثم التفتوا جميعهم نحو والدتهم المسكينة والتي فهمت ما قصدوه، فقالت مُتملّصةً:

- «لا.. لا.. سأذهب لأنام».

قالت (عبير) في لزوجة ورجاء:

- «هيا يا أمي تبدو صحتك جيّدة والحمد لله.. ولا أظن بأنك تشعرين بالنعاس أليس كذلك؟».

نظرت (جميلة) نحو (عبير) بضعف وهي تشعر بأنها حقًا قد تحسّنت في هذا المكان، فلم تقوَ سوى أن تُطأطِئ برأسها وتقول:



- «حسناً غلبتني، فأنا حقاً لا أشعر بالنعاس كثيراً لذا لا بأس».

هتفت (عبير) بمرح، فابتسمت (منى) بمكر فقد ابتلعت والدتها الطعم والآن ستحكي كل الحكايات التي أمطرت بها مسامعها وهي طفلة صغيرة، ولن تصمت حتى يغلبها النعاس حقاً.

نظرت نحو أمها بمحبة وقالت:

- «نريد القصص الشعبية التي كنت تحكيها لنا ونحن صغار، والتي تزعمون أنها حدثت هنا في مدن وقرى المنطقة الجنوبية».

قَطَبَت والدتها جبينها وقالت باحتجاج:

- «هذا ليس زعمًا بل إنها حدثت فعلاً، هذا ما أخبرنا به اجدادنا نقلًا عن الأولين، بالإضافة إلى أن هناك من شاهدها بأَم عينيه فعلاً وحصلت في عهدي».

قال (فيصل) بهدوء:

- «أعلم يا أمي، وأنا لا أستبعد ذلك، فالحياة المُتَمَدِّنة أخفت الكثير من الخبايا التي لا تظهر إلا في الطبيعة البكر».

أَيَّدَت والدته بسعادة وهي تجد من يناصرها وقالت:

- «هذا عين العقل. والآن أصغوا السمع جيِّدًا فما سأحكيه لكم ليس خزعبلات، بل هي قصص حقيقية، وربما تكون أساطير حكاها لنا الأولون وقد حدثت في بلادنا بالفعل وكل القرى تعرفها، وذلك كان في سالف الزمان عندما كانت البيوت من الطين، والنساء والرجال يدا بيد في زراعة الحقول والحياة بسيطة، والشرف والاحترام والصدق شعار الجميع، والآن يا أبنائي تدثروا بأوشحتكم حتى لا تصابوا بقشعريرة مخيفة..

والتمسوا الدفء من كوب الشاي الساخن، ومن النار المشتعلة..

وأصغوا السمع..

فأنتم على موعدٍ مع قصصٍ حكاه لنا أجدادنا ويقولون إنها حقيقية..

وربما تكون أساطير الأولين.

فهل هي كذلك؟

استمعوا جيّدًا فهناك في سالف الزمان حدثت أغرب الحكايات..



أسطورة السعلية (السعلاة)

كان في قرية صغيرة فتاة تدعى (مهدية) اتفقت مع رفيقائها الفتيات أن يذهبن في رحلة إلى جبل معروف بكثرة أخشابه التي تصلح كحطب للنار ليستدفن به الناس، فقد كان الزمن قديمًا جدًّا، والحياة لا تزال بدائية تعتمد على الزراعة والرعي.

وفي منزل (مهديّة) المبني من الطين اتفقت كل الفتيات على الذهاب غدًا صباحًا إلى ذلك المكان للتنزه وجمع الحطب، ولكنهن لم يعلمن أن خلف السور الطيني كانت هناك امرأة واقفة تسترق السمع، كانت طويلة القامة عريضة المنكبين ترتدي عباءة طويلة سوداء تُغطّي جسدها العاري من تحته، وتُغطّي رأسها بخمار قصير أسود، وبعد سماعها لحديثهن افترثرها عن ابتسامة صفراء شريفة والأفكار السوداء قد ملأت رأسها.

وفي الصباح الباكر وقبل أن تشرق الشمس، سمعت (مهديّة) صوتًا ينادي
فنهضت من على فراشها وأرهفت السمع.

وإذ بها تسمع صوتًا بعيدًا لا تعرف من أي جهة يأتي، كان وكأنه قادم من أعماق
بئر سحيق.

ابتلعت ريقها وأرهفت السمع أكثر، فإذ بصوت هامسٍ كفحيح أفعى ينادي قائلاً:

- (مهدية) مهديييااااااة».

سقط قلبها بين قدميها... أهذا حقيقي؟ أم أنها تحلم؟!



فجأة سمعت طرقات على الباب، وبرغم خفوت الصوت إلا أنها قفزت بذعر من مكانها، ونهضت على عجل خشية أن يوقظ الصوت والديها وإخوتها.

اتجهت وهي ترتعش من البرد والخوف، فتحت الباب وأخذت تسترق النظر لترى من خلفه، فرأت امرأة ترتدي السواد وملامحها غير واضحة في ظلمة الليل الذي أوشك فجره على الحضور ليتنفس الصبح بحلوله.

سألها (مهدية) في حيرة وتوجُّس:

- «مَنْ أَنْتِ؟ ومنزل من تريدين؟».

قالت المرأة بصوتٍ عميقٍ:

- «(مهدية) أسرعي رفيقاتك قد سبقنك إلى الجبل، هيا اسرعي».

دُهِشَتْ (مهدية) فالوقت كان مُبَكَّرًا جدًا والشمس لم تشرق بعد.

فقالت في حيرة:

- «ولكن الوقت مُبَكَّر! ثم أنا لا أعرفك».

نظرت نحوها المرأة وقالت بصوتٍ هادئ:

- «ولكنني أعرفك يا (مهدية)، لذا تعالي معي يا (مهدية)، هيا يا (مهدياااااا)».

أسبلت الفتاة عينيها وهي تشعر بالخدر كلما نطقت المرأة اسمها.

فطأطأَتْ برأسها وقالت بخُفوت:

- «انتظري ريثما أجهز الإفطار لآخذه معنا».

قالت المرأة بصوتها العميق المبحوح:



- « كل شيء جاهز معي لا عليك... فقط تعالي معي يا (مهديّة) ».

كمسلوبة الإرادة ربطت الخمار الأصفر جيّداً على رأسها وخرجت لتمشي مع تلك المرأة والتي أشارت للفتاة بأن تسير أمامها فأطاعتها صاغرةً وأخذت تسير وتسير والجبل يقترب ويقترب.

فجأةً بدأت الفتاة تعود لوعيتها وأخذت تفكّر؛ هل رفيقاتها من اللاتي أرسلن لها هذه المرأة؟

ولكن لماذا لم يأتين بأنفسهن ليصحبنها؟!

أيعقل أنها لم تسمع طرقاتهن على الباب؟ مستحيل فهي ذات نوم أخف من نوم القطط!

ثم من تكون هذه المرأة؟! فهي تعرف جميع نساء القرية ولم ترّ هذه المرأة من قبل.

عند هذا الحد من أفكارها التفتت للوراء لعلها إذا تمعّنت في وجه المرأة تتذكرها وتعرفها.

وفي هذه اللحظة بالذات كانت الشمس تشرق لتنشر أشعتها ونورها على الأرض رويدًا رويدًا.

وهنا فتحت (مهديّة) عينيها بذعر وهي ترى من خلال العبادة المفتوحة والتي كشفت عن جسد المرأة العاري، ثديي المرأة الطويلين اللذين يصلان إلى ركبتيها بشكل عجيب، والأعجب من ذلك هو أن تلك المرأة تحمل كل ثدي بيدها لتلقيه على كتفها حتى تستطيع السير بشكل أفضل.

أعادت (مهديّة) رأسها للأمام بصدمة، وأخذت تنظر أمامها في رعب وهي لا تريد أن تُشعر المرأة بأنها تشك في أمرها.

أخذ قلبها يخفق بقوة وعنف في صدرها حتى شعرت بأن قفصها الصدري سينفجر.

وهنا أخذت تتذكّر قصص جدتها ووالدتها لها قبل النوم وهي طفلة صغيرة، كان هذا الوصف ينطبق على امرأة يقال إنها من الجن أو أنثى غيلان الجن أي (الغولة) واسمها (السعلية) أو (السعلوة - السعللة) صوتها يفقد المرء صوابه عندما تنادي عليه حتى يتبعها، وإذا اختلت به في مكان مقفر تأكله بشهية ووحشية.

كانت تلك المرأة المخيفة والتي ظننتها أسطورة هي (السعلية) بذاتها، والتي تسير وراءها الآن.

ولكي تتأكّد أكثر، نظرت خلفها بخيفة لتلقي نظرة على وجهها بعد أن غمر نور الشمس المكان وأصبحت الرؤية واضحة.

وعندما فعلت، شاهدت وجهها العادي القسّمات لولا عيناها الصغيرتان المسحوبتان كشعب شرق آسيا وحمراوان، وعندما نظرت لكفيها هالها منظرهما المشعر ومخالبها الطويلة السوداء، شهقت بذعر ولم تعد تتمالك نفسها، فأطلقت لساقها العنان وأخذت تركض مذعورة و(السعلية) تركض وراءها وصوتها يلهث قائلةً:

- «مهدياااااااااااا»-

وضعت (مهديّة) كفيها على أذنيها حتى لا تسمع صوت (السعلية) الساحر الذي يفقد المرء صوابه وأخذت تصرخ وهي تركض من خلف الأشجار لتقصد بيت أختها الكبيرة المتزوجة القريب من المكان.

وعندما صارت على مشارفه أخذت تنادي على أختها بأعلى صوتها، فتحت أختها الباب بدهشة مذعورةً لترى (مهديّة) الممتلئة الجسم تقفز وتجري برشاقة كالغزال.



ومن خلفها امرأة طويلة سوداء ترمي ثدييها على كتفيها وهي تركض بسرعة مخيفة، فصرخت أخت (مهديّة) لهذا المنظر المخيف وقد أيقنت من أن اختها هالكة لا محالة.

إلا أن رحمة الله جعلتها تصل بسرعة ولكن المسافة الفاصلة بين (مهديّة) ومخالب (السعلية) كانت بضع سنتيمترات مما جعل أخت (مهديّة) تمسك بيد أختها تسحبها نحوها بسرعة لتغلق الباب فتصطدم مخالب (السعلية) بالباب فتغرس في خشبه وأخذت تصرخ بغیظ قائلة:

- «آآآآآ آه يا (مهديّة)، حسرة قلبي على شحمك ولحمك، يا ممثلة الجسم يا مشبعة».

ارتجفت (مهديّة) واختها الكبرى وراء الباب وهما بقدر ذعرهما بقدر عدم تصديقهما لما يحصل، أخذتا تصدان الباب بكل ما أوتيتا من قوة، خشيةً عليه من أن يكسروا ويدخل عليهما (السعلية) التي كانت تدفع الباب وتخدشه بمخالبها وهي تخور بصوت كالحيوان في غیظ وقهر، حتى هدأت أخيراً وعادت أدراجها كاسفة خاسرة...

وجائعة..

تنفّست (مهديّة) واختها الصعداء، فلم يكن زوج أختها بالمنزل لمساعدتهما ولو كانت (السعلية) القوية قد دخلت عليهما لكانتا قد أصبحتا في خبر كان.

لم يصدق أحد قصتهما لولا تلك العلامات التي تركتها مخالب (السعلية) على الباب الخشبي والتي كانت أشبه بمخالب ذئب.

بعضهم صدّق (مهديّة) أما البعض الآخر قال:

«إنها مجرد أسطورة من أساطير الأولين».

قالت (منى) بخُفوت:

- «قصة مخيفة، تذكرني بقصة النداهة عندما كانت تختفي وسط الحقول في الصعيد المصري ثم تنادي على اسم الطفل ليلاً فيأتيها كالمسحور، وعندما يصل إليها تلتهمه.. إنه حقاً لأمر مخيف».

علَّقت (عبير) بتهكُّم:

- «إنها مجرد أسطورة بعيدة عن التصديق».

ردَّت عليها والدتها بعتاب:

- «ولمَ لا؟! إنها جنية زوجة الغول، والجن يفعلون الأعاجيب، ونحن مهما بلغ علمنا، فعالم الجن خفي لا ندري كل خفاياه».

فكَّرت (منى) هل حقاً لا تعرف خفاياه؟! لقد رأت العجب بل وتحدَّثت معهم. غاص قلبها فهذا الموضوع أصبح يطبق على أنفاسها ولا تحب مجرَّد ذكره.

مطَّت (عبير) شفتيها وعقبت ساخرة:

- «هاه حتى ونحن بعيدون عن بيتنا نجد أن حكايات الجن تلحق بنا، أعتقد بأنهم الآن يستمعون إلى هذه القصة بدهشة ويستغربون بأن نجعل من (السعلية) جنية».

شهى الجميع بذعر وأخذوا يذكرون اسم الله، وهم يتخيّلون الجن يجلسون معهم ويستمعون إلى قصص الأساطير.

أمّا (فيصل) فأخذ يضحك ثم قال:

- «هاه يا والدتي هل لديك المزيد من هذه القصص الممتعة؟».

ابتسمت والدته في وقار وقالت بثقة:



- «طبعًا لديّ الكثير، وبما أنكم أتيتم على ذكر الجن فسأروي لكم حكاية حقيقية وأتحدى أن تظنوا أنها مجرد أسطورة».

فكّروا لوهلة في أعماقهم بأنّ بعد الذي عاشوه مع الجن لن يظنوها أسطورة على الإطلاق.

همست والدتهم قائلةً:

- «والآن استمعوا إليّ جيّدًا».



أسطورة جنية عاشقة

كان هناك شاب وسيم يدعى (فايز) جاء ضيفاً من مدينة (بيشة) إلى قرية (آل فويس) الموجودة في مدينة (النماص) وعندما وصل قرَّرَ كبير القرية أن يصنع له وليمة عشاء فاخرة.

كان الوقت حينها عصرًا، وبعد أن شرب الشاي والقهوة وألقى نظرةً على القرية وحقولها الخضراء، أتَّجه مع أهالي القرية إلى المسجد الملاصق لمنزل كبير القرية لأداء صلاة المغرب، وعندما شمر عن ساعديه ليتوضأ وضوء الصلاة، ضحك فجأةً بشكل هستيري ثم ركض وخرج إلى الخارج وأخذ يرقص ويغني تحت السماء الآيلة شمسها للغروب، وبصوت ناعم أنثوي شدا قائلاً:

أنا ما جيت من جوعي

ولا بلادي سنيه⁽¹⁾

غير الهوى سالب الروح

يا كل عذراء صبية

فهم الجميع ما أصاب الشاب (فايز) إذ أدركوا أن الغناء الخارج من حنجرتِه لا يخُصُّه بل يخصُّ جنيةً تلبست جسده بسبب العشق كما أوضحت في كلمات أغنيتها، التف الصغار حوله يضحكون ويطلبون على القدور وهو يرقص أمامهم مستعرضاً.

(1) سنيه: بمعنى فقيرة قاحلة.



فزعوا لما أصاب الضيف، فقال إمام المسجد لها :
- «تركه وشأنه فهو لم يؤذِك، ألا تتقين الله؟!».

ضحكت الجنية على لسان (فايز) الذي أخذ يقفز كالقروذ ويضحك ويقول
بلسان الجنية:

لو أعطوني ملك جده

و الذلايل ما تشده

ما خذيته في عباتي

يا عباتي يا شميلة⁽¹⁾

يا دفاتي كل ليله

تركوه يرقص ويغني ليصلوا صلاة المغرب، ثم اتَّجهوا إلى منزل كبير القرية
واخذوا يتشاورون في أمره.

فاقترح شيخ القرية القارئ الذي هو أيضًا إمام المسجد بأن يخدموا (فايز)
فيدخلوه البيت بوجوده دون علم (فايز).

خرج بعد ذلك بعض فتیان القرية ونادوا على (فايز) قائلين له:

- «العشاء جاهز يا (فايز) ألا ترغب بالطعام؟ إنها وليمة فاخرة احتفاءً بقدمك
إلينا، هيا تفضّل، كبير القرية ينتظرك».

نظر نحوهم (فايز) وأخذ يُفكر في عرضهم فسمع صوت معدته الجائع يعلن

(1) شميلة: الواسعة الثقيلة التي تشمل لابستها بالدفء.

رغبته بتناول الطعام، فانساق لرغبة الجميع واتَّجه معهم لمنزل كبير القرية لتناول طعام العشاء.

وعندما دخل المنزل وجد كبار القرية كلهم في انتظاره وعلى رأسهم رجل شيخ تبدو أمارات التقوى واضحةً على وجهه المشع بنور الإيمان.

وقبل أن يستوعب (فايز) وجد الباب يغلق خلفه، فأدركت الجنية العاشقة الكمين الذي وقعت فيه، فصرخت على لسان (فايز) وأخذت تنظر للشيخ برعب، والتفت حوله الرجال وأمسكوا به فأخذت تقاوم وتتخبط ليظهر (فايز) قوياً بشكل عجز معه الرجال في تكتيفه، ولكن قراءة الشيخ القوية جمّدت أطرافه فأقعده الرجال أمام الإمام الشيخ الذي أخذ يتلو آيات من الكتاب المحفوظ، القرآن الكريم.

فأخذت الجنية تصرخ بصوتٍ حادٍّ يختلف عن صوت (فايز) ولكنه يخرج من حنجرتة وعلى لسانه، وراحت تتوسَّل للشيخ بأن يتوقَّف ولكنه ردَّ عليها زاجراً:

- «اخرجي منه أوَّلاً وإلَّا أحرقتك بالقرآن».

قالها ثم ربط أصابع (فايز) وقال لها الشيخ:

- «ستخرجين من إصبعه الذي أقوم بفكه، وعديني بأنك لن تعودى إليه وإلا فالويل لك».

أخذت تصرخ وتقسم بالأيمان المغلظة بأنها لن تعود إلى هذا الجسد رغم حبها القوي له.

وهكذا فك الشيخ أحد أصابع (فايز) ووجَّه يده لرماد النار التي أُطِفِئت منذ لحظات.

وأمام أعين الجميع رأوا الرماد يتناثر وكأنَّ هواءً نُفِخَ فيه وهذا دليل على خروج



الجنية من إصبعه.

وعندما أدرك الجميع بأن الجنية خرجت من جسد (فايز) الذي بدا عليه الإنهاك وأخذ يتساءل عما حصل له، حمدوا الله وحكوا له قصته، فقال بأنه يتذكر بعض اللحظات ولحظات أخرى لا يتذكرها، ولكنه يتذكر شعوره بوجودها في جسده، فقد كانت تسري في جسده كالنار.

تعشوا جميعهم وأخذوا يشكرون الله على أن سلم لهم (فايز) ثم شكر بنفسه الشيخ التقي الذي ودعهم واتجه إلى بيته.

أخذوا يتسامرون بعد رحيل الإمام الشيخ مدة ساعة، وفجأة أخذ (فايز) يرتجف ثم ضحك ضحكة ماجنة وقام يرقص.

فزع الجميع وعرفوا بأن الجنية العاشقة الغادرة قد أخلت بوعدها وقسمها وعادت لتسكن جسد (فايز) المسكين.

ركض أحد الشباب نحو الخارج قائلاً:

- «سأنادي الشيخ.. اغلقوا عليه الأبواب واحبسوه ريثما أعود».

وعلى إثر هتافه قام بعضهم بإغلاق الأبواب بسرعة، أما البعض الآخر فأمسكوا بـ(فايز) ولكن قوته غير الإنسانية جعلتهم يعجزون عن تكتيفه.

فأخذت الجنية تزمجر وتقاومهم رغبةً في الهروب بحبيبها (فايز) قبل أن يأتي الشيخ.

وهنا لمحت عيناها نافذةً مفتوحة تطلُّ على سطح المنزل الطيني، وكانوا قد نسوا أن يقفلوها.

وهكذا وبقوة تفوق قوة بني البشر استطاع (فايز) أن يتحرّر من قبضاتهم وانطلق بسرعة البرق نحو النافذة المفتوحة وقفز منها، فركض الجميع وراءه وبأعينهم شاهدوه من النافذة يقفز كالقرد من فوق السطح العالي ليهبط على قدميه فوق الأرض ثم يركض بسرعة الريح حتى اختفى عن أنظار الجميع المصدومة..

أخذت تجري به حتى خرجت من تلك المنطقة كلها وسارت بـ(فايز) وسط الجبال والحقول والبراري المقفرة حتى وصلت إلى مشارف مدينة (بيشة) حيث منزله وأهله، وكان ذلك بعد عدّة أيام قضّاها المسكين وهو مسلوب الإرادة تتحكّم به تلك الجنية والتي كانت تخرج منه فقط عند قضاء الحاجة ومهما حاول أن يستغل الفرصة ليهرب منها تنقضّ عليه وتعود لتستوطن جسده.

وفي ذلك اليوم الذي اقتربا فيه من (بيشة) أرادت أن تقضي حاجتها فخرجت منه ولم يكن بالطبع يراها.

فجأة لمح ذئبًا قادمًا، وقد عُرف عن الذئاب قدرتها على رؤية الجن وأكلها لهم خاصّة النوع الأرضي الذي لا يطير.

فاختبا (فايز) بخوفٍ خلف صخرة حتى لا يراه الذئب، وهنا شاهده ينظر إلى جهةٍ ما وقد بدأ يتحفز وفجأةً انقضّ على شيء لا يراه (فايز) إلا انه سمع صوت امرأة تصرخ قائلةً:

- «آآآه.. رفيقتك يا (فايز).. حبيبتك انجدي.. انجدي من الذئب يا (فايز)».

قفز (فايز) من مكانه وهتف بسعادة وشماتة قائلاً:

- «بل تلقي الشر كله، سحّاقاً لك فلتذهبي إلى الجحيم».



قالها ثم أخذ يجري ويجري، وصوت صرخاتها المُتألِّمة المتحشجة يخفت ويخفت، حتى عم الصمت المكان فعلم أنَّها أصبحت أخيرًا وجبة للذئب الذي بهروب (فايز) لم يره ويضمه لقائمة طعامه.

وهناك وبالقرب من مدينة (بيشة) سقط مغشيًا عليه لشدة التعب.

وعندما أفاق وجد راعي غنم ينظر نحوه بدهشة فسأله (فايز) وهو يلهث تعبًا:

- «أين أنا؟».

ابتسم له الراعي بحنو وقرب من فمه قرية ماء مصنوعة من الجلد حتى يشرب منها، بعد ذلك أجابه الراعي:

- «أنت في (بيشة)».

ابتهج (فايز) فهو أصبح في مدينته أخيرًا، شكر الراعي الذي ساعده حتى وصل إلى قريته وبيته وهناك روى لأهله كل شيء حدث معه، ثم اغتسل وأقام وليمة فخمة احتفالًا بسلامته وبموت الجنية العاشقة وخلصه منها.

وبعد ذلك بعدة أسابيع جاء (فايز) إلى قرية (آل فويس) ليعتذر عن الخوف الذي سببه للجميع ويبشرهم بخلصه من تلك الجنية، فأقام كبير القرية وليمة أخرى واحتفل الجميع بسلامته.

وهكذا عاش (فايز) بسعادة وتزوج وأنجب الأولاد بعد أن تخلص من جنية كانت قد استوطنت جسده.

ليس لأنه آذاها بل لأنها أحبته وعشقتة بجنون حتى لقيت حتفها بأنياب ذئب مر بهما صدفة.



- «يا الله مسكين...».

قال ذلك (فيصل) بدهشة ثم استطرد قائلاً:

- «لقد سمعت كثيرًا عن عشق الجن لبني البشر...».

قالت (عبير) ساخرةً وهي تشير خلفه:

- «مثل هذه الجنية التي خلفك...».

نظر خلفه بسرعة فوجد المكان خاليًا وهنا ضحك الجميع وأولهم (فيصل) وقال بتهكم:

- «لم أذعر ولكن خشيت على قلب الجنية المسكينة التي لن تقاوم وسامتي».

أخذوا يذكرون اسم الله، بينما انكمشت (منى) على نفسها وهي تفكر بأن عائلتها يتحدثون عن نوع من المس قد أصاب ابنتهم، سرت النار في جسدها فعلمت بأن (جَمُنُون) يسري في جسدها كمجرى الدم والقصة قد هيجت مشاعره، قطع عليها حبل أفكارها صوت والدتها وهي تقول:

- «إن عشق الجن لبني البشر أمرٌ حقيقي سواء كان العاشق جنياً ذكراً أو جنية، وهنا أريد أن أحكي لكم قصة حكاها لنا الأولون وبرأيي أنها حقيقية قد وقعت».

ابتسموا وهم على يقين بأن والدتهم مُتأثرةٌ جداً بهذه الأساطير وتصدقها. لذا أرهفوا السمع للقصة التالية.



أسطورة

لو كان.. لو كان.. لو كان

كان هناك جبل مرتفع أملس لا اشجار عليه، ومنحدر جدًا بحيث يصعب على المرء تسلُّقه.

ويُدعى ذلك الجبل باسم (حرفه) في منطقة بني عمر وهي قرية مجاورة لمدينة (النماص).

العجيب أن في ذلك الجبل المهيب يوجد باب من صخرة عملاقة كأنها قطعت من نفس الجبل بشكل مربع عملاق ليكون ما يبدو واضحًا للعيان باب عملاق من كيان ذلك الجبل، وبالطبع بدون مقبض أو قفل فهو بذلك اشبه بحكاية علي بابا والأربعين حرامي الذي وجد بابا لا مقبض له ولا يفتح إلا بجملعة خاصة وهي "افتح يا سمسم" -ولو زرتم الإنترنت وكتبتم في مربع البحث جبل (حرفة) سترون صورة الجبل ببابه المخيف المنحوت من الصخر- وحول ذلك الجبل انتشرت المنازل التابعة لتلك القرية، وهناك عند أصحاب تلك المنازل حصلت قصة غريبة، كان الناس يأوون للنوم باكراً بعد يوم حافل من الزراعة والعمل، ولكنهم وهم نيام بعد منتصف الليل، يسمعون صوت الطبول والغناء، وفي اليوم التالي عندما يتساءلون فيما بينهم عن الذي فعل ذلك، ينفون جميعهم كونهم مصدر هذا الضجيج.

ولكن هذا الحدث الغريب أخذ يتكرّر كل ليلة وهنا انتشرت إشاعة فحواها أن الباب الصخري في جبل (حرفة) يفتح وحده كل ليلة، ليخرج منه قوم يشبهون البشر ولكن قصار القامة، فيرقصون ويغنون ويطلبون ويتقافزون كالقردة بعد منتصف الليل، وعند سويغات الفجر يعودون من حيث جاؤوا أي داخل ذلك الجبل ليغلق عليهم الباب، ويختفي ذكرهم تمامًا وكأن شيئاً لم يكن.

صَدَّقَ القرويون هذه الحكاية وقالوا بأن هؤلاء القوم ما هم إلا جن، وهذا سبب منطقي من وجهة نظرهم، حتى أن بعضهم أقسم بأنه شاهد ذلك بأَم عينيه عندما استرقَ النظر صُوبَ ذلك الجبل الصادر منه أصوات الغناء والطبل.

ولكن بعضهم لم يُصَدِّق، ومنهم الشاب الوسيم (علي) الذي حارب هذه الإشاعة لدرجة أنه تحدى أقرانه أن يثبت لهم العكس.

إذ نهض (علي) من مقعده وقال بحزم والتصميم والشجاعة تشعان من عينيه:

- «سترون بأن هذه القصة خرافة يتناقلها النساء فيصدقها الرجال، سأذهب بنفسي إلى ذلك الجبل، وسيكون ذلك بعد منتصف الليل لأرى بعيني وأسمع بأذني الذي سيحدث هناك، وحينها ستصدقوني أنا فقط، قصتي هي فقط الصحيحة وغيرها سيكون مجرد تخريف عجائز».

وافقه أصحابه على ذلك، بينما حاول بعضهم أن يثني من عزيمته، إلا أنه كان مُصِرًّا على ما عزم عليه ولن يثنيه أحد عن عزمه، خصوصًا ما اشتهر عنه من شجاعة وقوة.

وهكذا بعد منتصف الليل بدقائق كان (علي) يختبئ وراء شجرة تقع عند أسفل الجبل ومن فوقه على ارتفاع كبير يقع ذلك الباب المغلف بالغموض. ابتلع ريقه بتوتر وأخذ يراقبه وهو رافع رأسه صُوبَ الأعلى، وقد أيقن أنه من مكانه هذا يستطيع أن يرى ويسمع الذي سيحصل هناك عند الباب المغلق وفي نفس الوقت لا يمكن لأحد أن يراه في حال صدقت حكاية أهل القرية العجيبة.

فجأة رأى بعينه الباب يفتح ببطء شديد، شقق وأخذ يفرك بيديه عينيه ثم نظر مرَّةً ثانيةً ليراه بالفعل مفتوحًا، شعر بصدمة كبيرة وفتح عينيه بدهشة حتى بدت وكأنهما ستخرجان من محجريها.

وهنا أخذ يرى رجلًا تلو الآخر يخرج من خلف الباب، ثم تبعهم النسوة



والأطفال.

جفَّ ريقه من هول المفاجأة، فقد كانت الإشاعة صحيحة.

ولكن أكثر ما أثار دهشته هو أنهم كانوا يرقصون ويغنون أمام الباب ولكنهم واقفون على الهواء، أي أنهم كانوا معلقين في الهواء يرقصون ويمرحون دون أن يقعوا وهذا ليس له إلا تفسير واحد.

وهو أنهم من العالم الآخر..

العالم غير المرئي..

إنهم من الجن.

ابتلع ريقه وثقل لسانه ولم يعد يستطيع أن يذكر اسم الله وقلبه يقرع بقوة مجنونة كالطبول بين أضلاعه.

وفجأة ومن نقطة ما خلفه سمع صوتاً أنثوياً جميلاً يلقي عليه السلام.

وعلى الرغم من نعومة وفتنة ذلك الصوت إلا إنه قفز مذعوراً ونظر خلفه بجدة.

وهنا حبست أنفاسه في دهشة عنيفة..

فقد كانت تقف أمامه أجمل امرأة رآها في حياته.

كانت طويلة القامة ممشوقة القد، رشيقة ذات أطراف طويلة ملفوفة، وبشرتها بيضاء مشربة بحمرة، أما وجهها فكان الفتنة بعينها، فقد كانت لها أوسع عينين رآهما في حياته، عينا سوداوان وهي ما يطلق عليها العرب الحور.

كانت تلك العينان الساحرتان تُظللُهما رموش سوداء كثيفة وطويلة يعلوهما حاجبان مقوسان دقيقان..

أما أنفها الحاد كالصقر فقد استقر تحته فم صغير مكتنز كالكرزة، ووجهها البيضاوي أحاط به شعر طويل جداً أسود كالفتح وناعم كالحرير. كانت ترتدي ثوباً طويلاً أسود زادها فتنةً على فتنة، ابتسمت بنعومة وقالت بلزوجة:

- «هل أفزعتك؟ لا تخف أنا اسمي (فطيم) وأنت؟».

كان لسانه ثقيلاً، وأخذ قلبه يخفق بهلع، فابتسمت له بنعومة وسحر هداً من روعه قليلاً، فقال بصوتٍ مرتجفٍ:

- «أنا (علي)».

اقتربت منه بدلال وقالت بغنج:

- «ما أشجعك! أنت أول إنسي أراه في مثل هذا الوقت، فالكل يخافنا».

ارتعدت فرائصه وقال بذعر ولسانه يتلعثم:

- «إذن أنت.. أنت لست بإنسية.. أنت.. أنت جنية».

ضحكت بنعومة وقالت لتبث الدفء إلى قلبه:

- «وماذا في ذلك؟ فأنا لا أعص».

اقتربت أكثر وعينيها النجلاءين تبرقان في فتنة شلت حواسه، بل إنها قد خدرت الرعب الكامن في قلبه، ولم يعد يرى سوى جمال وسحر تلك العينين.

استطاعت أن تفتنه بطريقة أسكرته، همست في أذنه قائلةً باغواء:

- «أنا ابنة شيخ قبيلتنا من جن الجبال، ونحن مسلمون، ابق معي ولن يستطيع

أحد أن يؤذيكَ طالما أنت في حمايتي وحماية سيد الجبل، لذا أرجوك قابلي كل ليلة هنا».



نظرت نحوه وعينيها ترسلان رجاءً حارًّا له فأمسكت يده ليشعر برطوبة يدها وحرارتها، وبدلاً من أن يرتجف من الخوف ارتجف نشوة لملمسها، وبدون وعي قال بصوتٍ مختنق:

- «كل ليلة سأكون هنا في انتظارك أعدك».

ابتسمت بسعادة ولكنها قالت بجدية مفاجئة:

- «ولكن لا تخبر أحداً بأمرى، وإلا لن ترانى مطلقاً».

أقسم لها بأن يحفظ هذا السر في قلبه إلى الأبد.

وهكذا كان، فعندما سأله أصدقاؤه عن ليلته قال لهم بأنه سمع أصوات الطبول والغناء ولكنه لم يَر شيئاً، لذا لن يعيد الكُرّة.

ولكنه كان يُكرّرها كل ليلة لينعم بمحبوبته (فطيم) حتى وقع في غرامها وعجز عن تخيّل الحياة بدونها، فقال لها في إحدى الليالي:

- «يكفى ما عدت أحتمل أن أراك أسمعك أتنشقك ولكن لا أقوى على لمسك، أرجوك دليني على سبيل لخلاصي، فالحب يكويني بناره».

قالت بعاطفة كبيرة:

- «وأنا أيضاً ما عدت أطيق صبراً عنك وهناك طريقة واحدة».

هتف بحرارة قائلاً:

- «وماهى؟»

نظرت نظرات ثاقبة وهمست:

- «الزواج».

ارتدّ مصعوقًا وبخفوت متوتر قال:

- «الزواج؟ كيف؟! أنت جنية وأنا انسي».

اقتربت منه بخفة النسيم وحرارة الصيف وكعطر يخدر عبيره الأعصاب،
همست بجوار أذنه:

- «بل إنه يحدث، فأنا مسلمة شريفة وبنت قبيلة عريقة، لا أرتضي للحب سبيلاً
إلى الزواج، فإن أردتني لك زوجة، ولقلبك عشيقة، ولروحك خلية فاقبل الزواج
بي ومعى ستهنا وقلبك يطرب».

كمسلوب الإرادة قال همسًا:

- «نعم أريد، ولكن عائلتي، ماذا ستقول لو عرفت؟».

ابتسمت واقتربت من أنفاسه لتختلط بأنفاسها وهمست:

- «وكيف ستعرف؟ ولماذا تعرف؟».

قال بارتباك:

- «إذن ما أقول؟».

قالت وهي تسبل عينيها:

- «ستقول بأنك ستسافر لأرض الشام لتعمل هناك ففيها خير كثير».

فكّر بكلامها وفكّر تنفيذه، فالعشق أخذ بتلابيب عقله.

قالت فجأةً محدّرةً:

- «ولكن عندي شرط».



قَطَّبَ جبينه وقال بحذرٍ:

- «و ما شرطك؟».

قالت بكياسة:

- «أن لا تقول كلمة "لو كان" فلو، تفتح عمل الشيطان، فأنت إن قلتها لي ثلاث مرات فكأنك طَلَّقْتَنِي طَلْقَةً بَائِنَةً ولن أعود لك ولن تراني أو ترى قبيلتي إلى الأبد، هذا هو شرطي الوحيد».

زفر بقوة وضحك بتوتر وقال بحماس:

- «فقط، هذا سهل».

قالت بحسم:

- «فإذن أمامك ثلاثة أيام تُودَّع فيها عائلتك وتحزم متاعك وكأَنَّك مهاجر، وبعد منتصف الليل انتظر عند هذه الصخرة وبعدها سأكون عروسك إلى الأبد، مفهوم؟».

قال بهيام:

- «مفهوم يا غاليتي (فطيم)».

وهكذا كان، فقد ودَّعَ (علي) أهله وأوهمهم بأنه ذاهب لأرض الشام التي كانت تنعم بالخيرات في ذلك الزمن القديم، وعند الموعد المبرم وقف بثوب نظيف ومتاعه القليل، ينتظر (فطيم) ولكن بدل من فطيم شاهد ثلاثة رجال قادمين نحوه، ارتعدت فرائصه فقد أدرك أنهم من الجن، قطعوا عليه خوفه وحبل أفكاره حينما قالوا:

- «نحن إخوة (فطيم) جئنا لنصحبك إلى عالمنا».

ابتلع ريقه وقال بصعوبة:

- «ع.. عالمكم؟».

ردَّ عليه أحدهم زاجراً:

- «وهل ظننت أنَّك ستتزوج بها هنا؟ دعني أحذرك من أمر ما، في أرضنا لا تخف أو تفزع من رؤيتنا فهذا يغضبنا ويجعلنا نتمكن منك».

طأطأ رأسه موافقاً وهو يشعر بأنه انزلق لمأزق لا مهرب منه.

وهناك ذهب، كيف حملوه ؟ لا يدري.

إخوة فطيم حملوه وطيروه في الهواء وأدخلوه إلى ذلك الكهف العجيب، ذلك اللغز الذي أشغل تفكير أهل القرية البسيطين أصبح الآن داخله!

رآهم بأم عينيه، قبيلة كبيرة؛ نساء ورجال وأطفال، وعلى رأسهم شيخ كهل ولكنه برغم الخوف في قلبه لم يكن يرتجف، فهم يشبهون البشر لذا ابتسم وترجم لسانه أفكاره حينما قال بغبطة:

- «أنتم تشبهوننا... كأنكم بشر».

سمع شيخ القبيلة يقول بوقار:

- «نحن متشككون على هيئة البشر رافئةً بك، والآن أهلاً بك زوجاً لابنتي».

فكّر، هذا هو والدها وهم ليسوا على هيئتهم الحقيقية، معنى هذا أن (قطيم) أيضاً ليست بتلك الهيئة التي أحبها عليها، بدأ الندم يتسلّل إلى قلبه ولكنه عندما رآها تخرج له فجأةً ترتدي ثوباً أبيض مُطرّاً بألوان عدّة.. الأحمر والأخضر والذهبي والأزرق، وتضع الذهب على رأسها وخصرها وعنقها ويديها فبدت في أبهى صورة وأجمل حُلّة، خفق قلبه سعادةً وحبّاً ونسي ندمه وخوفه منذ لحظات مضت،



وأصبحا زوجين، في تلك الليلة رقص الجن واحتفالهم الذي سمعه أهل القرية لم يكن كأى احتفال اعتادوه منهم بل كان احتفالاً بزواج ابنة الجن بواحد من سكان قريتهم.

(علي) ..

(علي) الذي هاجر إلى الشام كان في الحقيقة داخل جبل (حرفة) المسكون.

مضت سنة و (علي) في نشوة وسعادة والجن بهيئة آدمية حتى رأوا بأنه قد اعتاد على الحياة معهم وأن الألوان أن يراهم، وكان ذلك.

جميعهم ظهروا بهيئتهم الحقيقية ما عدا (فطيم) التي آثرت البقاء بشكلها الإنسي الذي أَحَبَّهُ (علي).

لم يسعد (علي) برؤيتهم رغم أنهم لا يختلفون عن الإنس كثيرًا ولكنه شعر بالفعل بغربته بينهم رغم قربه من قريته، وأدرك لأول مرة بأنه بالفعل في عالم غير عالمه، أخفى ضيقه عن الجميع ولكنه عندما اختلى بـ(فطيم) زلَّ لسانه عندما قال محبطًا:

- «الآن فقط شعرت بأنني في مكان يختلف عن عالمي، لو كان أهلك وعشيرتك بقوا متصورين لي بهيئة آدمية لكان أفضل لي».

عينا (فطيم) محمقتان فيه بدهشة، لقد توقَّع منها الغضب والعتاب ولكن نظرة الدهشة والصدمة تلك لم يتوقعها، فليس عدلاً أن تتوقع منه أن يكون سعيدًا برؤيتهم على حقيقتهم.

شعر بالقلق فسألها:

- (فطيم) هل صدمتك كلماتي؟ شعوري أمرٌ متوقَّع.. ومع ذلك أنا آسِفٌ..».

قَطَّبَتْ حاجبيها للحظة ثم فردتهما وقالت بحزن:

- «لقد وقعت الطلقة الأولى».

صاح بدهشة واستنكار:

- «كيف؟ أنا طلقتك! متى؟».

نظرت نحوه بحزن وقالت:

- «لقد قلت "لو كان أهلك وعشيرتك بقوا متصورين لي بهيئة أدمية لكان أفضل لي". وهذه (لو) كانت الأولى يا (علي)».

أدرك خطأه وزلة لسانه وحاول أن يشرح لها بأنها زلة لسان لا تحتسب ولكنها رفضت وقالت:

- «في عرفنا تقع، وأنت قد وعدت بأن لا تنطقها وإن فعلت فهي تقع».

أدرك خطأه ووعددها بأنه لن يكررها مرة ثانية.

مرّت بعد تلك الحادثة ثلاث سنين كان لـ(علي) طفلان من (فطيم) كانت هيتئهما مثل الجن، كانا جميلين وظريفين وقد أحبهما والدهما كثيراً».

في يوم ما قرّرت (فطيم) أن تظهر بحقيقتها أمام زوجها، فقد آن أوان الراحة من التصوّر والتنكر الذي ينهكها، وفي إحدى الليالي وقفت أمام (علي) وقالت برجاء:

- «(علي) أنت تحبني بغض النظر عن شكلي وعالمي».

هتف بصدق:

- «بالطبع أحبك.. ولا يهمني إن كنت جنية أو إنسية، فأنا تركت عائلتي لأجلك، وأصبحت زوجتي وأم أطفالي».



تنهّدت بارتياح وقالت:

- «إذن انظر إلي».

هنا وأمام عينيه المذهولتين أخذت صورة (فطيم) الجميلة الساحرة تتذبذب وتهتز لتظهر بشكلها الحقيقي والذي كان آيةً في الجمال فهي أجمل جنية رآها بين نساء عشيرتها، ولكنها ليست تلك الهيئة الإنسية التي أحبها واعتاد عليها.

امتدحها، وعندما واقعها شعر بشعور غريب في قلبه، شعر برغم من أنها نفس المرأة التي أحب إلا أنه يعاشر امرأة أخرى غير زوجته، وهذا سبب له الضيق، بعد ذلك سألته:

- «لماذا أنت حزين؟».

تنهّدت بحرارة وقال بهمّ:

- «أنت جميلة في كلتا حالتك؛ الإنسية والجنية، أنا لا أنكر ذلك، ولكنني شعرت بالغربة الليلة، لو كان شكلك باقٍ على هيئتك الإنسية، لكان أقرب إلى طبيعتي».

حدجته بغضبٍ وقالت:

- «هذه الطلقة الثانية (لو كان) قد وقعت».

انتفض بذعر وأخذ يعتذر منها ولكن هيهات أن تفهم.

بعد تلك الليلة مرّت ثلاث سنين أخرى رزق فيها بطفله الثالث وكانت فتاة، والآن أصبح له ثلاثة أطفال من زوجته (فطيم) بعد أن عاش مع الجن ثماني سنوات بعيداً عن أهله، ولكن الحب ملاً حياته، خاصّةً بعد أن اعتاد على شكل (فطيم) الحقيقي.

وفي إحدى الليالي وهو يتأمل أطفاله الثلاثة يتقافزون من حوله ويضحكون تنهّد في شوق وقال وعينيه تسرحان للبعيد:

- «أعرفين يا (فطيم)؟ كم أتمنى أن يرى والداي أطفالي ويتمتعان بأحفادهما، ليتني أزورهما فقط ليوم واحد، لقد اشتقت لأهلي، لو كان عندي عقل رصين لزرتهم من فترة لفترة، على الأقل لما كنت سببت لهم الألم لغياي بدون رجعة هكذا».

وقفت (فطيم) بحزن والدموع تُبلل عينيها وقالت بصوتٍ باكٍ:

- «آن فراقنا يا (علي) وعودتك إلى بيت والديك وأسرتك، لقد طلقتي طلقاً بائنة ونطقت بـ"لو كان" الأخيرة، فالوداع يا أحب مخلوق على وجه الأرض، لن تراني وترى أبناءك بعد اليوم فودعهم بسرعة قبل أن ترحل عن عالمنا إلى الأبد، صرخ وبكى وتوسّل واعتذر ولكن لا فائدة، احتضنها واحتضن أبناءه في لوعة وهو لا يصدق بأنه سيغادرهم إلى الأبد، بكى واختلطت دموعه بالأرض وأبناؤه الصغار في أحضانها، وعيناه تلتقيان بعيني حبيبته (فطيم) البائسة، وفي لحظة خاطفه شعر بأنه يُحمل وإذ به مُلقًى على أرض الخلاء المجاورة لطريق المزارع.

دموعه بلّلت الأرض، نهض وأخذ يرى قريته لأول مرة بعد غياب ٨ سنين. أخذ يصرخ باسم (فطيم) كالمجنون وهتف بأسماء أبنائه بلوعة حتى سمعه من كانت بيوتهم قريبة من المزارع وحسبوه ضيغاً وإذ به إنسي، بل (علي) الذي هاجر إلى الشام ولم يعد أو يرسل أخباره أو يراه أحد ممّن سافر إليها. إنه (علي) الذي اعتقد والداه بأنه مات.

عاد (علي) وفي جعبته قصة غريبة بأنه كان هنا في القرية ولكن ليس بها بل كان في ذلك الجبل المهيّب وداخل ذلك الكهف الغامض، قد تزوّج وأنجب من جنية ثلاثة أبناء، ولأنه نطق بـ(لو كان- لو كان- لو كان) ثلاث مرات، خسرها وخسر أبنائه إلى الأبد، البعض صدقه، والبعض الآخر اتهمه بالمجنون.



ولكن قصته تداولتها القرى والأمم القديمة لتكون أسطورة من الأساطير العجيبة.

وجبل (حرفة) إلى هذا اليوم تستطيع أن تراه من بعيد عندما تمر بالسيارة من على طريق السفر، موجودًا عاليًا وشامخًا له هيبة عجيبة، وستلاحظ ودمك يرتجف في عروك ذلك الباب المنحوت في الصخر والذي يحوي وراءه كهفًا يقود إلى عالم آخر...

عالم الجن.



همست (منى) بحزن:

- «الزواج من الجن! يا إلهي إنه حقًا يحدث!».

ردّت أمها وهي تسكب الشاي:

- «لا أعرف حقًا، بعضهم يؤيد حدوثه، وبعضهم لا».

ردّ (جَمُون) ببراءة:

- «إنه يحدث يا (منيتي) هل صدقتني الآن؟ وأنا مستعد للزواج بك وإثبات ذلك، لا زلت عند طلبي».

زفرت بجدة وهي تجده يعاود الكلام معها في كل فرصة يراها سانحة، وفي نفس الموضوع، لم تعد ترغب بذلك والآن قلبها ل(وليد) الإنسي وستكون له.

قطع عليها أفكارها صوت أمها القائل:

- «الآن سأقص عليكم أسطورة لا علاقة لها بالجن، بل بمن خلق الجن».

صمتت لحظةً ثم استطردت قائلةً وقلبها يرتجف:

- «قصة عن قوة وعظمة الله سبحانه وتعالى».

ردّد الجميع في خشية:

- «سبحانه وتعالى».

شربت الأم من كوبها رشفةً شاي ساخن يبث الدفء في جسدها، ثم سحبت
نفساً عميقاً من هواء الليل المنعش وقالت بصوتها الجميل الدافئ:

- «سأحكي لكم قصة السحابة الماطرة».



أسطورة

السحابة الماطرة

راعية غنم جميلة، ولكنها عنيدة متكبرة لا تحب الأوامر، كثيرة النميمة والغيبة وطويلة اللسان، تمشي متبختره بعنقها العاجي، وبجمال بنات القرى الجنوبية وهي تدرك بأن جمالها صرع الشباب من حولها، وكل يوم، خرجت لترعى الغنم في الأراضي الخضراء دون أن تعير أمها بالأ عندما قالت لها:

- «يا (عيدة) لا تخرجي للرعي اليوم فلعلَّ السماء تمطر».

نظرت الفتاة إلى السماء الصافية إلّا من بعض الغيوم المتراكمة، فضحكت ساخرةً ومشت بغنمها حتى بعدت أمتارًا عن البيت، خرجت أمها من باب البيت والجيران يشاهدونها وهي تهتف بابنتها:

- «يا (عيدة) لا تذهبي قد تمطر السماء، فالجو بارد والغيوم ستكبر والعلم عند الله، عودي يا ابنتي وأعيدي الغنم للحظيرة».

ضحكت الفتاة سخرية وهتفت بأما قائلةً:

- «تمطر هههههههه كيف تمطر؟ منذ زمن لم تمطر السماء! فليس عند ربي ما يملأ زنبيلي».

قالتها وهي ترفع زنبيلًا مصنوعًا من سعف النخل تضع داخله الطعام.

هتفت أمها بهلع:

- «أستغفر الله يا ابنتي فالله على كل شيء قدير».

دارت الفتاة على عقبيها وهي تضحك بسخرية.

فجأةً وأمام أعين الجميع تكوَّمت سحابة رمادية فوق الفتاة وغنمها فقط، دون باقي الأماكن، وتساقطت منها الأمطار الغزيرة لتنهمر كالرصاص بحبات البرد الكبيرة على الراعية وبعض غنمها، لأن البعض الآخر تصرَّف بدافع غريزة البقاء وهرب إلى الأماكن الجافة، بعكس البقعة التي تجري فيها الراعية والتي اخذت تصرخ بهلع وتركض جهة بيت أمها لعلها تنجو، ولكن لا منجا ولا ملجأ من الله إلا إليه فقد قضى الله أمرًا كان مفعولا ، الراعية والغنم يركضون والسحابة تجري فوق رؤوسهم، والأم الفزعة والجيران يصرخون ويوحدون الله، وأمام أعين الجميع ماتت الفتاة ومات الغنم الملازم لها وصارت كالعجين ملتحمة بالأرض، بكت الأم وبكى جيرانها بعد أن شاهدوا بأم أعينهم عقاب الله الذي نزل بتلك الراعية السيئة الأخلاق، والتي بلغ سوء لسانها أن تناولت على الذات الإلهية.



أنهت الأم القصة بينما الوجوه حولها واجمة ، قالت برصانة:

- «قصة مؤلمة أعرف ذلك، ولكن تخيلوا لو لم يعاقبها الله، كانت ستستمر في عصيان والدتها، والتطاول على الله ولعل البعض سيتشجع ويتطاول مثلها على الذات الإلهية عندما لا يرى رادعًا لذلك، وكان الله سبحانه غير موجود، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا فالله الرزاق الكريم».

همست (منى):

-«ونعم بالله، أشعر بأنها نالت العقاب الذي يعلم الله بأنه الأنسب لها فالله خير بالعباد».

قالت الأم لهم:



- «سأحكي لكم قصة أخرى ، نحن نسمع دائمًا عن أماكن مسكونة كبيت مسكون ، بئر مسكون، أرض مسكونة ولكن أن تكون هناك شجرة مسكونة فهي قصة غريبة».

هتف (فيصل) بحماس:

- «ما قصتها؟»

قالت الوالدة بتأنٍ:

- «قصة غريبة ومخيفة حدثت في قديم الزمان».



أسطورة

الشجرة المسكونة

في قرية (الهيئة) بمدينة (النماص) كان هناك مزرعة كبيرة امتلأت بأكواز الذرة، مما جعل بعض الفتية الأوغاد يسرقون منها، ظناً منهم بأن حجمها الكبير وكثرة الذرة، لن تجعل فقدان بضعة أكواز تلفت الانتباه، ولكن صاحب المزرعة قد تنبه لذلك فجعل ابنه الشاب ذا التسعة عشر عاماً والقوي البنية (ناصر) حارساً لمزرعة والده متقلداً خنجراً حاداً.

عرف الفتية الأوغاد بوجود (ناصر) فتحاشوا الذهاب إلى هناك خشية أن يبرحهم (ناصرًا) ضرياً فقد اشتهر بقوته.

حرس (ناصر) المزرعة مدة أسبوع كامل دون أن تُفقد ذرة واحدة منه ،وهذا أدخل السرور إلى قلبه، والفخر إلى قلب والده لأن ابنه استطاع حماية أرض والده الزراعية رغم مساعدة أخيه له في أوقات راحته إلا أن الحمل كله بقي على أعتاق (ناصر).

كان قد أكل الخبز الذي صنعتته والدته في التنور، وشرب الماء وذلك منذ ثلاث ساعات مضت، وقد غربت الشمس وصلى المغرب في وقتها ، والآن يشعر بجوع شديد وفكر في وجبة العشاء التي اقترب موعدھا، ولكنه لن يترك المزرعة قبل أن يأخذ أخوه (سعد) مكانه في الحراسة.

فجأة سمع صوتاً يناديه :

-«(ناصر) تعال العشاء جاهز تحت الشجرة الكبيرة».

قطب حاجبيه واستغرب، لماذا العشاء تحت الشجرة الكبيرة وليس في



المنزل؟!

الشجرة الكبيرة هي شجرة (عرعر) عملاقة معمرة تبعد عن مزرعة الذرة ب 200 م وحولها نسجت قصص وحكايات بأنها مسكونة من الجان، ولكن (ناصر) شجاع ولا يصدق خرافات العجائز، وفكر بأن إخوته يرغبون في العشاء تحت الشجرة ليتسامروا قليلاً وهو أمر جميل وممتع بعد ملل الحراسة.

سمع الصوت يناديه مرة ثانية وبهجة:

- «بسرعة يا (ناصر) تعال إلى العشاء قبل أن ينفد».

فكر (ناصر) بهلع وخشي أن يأكل إخوته الشباب ولا ينتظرونه، لذا نهض على عجل وانطلق إلى الشجرة، وبالنسبة للمزرعة فأخوه (سعد) قادم لا محالة فهو يتعشى أبكر من البقية ليحضر للحراسة بدلاً منه.

مشى (ناصر) الشجاع في ظلمة الليل البهيم، مشى ومشى حتى رأى الشجرة من بعيد وشعلة نار أسفلها.

ابتسم في هناء وهو يتخيل متعة الجلوس حول النار وأكل الأطايب.

وصل فوجد النار المشتعلة وحولها لم يتحلق أحد.

لا وجود لإخوته، ولا للطعام فمن ناداه يا ترى؟

فكر لعل اللصوص أرادوا إبعاده عن المزرعة ليسرقوا الذرة.

شعر بالغضب من الأوغاد الذين خدعوه وعندما فكر أن يدور على عقبه ليعود إلى المزرعة سمع صوت خشخشة الأغصان أعلى رأسه، فنظر إلى فرق إلى أغصان شجرة العرعر الكبيرة.

وهناك حدقت فيه أعين قروود سوداء، يتجاوز عددها العشرين قروداً.

نظراتهم مخيفة، ولونهم الأسود هو أكثر ما أذهل عقله فالقرود بنية اللون.

خفق قلبه بقوة واستشعر وجود أمر يفوق الحياة الطبيعية، ابتلع ريقه وفكر بأن يرحل قبل أن تقفز عليه القرود المؤذية.

فجأة سمع صوتا من أعلى الشجرة صادراً من إحدى القردة قائلاً بسخرية:

- «ألم يعجبك العشاء يا (ناصر)؟».

سقط قلبه عند قدميه وقد أدرك كما توقع بأن هؤلاء القردة ما هم إلا الجن الساكنون في الشجرة الكبيرة.

ثقل لسانه فلم يعد يستطيع أن يتكلم كلمة واحدة، وأمام عينيه المذهولتين شاهد القردة تنزل من الشجرة ونظراتها الصفراء عليه، وابتسامة صفراء يكاد يقسم بأنه شاهدها على شفاههم الوسيعة وهي تقترب منه خطوة خطوة.

لم يكن (ناصر) بالشاب الجبان، حتى وإن ثقل لسانه وانتفض قلبه هلعاً، لذا مدّ يده المرتجفة نحو غمده وأخرج خنجره منه، توقفت القردة عن التقدم فتشجع (ناصر) وأخرج كامل خنجره الذي لمع نصله، ووجهه نحوهم فانكمشوا على أنفسهم، فبعض أنواع الجن تكره الفضة، وكانت تلك فرصته الذهبية التي جعلته يطلق ساقيه للرياح، وأخذ يجري حتى وصل بيت عائلته، طرق الباب عدة طرقات قوية فأجابته أمه:

- «من الطارق؟»

لم يكن يستطيع (ناصر) الكلام فاستمر في الطرق بقوة أكبر وأمه تسأل من الطارق؟ وهو يستمر بالطرق حتى شعرت أمه بالغضب والملل من هذا الطارق الوقح فأجابته بغضب:

- «كسر الله يدك أيها الطارق المزعج».



أعاد الطرقات عدة مرات وأمه تجيب بنفس الإجابة.

نظرت اخته نحو والدتها بدهشة وقالت:

- «انظري من النافذة لنعرف من هو هذا الشخص الوقح!»

اتجهت الأم وفتحت النافذة الخشبية لترى ماهية الطارق، فصعقت عندما رآته ابنها (ناصر) الشاحب الوجه، هتفت فزعة:

- «ابني (ناصر)».

هرعت اخته وفتحت الباب لأخيها الذي ما إن دلف حتى أخذ يضربها ويلطمها كالمجنون الى أن وقع أرضاً.

التفت الأسرة حوله فإذا به شخص مصاب بالبكم لا يستطيع الكلام أحضر والده إمام المسجد الذي قرأ على (ناصر) آيات من القرآن الكريم، فانفكت عقدة لسانه وذكر الله ، وحكى لهم قصته التي أثبتت بأن شجرة العرعر الكبيرة مسكونة بجن مؤذنين سلم منهم (ناصر) بأعجوبة.



قال (فيصل) بانبهار:

- «يا لها من قصة مخيفة! أشعر بأن القرى تحمل من القصص المخيفة الكثير».

عقبت (منى) قائلة:

-«لأن القرى شبه خالية من العمران، والأضواء وكثرة السكان، فلا زالت بها اراضي زراعية، وجبال ممتدة، أشبه بثقب أسود يبتلع الناس فيريهم بداخله العجائب».

أيدها (فيصل) ثم سأل والدته:

- «وتلك الشجرة ما حالها الآن؟».

قالت والدته بدون اكتراث:

- «يقولون لازالت موجودة ولازالت مسكونة».

همس (فيصل):

- «بسم الله الرحمن الرحيم».

قالت أمه بعد برهة صمت:

- «بالفعل القرى مليئة بالقصص والأساطير بعضها وإن كان مرعباً إلا أنها لا تخلو من بعض الطرافة مثل حكاية الخروف».

ابتسمت (عبير) وقالت بلهفة:

- «خروف؟ تبدو قصة ممتعة».

غمزتها والدتها معلقة :

- «ممتعة ولكنها أيضاً مخيفة.. كان ذلك في الماضي أيضاً».



أسطورة

الخروف (الكبش)

الجوع كافر كما تقول الأمثال، والناس في الماضي تأكل من خيرات المزرعة، أما اللحم فهو لمن لديهم قطيع غنم فقط، وباقي الناس كانوا ينتظرون أن تقام وليمة بصبرٍ نافذ ليتمتعوا بأكل لحم الخرفان اللذيذ.

أما (عايض) فكان محظوظًا إذ إنه بعد عودته من حرث الأرض وفي طريقه وجد خروفًا كبيرًا (كبش).

تلقتَ يمينًا ويسارًا باحثًا عن صاحبه، صعد ربوة مجاورةً باحثًا بعينه عن قطيع الغنم الذي انفصل عنه الخروف ولكن لا شيء.

وهنا ابتسم في سعادة وقال بجزل:

- «نعمة رب كريم، نعمة من كريم، لقد أرسل لي هذا الكبش ليكون طعامًا لذيذًا».

تقدم بسعادة من ذلك الكبش الهادئ والذي لم يقم بأي حركة مقاومة، فحمله (عايض) بقوة جسده الكبيرة على ظهره ومشى به عائداً إلى بيته.

مشى به عدة أمتار حتى شعر بأنه يثقل ويثقل.

تعجب من ذلك فكيف للكبش أن يزداد وزنه في لحظات!

أخذ يثقل ويثقل واكتاف (عايض) تتن ألامًا، وظهره يكاد ينكسر، فهتف بغلٍّ من بين أسنانه: آ-«لعنك الله ما أثقلك!».

رد عليه الخروف بصوت غليظ:



-«بل لعنة الله عليك أنت».

هل تكلم الخروف؟ أم كان يحلم؟!

كل ما يعرفه بأنه سمع الصوت من الذي يحمله على ظهره، فأصابه دعر شديد، فصرخ هلعًا وحاول رمي الخروف الذي تشبث به بقوة فهتف فزعًا:

- «انزل من على ظهري».

ردَّ عليه الخروف بعناد :

-«لن أنزل حتى تعيدني إلى نفس المكان الذي أخذتني منه يا سارق».

أطاعه صاغرًا فلا حل آخر أمامه، وعندما وصل إلى نفس المكان أراد أن ينزل الخروف من عليه فنزل بخفة، حينها أطلق (عايض) لساقيه العنان فلا قدرة لديه أن تلتقي عيناه بعيني الخروف الذي لم يكن سوى جني متنكر بهيئة حيوان.



ضحكت (منى) حتى دمعت عيناها وقالت من بين ضحكاتهما:

-«لقد ذكرتني هذه القصة بفلم الرسوم المتحركة (سندباد) عندما حمل رجلًا عجوزًا ليوصله للضفة الأخرى من النهر، ثم لم ينزل العجوز بعد ذلك وكان يتحول إلى جني مخيف أي رمز الشيطان، حتى أشربه (سندباد) شرابًا مسكرًا وعندما غاب عقله استطاع أن يهرب (سندباد) من أسر ذلك الشيطان».

ضحك (فيصل) وقال:

- «أذكر تلك الحلقة .. كانت رهيبة»

فكرت (منى) بأن الرسوم المتحركة بها أحيانًا رسومات تشبه الجن مثل مغامرات (غريندايزر) فقد كان بعض سكان الكواكب الأخرى لهم مثل آذان الجن



وأعينهم اللوزية وسرعتهم هائلة، وغيرها من الأفلام الكثير التي تصورهم وكأنهم من كوكب آخر، فكيف رسموهم بهذا الشكل؟

هل رأوهم مثلها ؟

في غمرة افكارها سمعت والدتها تقول فجأة:

- «أشعار الجن جميلة، وكثير من الجن العرب يبرعون في الشعر».

انتفض قلب (منى) وتذكرت (جَمُون) وأشعاره، ثم لفت انتباهها قول امها :

- «وهناك مناظرة شعرية بين إنسي وجنية».

قالت (منى) بخفوت:

- «أريد أن أسمعها».

ابتسمت والدتها وقالت بحماس:

- «لكِ ذلك».



أسطورة

اغلبني أو أغلبك

كان هناك رجل شديد الوسامة، فصيح اللسان اسمه (حمدان) كان يتمشى بين المزارع ويمتع بصره بمناظر الأشجار الباسقة والثمار والحشائش، فأرض المنطقة الجنوبية خلابة بهية ترتدي حُلَّةً خضراء، وأخذ يتنشق الهواء العليل في وقت شمس الأصيل، حينما شاهد امرأة ترتدي ثوبًا أسودَ مطرًا بألوان بهيجة -الثوب العسيري- (قفطان) وتضع على شعرها الأحمر شالًا أصفرَ مزينًا بورود حمراء، يرتدينه نساء الجنوب في الماضي دلالة على أنهم عزباوات عذارى، أما المتزوجة فترتدي حجابًا أسودَ وتجعل الشال الأصفر حوله كالعصابة.

غضَّ طرفه وأكمل طريقة وعندما مر من جوارها قال:

- «السلام عليكم».

قالت بصوتٍ ناعم:

- «وعليك السلام يا (حمدان)».

توقف حمدان والتفت نحوها بدهشة، وكانت جميلة كديدن فتيات الجنوب، وقال بحيرة:

- «هل تعرفيني؟ من أنت؟».

قالت بدلال:

- «أنا أعرفك وكل أهلي الساكنين في هذه التلال المحيطة بالمزارع يعرفونك، وأنا أشاهدك يوميًا تمر من هنا».



نظر نحوها بحذر ونحو التلال الخالية من البيوت، ثم ضيق عينيه وقال بحذر:

- «ولكنني أراك للمرة الأولى، والجمال خالية من البيوت».

ابتسمت في سخرية وقالت:

- «وهل تستطيع أن ترى عالمنا ونحن محبوبون عنكم؟».

ارتعدت فرائصه إذ أدرك معنى كلامها، فهذا يعني أنها جنية وأهلها من الجن استجمع شجاعته وقال بحذر:

- «وماذا تريدان؟».

لان حديثها عندما قالت برجاء:

- «أنا أحبك منذ فترة وأرغب أن تزورني وتذهب معي لترى حياتي كما رأيت حياتك».

أكفهر وجهه مُشمئراً وقال باستهجان:

- «ما هذا الكلام؟ لك عالمك ولي عالمي... ارحلي من هنا».

قالت بأنفة:

- «سأرحل ولكن بشرط».

عقد ذراعيه حول صدره وقال بصبر نافذ:

- «وتشترطين أيضاً! قللي ما شرطك».

قالت بكياسة :

- «أن تباريني في الشعر، فإن غلبتني تركتك ولن تراني بعد اليوم، أما إذا غلبتك

تَأْتِ مَعِي».

مَطَّ شَفْتِيهِ سَاخِرًا وَقَالَ:

- «وَإِذَا لَمْ أَفْعَلْ؟».

نَظَرَتْ نَحْوَهُ مُحَدَّرَةً وَقَالَتْ:

- «سَيُؤْذِيكَ كُلَّ عَشِيرَتِي الَّتِي تَسْمَعُنَا وَتَرَانَا الْآنَ».

تَلَقَّتْ حَوْلَهُ حَذْرًا ثُمَّ قَالَ بَتَوْتَر:

- «وَإِنْ كُنْتَ تَخْدَعِينِي؟».

قَالَتْ بِأَنْفَةٍ:

- «كَلِمَتِي لَا تَنْثَنِي، فَأَنَا أَعِدُّكَ لَوْ فَزْتُ عَلَيَّ لَنْ يُؤْذِيكَ أَحَدٌ، وَلَنْ أَتَعْرِضَ لَكَ طَوَالَ حَيَاتِكَ، وَلَكِنْ إِنْ غَلَبَتْكَ كَلِمَاتِي وَحَكَمْتِي فَأَنْتَ مُلْكٌ لِي».

قَلَّبَ (حَمْدَانُ) الْمَوْضُوعَ فِي عَقْلِهِ، وَوَجَدَ أَنَّ لَا مَنَاصَ مِنَ الْمُبَارَاةِ الشَّعْرِيَّةِ وَهُوَ شَاعِرٌ فَصِيحٌ، فَلَعَلَّهُ يَفُوزُ وَيَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا إِلَى الْأَبَدِ، سَحَبَ نَفْسًا عَمِيقًا وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَالَ:

-«حَسَنًا مُوَافِقٌ... اِبْدِئِي أَنْتِ أَوَّلًا».

قَالَتْ بَدَلًا:

- «يَا اللَّهُ إِنِّي دَعَيْتُكَ وَارْتَجَيْتُكَ

تَطْفِي النَّارَ ذِي حَامِي لَهَا».

رَدَّ عَلَيْهَا بَعْزَةً:



-«وأنا عبي سيلٍ قوية

يطفي النار الحامي لظاها».

قالت له متعالية:

-«وأنا عبي⁽¹⁾ نخلة طويلة

نحتمي بها وناكل من جناها».

قال بدهاء:

-«وأنا لها صقر بقوة

يخطف الصيد من عالي سماها».

قالت بعناد:

-«وأنا عبي بير طويلة⁽²⁾

كلما قلَّ وقُر⁽³⁾

ردَّ ساخرًا:

-«وأقلب عدادك⁽⁴⁾ والثوارين⁽⁵⁾

دام الله رجاها».

(1) عبي: مثل.

(2) بير طويلة: أي عميقة.

(3) وقُر: أحواض تجمع المياه على الصخور.

(4) اقلب عدادك: عداد أي الساقية.

(5) الثوارين: الثيران التي تَجُر الساقية.

قالت بتوتر:

-«وأنا عبي ساحة⁽¹⁾ طويلة

يعيب الجص⁽²⁾ في عالي بناها».

قال بدهاء:

- «وأنا لها مفتاح فضة

أفتح القفل وأعدي⁽³⁾ وراها».

تنهدت وقالت برجاء:

- «روح معي ديرتي عوالي⁽⁴⁾

ديرة الحيا⁽⁵⁾ غطا حصاها».

«عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذه النسخة على شكل كتاب مطبوع فتأكد من أنك تقرأ نسخة مسروقة وليس لمن طبعها الحق في البيع والشراء.. وهذه النسخة بالأصل هي نسخة إلكترونية تم تجهيزها من فيلق مكتبة صَاد⁽¹⁾ الإلكترونية على تطبيق تيليجرام! فتأكد من أنك تحمّل هذه الرواية وتقرأها من قناتنا الرسمية. نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة..

(1) الساحة: القصر.

(2) الجص: مادة تستخدم قديماً مثل الاسمنت وهنا المعنى أنه لم يتقن صنعه لأن البناء شاق فسبب العيب به.

(3) اعدي: من المرور أي أمر وأصبح خلفها.

(4) عوالي: عائلي.

(5) الحيا: العشب الأخضر.

(1) للانضمام إلى القناة الرسمية أدخل اليوزر التالي في محرّك بحث تيليجرام: [@twinkling4](https://t.me/twinkling4)



رَدَّ بِحِدَّة:

-«وربك ما أعدي ديرتك

ديرة نبي محمد ما وطاها».

صاحت الجنية بغیظ واختفت ولم تعد إذ هزمها منطق (حمدان) فأوفت
بوعدها واختفت من طريقه إلى الأبد.

قالت عییر:

- «قصة جميلة».

في تلك اللحظة شاهدوا والدهم يخرج من المنزل متدثرًا بغطائه وانضم لهم
قائلًا بسرور:

- «ماذا لديكم لتتسامروا هنا؟ لقد جفاني النوم».

قالت زوجته بحنان:

- «هل أنت متعب؟».

رَدَّ مُبْتَسِمًا لرؤية عائلته سليمة معافاة قائلًا:

- «تعرفين بأني يجافيني النوم على فراش جديد».

أصاب (جميلة) الخجل وقالت:

-«يا إلهي أنا أعرف ذلك، ما أغبی سؤالی!».

ضحك مداعبًا وقال برقة:

- «لا عليكِ.. المهم أنكِ بخير، والآن عن ماذا تتحدثون؟».

قالت (جميلة):

- «قصص الماضي الجميل يا أبا (عبد الله)».

قالت (منى) بمرح:

- «قصص قبل النوم التي كانت تحكيها أمي وجدتي لنا، أساطير الأولين».

ضحك والدها وقال:

- «أساطير الأولين... جميل هذا الاسم ولكنني أتساءل إن كانت حقًا أساطير! أو على الأقل جزء منها».

ثم استطرد:

- «يا ليت (حسين) و (مها) قدما معنا واستمتعا بهذه السهرة اللطيفة، أتدرون؟ لقد تذكرت قصة حدثت لأخ مها الكبير (سالم) وحكتها لي قبل سنتين، ولكن تلك القصة حدثت لأخيها قبل عشرين عامًا، عندما كان عمره عشرين».

هتفت (منى) بحماس:

- «احكها لنا يا والدي».

طأطأ والدها برأسه وقال:

- «إذن أنصتوا واذكروا اسم الله فالقصة مخيفة».



أسطورة

المنعطف المسكون

كان (سالم) يركب سيارته التي تقوده مسافرًا من (الرياض) إلى (ابها) وصوت الأغاني يصدح في الأجواء ليؤنس وحدته ويخفف عنه طول المسافة، دخل المنطقة الجنوبية وهذا إعلان باقتراب نهاية رحلته، ولكنه أخطأ المنعطف الذي يقود إلى (أبها) وكان لسوء حظه قد دخل منعطفًا لمنطقة خلاء مسكونة، لكنه لم ينتبه إلى ذلك إلا متأخرًا إذ لاحظ انقطاع المنطقة تمامًا من أي أثر لمحطات البنزين المخصصة للسفر وإلى أي شيء آخر. بدأ يفلق ويسترجع ذاكرته عن الطريق الذي يسلكه دائمًا عندما يرغب في زيارة عائلته.

وفجأة رأى من بعيد على جانب الطريق ولكن بعمق مسافة ربما 300 مترًا نارا موقدة وحولها رجال في صفوف يرقصون الرقصة الشعبية لأهل الجنوب - اللعب أو عرضة - استأنس قلبه لرؤياهم وشعر بأنه في مكان به رائحة من خلق الله.

أكمل طريقه وابتعد بمسافة عشرين مترًا، واذ به يرى نفس المشهد، الرجال الذي يرقصون حول النار.

دهش وتساءل هل في كل بقعة يوجد رجال يرقصون؟ أم أنهم أنفسهم؟ ولكن هذا مستحيل!

وبعد مسافة عشرين مترًا تكرر نفس المشهد وهكذا أربع مرات، وهذا غريب!

إنهم نفس الرجال نفس اللباس، نفس الرقصات، ولكن كيف؟!

والأدهى أنهم في كل مرة يراهم يجدهم لا يبعدون عن الطريق بعمق 300 متر

كالمرة الأولى، بل إنهم مرة بدوا وكأنهم بعمق 200م، ثم 100م، ثم 50م ثم 20م.



خفق قلبه من الخوف والتوتر ومسجله يرسل مقطع أغنية (محمد عبده) من كلمات الأمير الشاعر (بدر بن عبد المحسن):

- «أرفض المسافة والصور والباب والحارس».

فهل أولئك الرجال يرفضون المسافة أيضاً؟

وهل هم من الإنس اصلاً؟

وهنا رآهم للمرة الخامسة ولكنهم لا يبعدون عن الطريق بعمق 20 م بل إنهم قريبون ربما أربعة أمتار فقط.

ثقلت أطرافه وثقل لسانه من الخوف، وقدمه تدوس على البنزين ليزيد من سرعة السيارة أكثر ولكن هيهات.

ففي المرة السادسة أصبحوا بجانب سيارته، حتى الصراخ لم يقدر عليه من شدة الهلع، أما المرة السابعة فقد كانوا أمام عينيه الهلعتين مباشرةً، فأوقف السيارة كرد فعل غريزي وكأنه سيصدمهم .

هل اختفوا بعد وقوفه المفاجئ؟

ابداً!

بل وجدهم على مقدمة السيارة - التابلون - فكاد أن يجن بل إنهم ألصقوا وجوههم على زجاج السيارة الأمامي، وأخذوا يحدقون بشماتة في (سالم) المذعور، وصوت ضحكاتهم الصاخبة الحادة بكاد يمزق أذنيه، حتى علت أصواتهم على صوت (محمد عبده) المنطلق من مسجل السيارة.

كان وضعه مزرياً، فالرعب يكاد يوقف قلبه عن الخفقان، وصوت الغناء يزيد من بهجة الجن وحضورهم وقفزاتهم على سيارته كالقرود، وهنا الهمة الله تصرفاً لو استطاع فعله لنجى منهم، فإن كان لسانه ثقيلاً فلسان غيره يعمل.



مدَّ يَدًا مرتجفةً نحو علبة بجوار قدمه، وسحب منها شريط مسجل ثم رماه على المقعد فلم يكن المنشود، ثم سحب شريطاً آخر ورماه ايضاً، وأخيراً سحب ضالته المنشودة، فوضعها بصعوبة في مشغل الأشرطة لأن يده تكاد تقفز من كتفه من شدة رجفتها، وعندما أدخل الشريط صدح صوت القارئ (عبد الله الحذيفي) ليبدد الرعب ويحل مكانه السكينة، وهنا وأمام عينيهِ المذعورتين رأى ذعره ينعكس في أعينهم فانقلب الحال في لحظة ذكر الله واختفى وجودهم المرعب من مسرح الأحداث، حينها فقط استطاع (سالم) ان يحرك لسانه ويلهج بذكر الله.

هدأت أطرافه وعمت السكينة قلبه، فأدار محرك السيارة وانطلق عائداً من حيث جاء من نفس الطريق حتى عاد إلى الطريق العام، وتذكر المنعطف الذي هو بعد هذا المنعطف المسكون، فسار فيه حتى وصل مدينة (أبها) بسلام وفي جعبته تلك التجربة الرهيبة مع مخلوقات الجان.



ابتلعت (جميلة) ريقها بخوف وقالت:

- «اللهم اسكنهم مساكنهم».

قالت (عبير) بصوت خائف:

- «حقاً يا والدي قصة مخيفة، وتجربة رهيبة عاشها (سالم)».

ابتسم والدها وقال:

- «لقد أصبح الشيخ سالم فقد تدين، والآن اعتقد لو رأوه الجن لهربوا منه».

ضحكوا على تعليقه ثم سمعوا فجأة نهيق حمار فتعوزوا من الشيطان في رهبة، فالحمير والكلاب ترى الشياطين، ونباح الكلاب ونهيق الحمير دليل قد

يكون على رؤية ما لا نراه كما أخبرنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا» صحيح مسلم

ضحك والدهم فجأة فاستغربوا ضحكاته لذا سألته (جميلة) مستغربة :

- «ما الذي يضحك؟»

قال من بين ضحكاته :

- «تذكرت قصة حصلت لي أنا شخصيًا عندما سمعت نهيق الحمار».

سأله (فيصل) بلهفة :

- «ماهي؟ وهل هي مخيفة؟»

قال والده بابتسامة ناعمة وهو يتذكر الماضي:

- «ما تصنيفها؟ أدع ذلك لكم، ولكن أن تكون من أساطير الأولين فلا وألف لا ليست بأسطورة فهي حدثت معي شخصيًا وبطلتها حمارتي (فِرَزَّة) ، قصة عشتها وعاصرتها مع والدي رحمه الله سأحكيها لكم لأشم عبق الماضي الجميل».

سبحت عيناه إلى الماضي وحكى القصة قائلًا بصوتٍ يغلبه الحنين:

- «حمارتي (فِرَزَّة) قصة ليست بأسطورة».



أسطورة ليست أسطورة

حمارتي (فِرَزَّة)

كانت سنة قحط شديدة مرّت على المنطقة الجنوبية، وحينها كان والدي هنا في (النماص) في قرية زوجته لمرض والدها أي جدي، ولكن الوضع في (النماص) لم يكن بأفضل من (أبها) وهنا تناقل الناس الأخبار بأن في منطقة تهامة الساحلية خير كثير وبإمكان المرء الذهاب إلى هناك ليعمل ويسترزق لمدة شهر أو أكثر ثم يعود محملاً بالخير إلى أهله.

وهكذا فكر أبي مليّاً وقرّر الذهاب إلى (تهامة) ليسترزق، على أن يختار واحداً من أبنائه معه والبقية يبقون لرعاية أُمي وجدي لحين عودته، فوقع اختياره علي لقوة بنيتي وبراعتي في التجارة حتى وأنا في ذلك العمر الصغير فقد كنت في السادسة عشر فقط.

كانت عندنا حمارة اسمها (فِرَزَّة) حملنا مؤوننا عليها وثيابنا وحتى قدر الطبخ، وشددنا الرحال إلى (تهامة) والطريق المؤدي لها هو عقبة سنان ذلك المنحدر المخيف من فوق الجبل وحتى يصل إلى (تهامة) في أسفل نقطة، ف(النماص) مرتفع جبلي و(تهامة) العكس تماماً فهي منخفض ساحلي حار جوها.

مشينا وأخذ منا التعب مأخذه ولكن الحمارة صابرة فالله وهبها قدرة على الصبر، كنا أنا ووالدي نحتاج إلى الراحة فارتحنا قليلاً ثم أكملنا الطريق وفي منتصف المسافة لم تعد الحمارة الصبورة تطبق صبراً فتوقفت عن المشي فجأة.

حاول والدي حثها على المشي ولكن لا فائدة كان كمن يكلم صخرة.

جئتها كلمتها وضربتها على فخذاها ولكن شعرت وكأنني ربتُ عليها تربيئاً حنوناً فهي لم تتحرك قيد أنملة.



دفعتها من الخلف ووالدي يجرها من الأمام، وهي كأنها قد أقسمت اليمين المغلظ بأن لا تتقدم ولا خطوة.

كانت وكأنها قد تحنطت كتمثال حلت عليه اللعنة ولم يعد به حياة.
وأسقط الأمر من يدنا وفكرنا بذعر كيف نتصرف باقي الطريق بدونها؟!
ولكن والدي قال برصانة:

-«لا حول ولا قوة إلا بالله، لن نضربها، فلتبقِ حيث اختارت أن تبقى، فإما أن تعود أدراجها أو تأكلها سباع الأرض».

قلت لوالدي في حيرة :

- «وماذا نفعل بمؤوننا؟».

رد والدي مقطبًا جبينه:

- «لنأخذ ما نحتاج إليه بشدة ونترك الباقي فلا طاقة لنا على حمل كل شيء،
والله المستعان فالطريق متعب بدون أن نحمل متاعًا فما بالك بعد أن يزداد
العبء علينا».

أخذنا المؤونة المهمة وتوكلنا على الله وأكملنا طريقنا تاركين حمارتي (فِرْزَة) التي
كنت أحبها خلفنا حيث اختارت أن تبقى كتمثال في الأرض.

بعد مسافة طويلة رأى والدي أرنبًا وبراءة رهيبة استطاع أن يرميه بخنجره
فأصابه وهكذا ضمنا عشاءنا، فقال لي بعد أن ذبح الأرنب وسلخه:

-«أحضر القدر يا (أحمد)».

رددت عليه قائلاً:



- «مع حمارتي (فِرْزَة)».

هتف والدي بحنق:

-«تركته مع الحمارة ولم تحضره».

قلت له مدافعاً :

- «أنت قلت أحضر المهم فقط».

-«لا حول ولا قوة إلا بالله فإذا ن سَأشويه، أحضر لنا مجموعة حطب».

بعد العشاء قال والدي:

-«لنكمل طريقنا ولكن الظلمة قد اشتدت لذا هات الفانوس لنشعله».

امتعض وجهي عندما بحث عنه ولم أجده.

هتف والدي بحدة :

-«أين الفانوس يا ولد؟».

قلت بحرج:

-«مع حمارتي (فِرْزَة)».

بسخط هتف:

-«حسبنا الله على هذه (الفِرْزَة) ماذا جلبت معك أصلاً؟».

همست برهبة قائلاً:

-«كل الخير يا والدي كل الخير».

أَكْمَلْنَا طَرِيقَنَا بِدُونِ قَبَسٍ حَتَّى وَصَلْنَا أَخِيرًا إِلَى (تَهَامَةِ)، حِينَهَا فُجِرَتْ وَكَنْتُ أَظْنُهَا أَنْ لَا تَفْرَجُ، جَلَسْنَا وَارْتَحْنَا عِنْدَمَا انْتَهَتْ رَحَلَتُنَا لِنَسْتَجْمَعَ أَنْفَاسَنَا.

فَقَالَ وَالِدِي لَاهُتًا :

- «الحَقِيبَةُ المَصْنُوعَةُ مِنَ القِمَاشِ الأحمرِ هَاتَهَا ففِيهَا عَنَوَانُ ابْنِ عَمِّ وَالِدَتِي السَّاكِنِ هُنَا».

تَصَبَّبَ العَرَقُ مِنْ رَأْسِي وَمَدَدْتُ يَدِي لَوَالِدِي بِحَقِيبَةِ خُضْرَاءَ، قَالَ وَهُوَ يَشِيرُ بِيَدِهِ رَافِضًا:

- «لَا لَا الحَمْرَاءَ».

قُلْتُ لَهُ مَدْعِيًّا عَدَمَ أَهْمِيَةِ المَوْضُوعِ:

- «هَذِهِ الحَقِيبَةُ أَهَمُّ ففِيهَا مَالُنَا وَثِيَابُنَا».

هَتَفَ وَالِدِي بِمَلَلٍ:

- «يَا وَلَدِي قُلْتُ لَكَ الحَمْرَاءَ، الحَمْرَاءَ».

قُلْتُ بِبِلَادَةٍ:

-«مَعَ حِمَارَتِي (فِرْزَةٍ)».

هَنَا صَاحَ وَالِدِي بِغَلٍّ:

-«تَبًّا لَكَ وَلِحِمَارَتِكَ (فِرْزَةٍ)».

وَمِنْ يَوْمِهَا كُنَّا إِذَا لَمْ يَعْجِبُنَا أَمْرًا وَنُرِيدُ أَنْ نَرْمِيَهُ وَرَاءَ ظَهْرِنَا نَقُولُ:

-«مَعَ حِمَارَتِي (فِرْزَةٍ)».



العجيب أصبح أصدقائي وأقاربي يستخدمونها كمثل معروف:

- «مع حمارتي (فِزْرَة)».

ناس ضايقوك ولم تعد تريد أن تهتم بكلامهم تقول:

- «مع حمارتي (فِزْرَة)».

زوج طلق زوجته وتريد أن تصف عدم مبالاتها بالأمر تقول:

- «مع حمارتي (فِزْرَة)».

ومرت السنين، ونسوا بأنه أنا من أطلق هذه العبارة:

- «مع حمارتي (فِزْرَة)».

وكان (فِزْرَة) ببقائها كتمثال محنط قد هيأت نفسها لتكون معلماً يضرب به المثل.

والآن يا أبنائي اتركوا الهموم وراءكم ولا تلقوا لها بالاً «ومع حمارتي (فِزْرَة)».



انفجر الجميع من الضحك، فبعد قصص مرعبة جاءت قصة (فِزْرَة) لتفجر ينابيع الضحك من صدورهم التي عرفت الغم لفترة طويلة، وقالت (منى) من بين ضحكتها:

- «والدي لطالما استخدمت عبارة "مع حمارتي (فِزْرَة)" ولم أكن أعرف بأنك أنت من أطلق هذه العبارة بناء على قصة حدثت لك، وإذ ب(فِزْرَة) حمارة حقيقية».

أجاب والدها برقّة قائلاً:

- «كانت يا ابنتي كانت، فالله وحده العالم ما الذي حدث مع (فزرة)».

قالت (منى) مواسية:

-«أووّه لا تفكر في ذلك يا والدي فمصيبرها حدث وانتهى مهما كان لا تحزن و
«مع حمارتي (فزرة)».

انفجروا جميعاً ضاحكين من جديد حتى قال والدهم:

- «والآن الساعة الثالثة وقد أتعبنا طريق السفر هيا لنذهب إلى النوم ونرتاح
فالجو اشتدت برودته».

أيدته (جميلة) قائلة:

- «نعم معك حق فلقد نفدت جعبي من الأساطير والحكايات».

نهضت مع زوجها وقالت لأبنائها :

- «أعيدوا كل شيء إلى الداخل، لا أريد أن تغضب جدتكم إذا وجدت الأشياء لا
تزال في الحديقة».

أطاعوها فبدأ (فيصل) في حمل السجاد ثم دخل إلى المنزل خلف والديه، تبعته
(عبير) بحمل صينية الشاي قائلة (لمنى):

- «أحضري المساند».

أطاعتها فوراً فوضعت المسندين فوق بعضهما وحملتهما ومشت
بخطوات بطيئة لكي لا تقع منها، بينما سبقتها (عبير) إلى الداخل فبقيت لوحدها
في الحديقة في هذه الساعة المتأخرة من الليل، في بيئة مغمورة بالقصص والأجواء
المخيفة، ولكنها تجاهلت خيالها الواسع وركزت على خطواتها لكي لا تقع
المساند.



ولكنها رأت.

نعم رأت بوضوح تحت أشجار التين التي تملأ الحديقة جنًا قصار القامة بنفس المواصفات التي تراها للجن من حيث ملامح الوجه، ولكن الغريب هي أقدامهم! فأقدامهم أشبه بأقدام الأرناب كبيرة الحجم إذ تتناسب مع أحجامهم، وقد كانوا يحدقون بها إذ كانوا ضيوفاً في مسرح قصص والديها وسمعوا كل الأساطير.

ابتلعت ريقها وأشاحت بعينها وذكرت اسم الله، ورغم الفجوة والصراع الذي بينها وبين (جَمْنُون) إلا أنه كلمها قائلاً محذراً:

- «ادخلي بسرعة فهذا النوع مشاغب ولا أريد أن أعطي الأمر لحراسي أن يقتلوهم في حال تناولوا عليك، فجن القرى والبادية متهورون وهمجيون غير راقين».

دخلت المنزل بسرعة، وسمعت (جَمْنُون) يهمس برجاء:

- «مهما آذيتي بالزيت الذي تدهنيه على جسدك الناعم فأنا لأزال أحبك وأحذرك من الشر، وقد سمعت بنفسك أن هناك قصص عن حب الإنس والجن بل عن الزواج أيضاً، فكفاك عناداً ولننهي هذه المسألة».

ارتعدت وهي تفكر كيف تتعامل مع هذا العناد؟!

قالت ببرود:

- «لم تكن بيننا مسألة بدأنها حتى ننهيا فاتركني لحالي وارحل».

همس بأوتار غاضبة مهزوزة:

- «لا لن أرحل».

هتفت بقهر وبصوت باك:

-«إذن لا تكلمني ابداً».

وضعت المساند على الأرض وركضت لتنضم إلى أسرتها ودفنهم حتى تستطيع النوم بدون كوابيس تلك الليلة الأسطورية.



12

حياة جديدة

قد نضطر لبدء حياة جديدة متأملين
 السعادة أكثر، وإن كنا لا نعلم هل
 هي أفضل من سابقتها ! أم أن الماضي
 يطاردنا في صفحات أيام تقويمنا
 الجديدة، وسيظل مسيطراً ومهيماً
 علينا كجاثوم يجثو عنوةً على صدورنا.

الرؤيا

رجعت الأسرة إلى منزلهم ب(أبها) وهناك بعدما صلى (احمد) صلاة الفجر في المسجد وعاد إلى بيته لينام، شاهد في منامه والده الشيخ الجليل (عبد الله) واقفاً يصلي، احترم (احمد) انشغال والده بالصلاة وجلس ينتظره، وعندما انتهى من صلاته التفت نحو ابنه ثم أشار لبقعة تقع خلفه، وعندما نظر (أحمد) خلفه شاهد منزله والظلمة تحيط به وتملأه، ثم نظر نحو والده مصعوقاً من منظر بيته المخيف، سمع والده يقول:

- «أخرج من أرض البلاء».

سأله (احمد) بارتباك:

- «أخرج إلى أين؟».

نهض والده ومشى جهة الغرب وأخذ يشير بيده جهة الغرب وهو يهتف قائلاً:

- «الغربية إلى الغربية».

مشى ولم يعد (احمد) يراه ثم نهض من منامه فجأة وعقله يسترجع تفاصيل منامه بالكامل، والده الميت يزوره في المنام ليطلب منه أن يرحل عن بيته الذي وسمه بوصمة البلاء، وأمره أن يرحل إلى الغربية أي منطقة مكة (جدة- الطائف - المدينة المنورة - مكة) وما جاورها.

زفر بغم وهو لا يستطيع أن يتخيل نفسه يترك بيته، وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يهمل نصيحة والده الميت والذي لم يره منذ سنتين في منامه والآن زاره ولأجل ماذا ؟

لأجل تحذيره؟



فهل الأمر خطيرًا إلى هذه الدرجة ليكون بلاء عليه ؟

لم يستطع النوم وهو يتقلب ويفكر ويسترجع ما واجهته زوجته من تعب ومرض، وما قاله الشيخ الذي زارهم، وما قاله والده له في الحلم، تذكر ابنته (عبير) والحزن الذي على وجهها.

تذكر الليالي التي تتسلل فيها (منى) لتنام في غرفته والخوف على وجهها دون ان تعرف بأنه يراها ويدرك وجودها ، تذكر ..

وتذكر ..

وتذكر ..

ربط الأحداث مع بعضها وتأمل...

نهض آخر الأمر وصلى صلاة الاستخارة، وبعد محاولات عدة استطاع النوم ليشاهد والده مرة ثانية يجلس على ربوة خضراء ويتسم إلى ابنه ويقول:

-«الخير في الغربية».

قال له ابنه بحسم:

- «كما تريد يا والدي».

فتح (أحمد) عينيه وقد أدرك بأن الجواب على الاستخارة قد وصله وهكذا عقد العزم لأجل أسرته، ولأنه لا يعلم الغيب إلا الله الذي أرسل له هذا المنام لتحذيره لأجل كل من يحبهم أكثر من ماله، قرر أن يرحل من (ابها) ويترك هذا المنزل الذي طالما أحبه إلى الأبد، واتجاهه سيكون نحو الغربية إلى مدينة (جدة) عروس البحر الأحمر.

(جدة) التي بدأت تجارته فيها وازدهرت، والتي يبدو بأنه سيعود إليها وإلى الأبد، ويستقر مع أسرته وأخوته وابنائهم وبناته، هناك مع أعماله المزدهرة.

وهكذا ستبدأ صفحة جديدة في حياة الأسرة التي أصبح أفرادها لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة.

حياة جديدة لعلها تكون أفضل كما تمنى (أحمد).

وكما أخبره والده (عبد الله) في المنام.

وبرغم أن الأسرة تفاجأت من قراره المفاجئ، إلا أنهم فرحوا للخلاص وجعلوا شغلهم الشاغل تجهيز أنفسهم إلى الرحلة التي قد سبقهم إليها (عبير) وزوجها الذي انتقل أخيراً إلى (جدة) ليكون مع عائلته، وكذلك (حسين) الذي يرغب قبل الجميع في الهرب من هذا المكان المشؤوم.

في (جدة) كانت (عبير) وزوجها يجهزان البيت الجديد استعداداً لحياتهما الجديدة، وهي سعيدة لأن عائلتها ستلحق بها إلى هذه المدينة الغالية، وبعد تنظيف شقتها الجديدة بثلاثة أيام وضعت رأسها على وسادتها واسترجعت أحداث الفترة الماضية، كيف أنها كادت أن تنفصل عن زوجها.

تذكرت ساقها التي تنتفض وترتجف كلما أرد زوجها معاشرتها، وتذكرت شعورها بالضيق كلما بعدت عن بيت عائلتها، والآن هي بالفعل تبعد عن ذلك البيت مئات الكيلومترات ولذا تشعر بضيق شديد كسمكة خرجت من البحر.

أغمضت عينيها وفي منامها رأت ذلك الشيخ الذي خدعها وادعى بأنه ملاك ولكنه كان عفريتاً جباراً، وقد انتقم منها بأن جعل زواجها جحيماً، وكان يكره بعده عن بيته وعشيرته وأرضه، والآن ابتعدت عن ذلك المكان فماذا سيفعل بها؟

لم يطل تساؤلها إذ نظر نحوها بعينين حادتين وقال بصوت يجفف الدماء في العروق :



- «لقد ذقت غضبي وويلاتي، ولكن نداء عشيرتي يناديني، وما ذقته مني كفيل بأن لقنك درسًا لن تنسيه، فلا أحد أقوى مني، ولا أحد يجرؤ على رفض أوامري، ولتبقى ذكرى عذابي راسخةً في ذهنك ما حييت».

رعدة قوية آلمت بجسدها جعلتها تجفل من نومها مذعورة، وبرغم ظلمة الغرفة إلا أن ضوء الممر كان كفيلاً بأن يجعلها ترى بوضوح ما يحدث أمامها، فمن إصبع قدمها التي شعرت بها ترتجف وبألم كدبابيس تخرج من لحم إصبعها الاتهام نحو الخارج، رأت سحابة من دخان تخرج من إبهامها متزامنةً مع ألم القطع الذي شعرت به، بعد ذلك اكتمل خروج الدخان مخلقًا ورائه حرارة في إصبعها والدخان يطير في الهواء أمامها حتى تشكل بهيئة الرجل الشيخ أي الوزير (شياط). التفت نحوها فارتجفت، بعد ذلك ولاها ظهره وطار فجأةً خارجًا من غرفتها ثم اختفى.

لم تصدق عيناها ما رأت، لقد خرج منها الوزير (شياط) ليس رحمةً بها بل لأن الوزير يرغب برعاية عشيرته بشكل مباشر، كما أن السكن في إنسية أمر لا يحبه، فخرج ليعود إلى عشيرته التي يحكمها.

جسدها منهك وكأنها سقطت من بناية شاهقة ولكنها رغم ذلك شعرت بالخفة، وارتياح عجيب غمر صدرها، فابتسمت ونامت بسرعة في هناء ووداعة الأطفال.

وهكذا شفيت (عبير) بدون تعب ورجاء وكانت محظوظة بذلك.

محظوظة للغاية، والحياة أصبحت طبيعية وسعيدة مع زوجها في بيتها الجديد بمدينة (جدة) الساحلية المضيئة.

آخر يوم للأسرة المنكوبة في منزلهم الجميل ب (أبها) المنزل الذي بناه (احمد) ممزوجًا بأحلامه وأمانيه، في مدينته التي يعشقها ويعتز بها.

في السيارة التي تقلهم إلى المطار حُدج البيت بنظرات حزنٍ ووداعٍ دفينين في قلبه المكّوم.

لم يصدق بأنّه راحل عنه وأشياؤهم في الصناديق تنتظر فقط أن ترسل خلفهم إلى (جدة) إذ سيُشرف عليها ابنه (حسين) ثم سيلحق بهم، ولولا تلك الرؤيا التي رآها في منامه لما استسلم وترك منزله الحبيب الذي لم يتمتع بعودته إليه والسكن فيه إلا خمس عشرة شهرًا .

تحركت السيارة واشترأت الأعناق نحو المنزل الذي بقدر ما أحبوه بقدر ما خشوه.

رأت (منى) بعينين مذعورتين العفاريات يتطايرون سعادة لرحيل الأسرة من بيتهم، وشاركهم السعادة (جَمُنُون) الذي تنهد بارتياح:

- «وأخيرًا سأبتعد عن الوزير (شياط) إنه الآن موجود في ذلك المنزل فقد خرج من (عبير) فهو لا يحتمل البعد عن رعيته، الآن ارتحت منهم جميعًا، وأخيرًا أنا وأنت معًا إلى الأبد بدون رقيب ما عدا حراسي وخادمي الشخصي الذين أثق فيهم، و(جُنّياه) ولكنها على الأقل لا تقوى على شيء ضدي».

زفرت (منى) بقهر وردت عليه ساخطة :

- «لن تؤذيك ولكنها ستؤذي والدتي، حمدًا لله على خلاص (عبير) من (شياط) ولعل (جُنّياه) تعود إلى والدها بعد أن صفى لهم الجو بدوننا وتتخلص والدتي من أذاها، وأنت كم مرة أخبرتك بأن لا تكلمني».

رغم نبرة الغضب في صوتها إلا أنه لم يرد عليها، فهو سعيد الآن سعادةً شعرت بها في قلبها الذي أخذ ينبض فرحًا رغم عدم فرحتها هي بالرحيل، فهي وإن شعرت بالخلاص من عفاريات الجن إلا أنها تشعر بالحزن لخروجهم عنوةً وغضبًا عنهم من ذلك المنزل ومن هذه المدينة، فلم يكن لديهم خيارٌ آخر.



والآن سيبدؤون حياة جديدة في (جدة) الندية التي أيضًا تحب وتهوى، والتي يسكن فيها حبيبها (وليد).

كم تتمنى من الله أن تكون أيامهم في (جدة) أكثر هناءً وسعادةً من أيامهم الغبراء التي عاشوها في منزل (أبها).

همست في سرها مشجعة لنفسها :

-«يا أيامنا الماضية لن أفكر فيك بعد اليوم» ومع حمارتي فزرة».

ما أجمل منزلهم هنا في (جدة) فكم تملأه الذكريات، فهو أيضًا فيلا أنيقة كمنزل (أبها) ولكن بها عبق ذكريات سعيدة لم ينغصها جني واحد بعكس ذلك البيت، ونسمات هواء (جدة) المحملة برائحة البحر والرطوبة تجعل للمكان سحره، فيلا أنيقة في حي الزهراء، ووجه الاختلاف بينها وبين منزل (أبها) أن (أحمد) اشتراه جاهزًا ولم يصممه كمنزل (أبها) إلا أن لهذا المنزل نصيبة من الجمال فهو مصمم بطريقة جميلة محببة إلى النفس، فنوافذه من الروشان الطريقة التقليدية لبيوت الماضي في المنطقة الغربية، ولهذا الأسرة تعشقه ففيه راحة نفسية وطمأنينة لم يشعروا بها في منزل (أبها).

وهكذا بدأت حياتهم الجديدة في (جدة) بينما منزل (أبها) الخالي الآن من أي أثاث قد عرضه (أحمد) للبيع رغم حزنه الشديد إلا أنه توكل على الله وعزم على بيعه بعد أن تركه وراءه.



تجربة عجيبة

استقرت الأسرة أخيراً وهناك بدأت رحلة العلاج بأمر من الوالد (أحمد) الذي قرر أن تذهب زوجته إلى شيخ قارئ معالج معروف في (جدة) ثم قال:

-«(مها) ايضاً ستذهب ف (حسين) مصر على معالجتها فهي مريضة و بحاجة إلى الذهاب».

وأمام عيني الوالد الحزینین رأى ابنته وأيقونته الصغيرة (منى) تقف وتتقدم والخلجل يعلو وجهها.

بوجه علاه الحزن طأطأ رأسه موافقاً ولم يعقب حتى لا يخرجها أكثر.

يوم عصيب على الثلاثي المريض، مرضٌ روحي (جميلة) و (منى) و(مها) انطلقن مع (حسين) إلى ذلك الشيخ المعروف.

إحساس غريب ألمّ ب(منى) مزيجاً من الرهبة والفضول والقرف، كل تلك المشاعر كانت تعتمر في صدرها، المكان مكتظ بالناس، والجو مليء بالرهبة والاضطراب، وداخل كل هذا سارت (منى) متأبطة ذراع (مها) وكلتاها مرتبكتان، أما (جميلة) فكانت طبيعية تسمي وتذكر الله وتحرس ابنتها وزوجة ابنها وهي تهمس لهما محذرة:

- «لا تكشفوا عن وجهيكما الجميلين ، فالجن يعشقون البشر أحياناً، ابقيا متلثمتين وحبذا أن تضيقا الفتحة على أعينكما الواسعة الجميلة طأطأتا برأسيهما موافقتين».

جلسن على الأرض وطاولة في المنتصف ممتلئة بقوارير الماء، والزيت الزيتون والعسل الصافي، وعسل مخلوط بالأعشاب.



كان هناك نسوة يعملن مع الشيخ يدرن بين النساء المريضات ويوزعن على بعضهن -ممن شخص حالتهن الشيخ من قبل- قوارير بها ماء ممزوج مع شيء غريب وذلك الشي عبارة عن عسل وأعشاب، وكل ذلك مغلف بذكر الله، وتلك القوارير كانت مخصصة للمسحورات بسحر مشروب.

القراءة لم تؤثر فيها فقط بعض التنميل، فأدركت أن السبب هو (جَنُون) الذي يتحمل القراءة بعكس باقي الجن الذين علا صياحهم، ونفس الحال بالنسبة ل(مها) ووالدتها، فكرت (منى) لوهلة ماذا لو تكلم (جَمُون) على لسانها وصاح وحينها لا تستطيع السيطرة على نفسها، أي حرج هذا الذي لا تستطيع إخفاءه؟ ولكن ذلك لم يحدث معها عندما قرأ عليهن الشيخ في (أبها) فهل سيحدث هنا؟ تسلل صوته حزيناً إلى عقلها قائلاً :

-«أنا عفريت ولا أضعف واستسلم بسهولة، لن أتكلم على لسانك كأني جني إلا بإرادتي.. ف... فأنا أستطيع أن أسيطر على نفسي».

أجفلت (منى)، فهو كأنه شعر بمخاوفها وطمأنها، إنها تشفق عليه أحياناً، إنها تحبه ولكنها قاومت هذا الشعور، وستكمل العلاج مهما شعرت بالتردد.

حانت اللحظة الحاسمة عندما أخذن المساعدات يقدن النساء واحدة تلو الأخرى لتجلس على كرسي أمام الشيخ فيقرأ عليها ويشخص حالتها والنساء يشاهدنها من بعيد ولا يسمعن كلماته.

تقدمت (جميلة) فخافت عليها (منى) من (جُنْيَاه) وما يمكن أن تفعله عند قراءة الشيخ عليها .

ولكنها تدرك بأن (جُنْيَاه) عفريته قوية، لذا لم تتكلم على لسان أمها ولن تفعل.

غريب أمر والدتها الثابتة والهادئة!

أمسك الشيخ برأس والدتها وأخذ يقرأ وأمها ثابتة حتى انتهى وقال لها:
- «هل شعرت بشيء عند قراءتي عليك كضيق في الصدر أو ألم؟».

اجابت أمها بثبات:

- «لا .. كنت أشعر بذلك عند سماع القرآن سابقا ولكن الآن لا شيء».

ابتسم الشيخ وقال لها:

- «أنت سليمة ... فلو كان بك شيء لشعرت به ما بعد قراءتي عليك، لعلك
كنت مريضة وشفاك الله».

انتفض قلب (منى) في صدرها وتذكرت ما فعله (شياط) عندما ترك (عبير) لأنها
انتقلت إلى (جدة) وعاد هو إلى الجنوب، فلعل (جُنَّيَاه) احتذت بوالدها، ابتسمت
في فرحة، وهنا جاء دور (مها) وما أن قرأ الشيخ عليها حتى داخت، فرششن
المساعدات الماء على وجهها بعد أن أبعدن اللثمة فلما استعادت توازنها، قرأ
عليها الشيخ مرة ثانية فانتفض جسمها بأكمله ولكن (غدفان) لم ينطق على
لسانها، كيف لا وهو مارد.

شخص الشيخ حالتها وقال بوقار:

- «إن من يسكن جسدك مارد ولذا لم يصرخ ويضعف ولكن كلام الله أقوى من
كل العفاريت والشياطين والجبابرة».

وعندما جاء دور (منى) همس لها (جَمُنُون) بألم وقال:

- «قابلت حبي وعشقي بالجور والعدوان، فاقتليني ألف مرة واحرقيني بآيات
القرآن فلا مناص مني، وفوق هذا كله أنا أحبك ولا أعبأ بأساليبك».



أمسكت بها العاملة وقادتها إلى الشيخ الذي أمسك برأسها وأخذ يقرأ عليها كانت تشعر بتمنيل في أطرافها.

سألها الشيخ بماذا تشعر؟ فأجابت ببعض التمنيل فقال لها ما تعرفه مسبقاً:

- «انتِ مسكونة بمارد او عفريت».

وهكذا انتهت التجربة بأن خرجن وفي جعبتهن قوارير الماء، وزيت الزيتون والعسل المقروء عليه آيات من الذكر الحكيم، وورقة بطريقة الاستخدام بالإضافة لشريط تسجيلي لآيات الرقية الشرعية بصوت الشيخ، وذكريات لا تنسى عن معاناة البشر الأسرى المخلوقات الجن.

في المنزل نظرت (منى) بحقد نحو قواريرها، لم تكن هي من تنظر بغل لها ومع ذلك بدأت العلاج بالماء المقروء عليه تخلطه بالعسل المقروء عليه في كأس ثم تشربه، وبعدها تغسل كامل بدنها بالماء المقروء عليه ثم تدهن جسدها بزيت الزيتون المقروء عليه، ثم ترتدي منامتها وتنام على صوت قراءة الشيخ في المسجل، مرت ثلاثة أشهر هي فترة الإجازة الصيفية على هذه الحالة، والنتيجة بعد حرارة الجسد شعرت (منى) بالراحة فلم تعد ترى أي أحد من الجن، وأحلامها طبيعية، لا يوجد فيها (جَمُون) ولا أي كوابيس أخرى، لم تعد تسمع صوته أو تحس بوجوده في بدنها، حقاً إن قدومهم إلى الغربية غير حياتهم فحتى والدتها لم تعد تشكو من الصداع، وعندما بدأت الدراسة في مدرسة جديدة وعالم جديد وصديقات جدد لاحظت (منى) الفرق، فذهنها صافي للدراسة ولم تعد لها علاقة بالعالم الآخر، وهكذا أدركت بأنها شفيت وبأن (جَمُون) خرج من جسدها رغم عشقه وعناده، فكرت أين هو؟ ربما يكون عاد ل(جُنيّاه) أو يكون يحوم حولها من بعيد يراقبها ليستغل لحظة سانحة فيعود إليها ويسكن جسدها، ولذا حافظت على أذكار الصباح والمساء، جاعلةً شريط الرقية يعمل طول فترة نومها، لم يعد هناك عاشق عفريت يكلمها، لم تعد عينها تكشفان المحجوب حتى وإن احتفظت بحاستها السادسة واستشعارها للأماكن المسكونة التي هي هبة من الله

قبل أن يدخل (جَمْنُون) جسدها، لم تعد تتعب وتشعر بدبيب نمل على أطرافها، أصبحت طبيعية، وهكذا عاشت (منى) بسعادة رغم شوقها لأحاديثه وله بين فترة وأخرى.



وعاشت للحب

تنهدت (منى) وهي تتذكر حبيبها (وليد) لمساته الحانية، وكلماته الساحرة ونظراته الدافئة، كم تشتاق لرؤيته، ولكن كيف؟

البيئة في السعودية محافظة، والنساء منفصلات عن الرجال في أي اجتماع، ولولا الصدف التي جمعتها معه لم تكن لتتعرف عليه وجهًا لوجه، والصدفة تبقى صدفة وقد لا تتكرر.

كم تمنيت لو كان الحاضر مثل الماضي فنساء الماضي متحجبات تبرز وجوههن غير المتبرجة، ويعملن يدًا بيد مع الرجال في المزرعة، ويجتمعن معًا ولكن النساء في جهة، والرجال في الجهة المقابلة يشاهدون بعضًا ويحدثون بعض ، ولذا زيجاتهم ناجحة وتدوم طول العمر، والأرملة والمطلقة تتزوج من جديد وبسرعة ومن عازب، فشعلة الحب مشتعلة والتفاهم والاحترام يفرضان نفسيهما، ولكن الآن فتيات لهن شخصيات رائعة حبيسات في بيوتهن لا يعرف عنهن الشباب، فالأم تختار لابنها على ذوقها بينما قد تكون ضالة الشاب من حيث الشكل والفكر في بيت ما وهو لا يدري.

ولو كانوا مثل الماضي لاستطاعت رؤيته بكثرة والاحترام يغلف رؤيتهما لبعضهما بالحشمة والأدب وعذوبة الحب.

حفل كبير سيكون في بيت زوج (سمية) (خالد) حفل للاحتفال بحمل (سمية) إذ سيكون طفلها أول حفيد لتلك الأسرة، وأخيرًا تستطيع (منى) على الأقل زيارة المنزل الذي يعيش فيه والذي تملأه أنفاسه، المنزل الذي كانت حديقته مهد غرامهما الأول.

بيت رائع ذلك الذي يسكنه (وليد) مكون من طابق واحد كبير وفي حي الشاطئ

الساحر، كان يقام فيه حفلة راقية بمعنى الكلمة، ولم يكن بها ضيوف كثيرون بل كان العدد مقتصرًا على عائلة (سمية) و(خالد) وبعض الأقارب، وهذا جعلها أجمل إذ بدت الزينة خلابة وقوالب الشكولاتة ساحرة والموسيقى تملأ الأجواء، والحديقة مضاءة بقناديل انتشرت على أشجارها حفل أنيق وخلاب، و(منى) فيه تختال كفراشة بثوبها الطويل بلون الكريمة، التصق على جسدها الغض الرشيق، وشعرها الطويل ملفف كالسلاسل (ويفي) على ظهرها وحول كتفيها العاريين اللذين يلتف الفستان حولهما ويلتقيان طرفهما بين نهديها المزيّنين بدبوس على شكل وردة الأوركيد ذهبي اللون، ووجهها مزين بماكياج بلون المشمش والذهبي، وبكعبها العالي الذهبي سارت في الأروقة الرخامية قاصدة غرفة (سمية) أي غرفة (خالد) سابقًا، والتي بقيت له في حال رغب وزوجته النوم عند عائلته وليس في بيتهما الخاص، وكانت (سمية) قد أرسلتها إلى غرفتها لتعيد أسورتها التي سقطت على الرخام وانكسرت، وفي طريقها أخذت تشاهد اللوحات الزيتية الجميلة ومن باب جانبي لم تكن تدرك وجوده خرج (وليد) فجأة.

هل توقف الزمن؟ أم أنهما شعرا بذلك، ولولا نبضات قلوبهما السريعة لظنا بأن كل شيء توقف عند هذه اللحظة.

كانت تلك غرفة (وليد) التي دخلها ليستخدم حمامه الخاص وأعاد هندمة نفسه وكان خارجًا ليعود لحفل الرجال لولا أن رأى حبيبته التي لم ولن ينسى ملامحها الجميلة، إنها هنا أمامه (منى) الغالية والأثيرة .

شهقت بعد أن استوعبت الأمر وخشيت أن يظن بها سوءًا كأن تكون تعمدت القدوم إلى غرفته وكأنها بلا أخلاق فقالت بارتباك تبرر لنفسها :

- «أ.. أسفة كنت ذاهبة إلى غرفة (سمية) و (خالد) أنا .. أنا».

رجعت إلى الورا عازمة على الهروب ولكنها اصطدمت بالطاولة البنية الفاخرة والتي تحمل مزهرية من الفخار الفخم والغالي و... وذات الحجم الكبير إذ يبلغ



طولها مترًا، وكانت ستقع على رأسها لولا أن اندفع (وليد) بسرعة البرق ليقف سقوط المزهريّة بكلمات يديه فتوقفت عن السقوط، ولكنه اكتشف بأن (منى) الآن محصورةً بين ذراعيه، أنزل عينيه نحوها فالتقت بعينيها المتفاجئتين، للحظة لم تصدق نفسها كيف أن الأقدار تجمعهما معًا بطريقة حميمة، فهي الآن بين ذراعيه وتشعر بأنفاسه، وتشم عطره، ولا يفصلها عنه سوى بضع سنتيمترات، أي موقف حرج وجميل هذا الذي هي فيه، فبرغم الحرج إلا أن السعادة طرقت قلبها بطرقات قوية عالية أعمت بصيرتها ولم يعد بصرها يرى سوى الحبيب الذي طالما تاق قلبها إليه وهي تتخيله وتحلم به ليلاً ونهارًا.

أما (وليد) فقد شعر بالوهن في عظامه، ومفاصله، وأنفاسه أخذت تتسارع مع دقات قلبه العاشقة، فأمرته الجميلة بين ذراعيه سليمة معافاة... وقريبة.. قريبة كفاية ليميز رائحة عطرها، ليشعر بأنفاسها تداعب صدره وعنقه، ليرى لمعة عينيها البندقيتين مع إضاءات الثريا المعلقة فبدت تتلألأ وكأنهما شعلتان من نار وشفتيها بدتا كثمرة مشمش تمنى لو يقطفها بشفتيه، راودته تلك اللحظة رغبة عنيفة بأن يقبلها ولم لا؟

اليس حببته؟ وهي له ولو طال الزمان فقد أقسم أن لن ينالها رجل غيره.

هل غاب العقل والوعي؟

هل غاب سكان المنزل وضيوفه؟ وأصبح المنزل خالٍ إلا منهما.

لماذا قوة كالمغناطيس جذبت شفتيه إلى شفتيها وعينيها إلى عينيها؟

في لحظة خاطفة شعرت (منى) بشفتيه الطريتين والدافئتين على شفتيها الرطبتين، في لحظة لم يستوعب عقلها بأن هذا التصرف ممنوع، لحظة كفيلة بأن تنسى العالم لأجلها.

شفتاه دافئتان تقبل شفتيها بنعومة، فأغمضت عينيها وكل حياتها وانفاسها
معلقة بتلك اللمسة التي تشعر بها على شفتيها.

قبلها على شفتيها بنعومة وعذوبة أشعرته بأن الحياة عذبة جميلة إلى درجة أن
شفتيه طالبتاه بالمزيد فأطبق على شفتيها بشوق كبير وقبلها بعمق بث فيه كل
غرامه واحتياجه لوجودها معه.

لحظة ساحرة أنستهما الزمان والمكان، لحظة اذابت حواس (منى) وجعلتها
تحلق في سماء من العواطف الملتهية، ولكن ناقوس الخطر رن في رأسها أن لا
تجعليه يتمادى ويعتقد بأنك سهلة المنال.

ناقوس مزعج كدر عليها جمال تلك اللحظة الآسرة.

لحظة الحب الصادق.

ولكن الاحترام وعزة النفس غلب لحظتها على رغبتها فأبعدت شفتيها كارهة
فراقه ومرغمة على التمتع، سحبت نفساً عميقاً وانسلت من تحت ذراعه لتهرب،
ولكنه في لحظة أمسك ساعدها وسمعته من خلفها يهتف متوجساً خيفة:

- «هل غضبت؟»

تساءلت بماذا تجيبه؟ فهي لم تغضب، بل إنها سعيدة تكاد تطير من الغبطة
والنشوة، كانت مرتاحة بأنه لا يرى وجهها المنفعل الآن وهذا ساعدها أن تقول
بأنفة:

- «ما كان عليك أن تفعل ذلك».

أجابها بوله ميزته في أوتار صوته:

- «هل تسامحين قلباً مشتاقاً انفجرت عواطفه عند رؤيته لمحبيبته؟ هل
تغفرين لعاشق سقطت عيناه على شفتيك؟».



اهتزت أعماقها لكلماته فأغمضت عينيها وارتعشت.

اقترب منها فشمت عطره وسمعته يهمس عند أذنها :

- «لست آسفًا عما فعلت فأنا أحبك وأنتِ لي إن عاجلاً أم آجلاً، وأرضى منك حكم القصاص الذي تفرضينه علي إن كان من يديك أو كلماتك، ولكن ليكن قلبك رحيماً بي».

صمتت إذ انعقد لسانها ولم يسعفها لترد، اقترب أكثر وهمس راجئاً:

- «أريحييني فلا أريد أن أخسرك بتهوري، هل غضبتِ مني؟».

قالت بصوت خجل لا يكاد يسمع:

- «سأغفر لك لأنك لم تقصد إهانتي بل قلبك الذي قاد تصرفاتك».

همس في أذنها مبتسماً :

-«قلبي ملكك، هذا وعد مني لك يا حبيبة قلبي (منى)».

هل كان يعلم بأن أنفاسه عند أذنها تعذبها؟

هل كان يعلم بأن همساته تذبجها؟

لعله شعر بذلك بحساسية العاشق، ولعله لم يدرك إلى أي حد هي مدلهمة في حبه بسبب الخجل الذي يمنعها من الاعتراف.

كم تمنى لو يحتضنها من خلفها ولكنه تمالك نفسه خوفاً من أن يجرها أكثر، فالعذراء دائماً يملكها الخجل، لذا ترك ساعدها على مضض وقال بصوت أجش:

- «كم أنا سعيد برؤياك تبدين اليوم جميلة كالعادة بل كل مرة انت اجمل من قبلها، لن أحجزك أكثر وإن كان يشق علي أن أتركك، إن غرفة (خالد) في الرواق

الجانبي، إلى اللقاء يا أيقونتي سأتركك اليوم مرغماً ولكني أدرك بأننا سنلتقي يوماً ما».

مشى من جوارها واختفى في هذا البيت الذي لا تعرف كل دهاليزه، فهرولت بسرعة إلى غرفة اختها التي دلها عليها فقد كانت ضائعةً بين الأبواب رغم وصف اختها السريع لها.

وعندما فتحت باب الغرفة أغلقته خلفها وارتمت أخيراً على السرير لتسترد انفاسها وتستوعب ما مر بها، حينها اسبلت عينيها وارتمت على شفتيها ابتسامة هناء بما ذاقته من لحظات حب ساحرة معه وريقه لا يزال يببل شفتيها .

بعد ربع ساعة عادت إلى مجلس النساء لتحضر الحفلة التي لم تعد تدرك منها شيئاً فعقلها وقلبها هناك مع ذلك الشاب الذي يجلس بدوره بين الرجال وعقله وقلبه معها .

اقتربت منها خادمة المنزل الفلبينية والتي ترتدي زياً خاصاً وقدمت لها كوب شاي بأسفله ورقة صغيرة، وابتسمت في لطف ثم قالت باللغة الإنجليزية:

«this letter is for you».

أخذتها مرتبكة وتظاهرت بالذهاب إلى الحمام وهناك فتحتها وقراتها وإذ فيها:

لا تحسبيني للوعد ناسي

الوقت بس ما سمح ليه

طول ليلي دايم أقاسي

بعذك وشوقي يفز بيه

أكتمه وصبري يشد باسي



وأَتخيل اللحظة الي نكون سويه
 نعزف فرحنا يا بعد ناسي
 تتمخطري وأنتِ عروس شهيه
 أكون لك من ساسي لا راسي
 وتكوني لي أغلى وأجمل هديه
 يا بعد قلبي ماني للوعد ناسي
 بس الظروف للقيا عصيه

ارتجفت نشوة لكلماته واحتضنت رسالته، ودمعت عيناها لشدة سعادتها
 وتآقت روحها للحظة التي تكون بالفعل عروسة وتنام في أحضانه، نظرت لرسالته
 وتدفقت الكلمات من قلبها فقالت وكأنها تخاطبه :

أنا لك وحبك في القلب راسي
 أموت فيك دامك تموت فيه
 ماني لغيرك لو يقطعون راسي
 لا والذي حطك في قلبي عطيه

قبلت الرسالة ثم وضعتها في حمالة صدرها لتجعلها قرب قلبها وعادت إلى
 أجمل حفلة حضرتها في حياتها.

ما أجمل أن تعيش حرة، تحب من تشاء وتفكر فيمن تشاء دون تدخل من الذي
 عشقها من العالم الآخر ، لا تريد أن تتذكره فهو أصبح صفحة من الماضي يجب
 أن تطويها، وتسطر لحظات جديدة في كتاب حياتها.

مضت بعد تلك الحادثة ثلاث سنوات تخللتها حياة جامعية وعالم مليء بالإثارة، فالدراسة والأصدقاء والمرح وانتهاء مرحلة المراهقة، ونظرة التفاؤل والأمل للمستقبل والحياة، كلها عوامل جعلت تلك المرحلة من حياتها ذكرى لن تنساها، كانت متفوقة في قسم علم النفس الذي تخصصت فيه، والعمران يطلبونها باستمرار للزواج وهي ترفض لأجل (وليد) حتى نغص حياتها قدوم ابن خالتها (سامي)، الذي كان يحبها منذ قديم الزمان وبالنسبة لها تنظر له باحترام ومعزة فقط لا أكثر، ولكنه اليوم جاءهم اتصال من والدته التي ترغب أن تخطبها له، ووالداها سعيدان بقدمه وهي لم تملك حجة لتصرفه عنها كما فعلت مع البقية، فتحججت بأنها ترغب أن تصلي صلاة الاستخارة أولاً وتفكر في الأمر، وكم غضبت من تأخر (وليد) ولكن ما بيده حيلة فهو يدرس الطب وهو الآن في السنة السادسة والأخيرة ويبدو بأنه يرغب بأن ينهي سنة الامتياز (التدريب العملي) التي تأتي بعد إنهاء الدراسة الجامعية لكلية الطب.

هتفت بحق:

- «تباً ألا يعرف كثرة الرجال الذين يتقدمون لخطبتي؟! لماذا لا يخطبني وبعد أن ينهي تدريبه يتزوجني؟! أم أنه نسيني؟»

شهمت بلوعة عندما وصل تفكيرها لهذه النقطة، وهي تتخيل بأن ثلاث سنين مدة كفيلة بأن يتغير فيها حال المرء وقلبه.

فكرت (منى) بقلب وجل هل الثلاث السنين الماضية أنسته حبها؟

ربما مال قلبه لإحدى طالبات الطب فأنسته عذب اللحظات القليلة التي جمعتهم معاً.

توترت كل خلية في جسمها وخافت بأن تكون تجري وراء سراب، وبأن العشق الذي تملك قلبها لن ينتهي كما تتمنى وأن مصيرها هو العذاب والحرمان.



ابتلعت ريقها بصعوبة وفكرت هل تصارح أختها (سمية)؟

لقد احتفظت بمشاعرها داخل قلبها طوال السنين الأربع الماضية، فهل تفضح مشاعرها الآن؟

وربما هو فعل بالمثل فكتم مشاعره داخله، فإذا لا فائدة من سؤال (سمية) عنه فهي لن تعرف شيئاً سواء عن مشاعره لأختها أم لغيرها.

أخذت تذرع غرفتها جيئة وإياباً وتفكر بشكل محموم حتى لمعت في ذهنها فكرة.

ستخبر (سمية) ولكن ليس عن مشاعرها نحو (وليد) بل بأمر خطبة (سامي) لها، وستطلب منها طلباً خاصاً أن تنشر الخبر في منزل عائلة زوجها وأمام (وليد) لتجس النبض.

فكرة مقبولة نفذتها فوراً إذا اتصلت على أختها وأخبرتها بعرض الزواج وبأنها تفكر فيه.

وعندما تعجبت أختها من رغبتها في نشر الخبر قالت لها بكل صراحة:

- «ألا تريدان أن أكون سلفتك «زوجة أخ زوجها» ونرتبط معاً بشكل أكبر؟» هتفت (سمية) بسعادة:

- «وااو يا ليت ولكن بمن؟ أعتقد (وليد) فعمره الأنسب لك، هناك (سعود) ولكنه يكبرك بثمانى سنوات أعتقد لا بأس في ذلك، أنتِ من منهنما تريدان لو كان بإمكانك الاختيار بحرية؟»

ردت (منى) مراوغة:

- «كلاهما ممتازان ولكن أعتقد (وليد) الأنسب فمن كلامك عنه أشعر بأنه

يناسب تفكيرى وطباعى»

فى قلبها وعدت (منى) نفسها بأنها ستخبر أختها حقيقة مشاعرها إن أصبح (وليد) زوجها.

وهكذا كان فقد تحمست (سمية) للفكرة فإن كانت عائلة زوجها مهتمة بأختها فهم بالتأكيد سيخبرونها خشية أن تذهب لرجل غير ابنهم.

وفى اليوم التالى ذهبت (سمية) إلى بيت عائلة زوجها، وعلى وجبة العشاء أخبرت أم زوجها و(أميرة) بأمر الخطبة فقالت أم (وليد):

- «إنها فتاة جميلة وعلى خلق من المؤكد أن الكل يرغب بها، كم تمنيت لو تكون لأحد أبنائى».

ابتسمت (سمية) وهى تفكر بأن هذا مؤشر جيد، فقالت وهى تسكب العصير:
- «إنها لم توافق بعد».

بعد ذلك بساعة فوجئت (سمية) بمن يناديها من خلف الباب وعندما ذهبت سمعت صوت (وليد) يكلمها بعصبية وارتباك من خلف الباب قائلاً:

- «هل حقًا ما سمعت من خطبة (منى)؟ ماذا تريد بـ(سامي)؟ أنا قابلته فى الجنوب إنه ثقیل الدم ولا يناسبها».

صدمت (سمية) ورغم ذلك شعرت برغبة فى الضحك وقالت:

- «ثقیل الدم ولا يناسبها! وهل تعرفها لتحكم بذلك؟!»

توتر وقال:

- «هى أختك فمؤكد أنها مثلك تحتاج إلى رجل مرح وبعيد النظره».



هل تشم رائحة الغيرة في صوته؟ أمّن الممكن أنه يحب أختها؟

قطبت جبينها عند هذه الفكرة وقالت بمكر:

- «وماذا تقترح؟»

قال بعصبية:

- «أن ترفض، أخبريها بأن ترفضه فهي تستحق شاباً أفضل منه».

عقدت (سمية) ذراعيها حول صدرها وتمنت لو ترى عينيه فتقيم مشاعره وقالت بدهاء:

- «مثل من؟ ف(سامي) شاب طيب ومجتهد، والأهم يحب (منى) منذ طفولتها، فمن هناك أفضل منه؟ صمت برهة ثم قال بحسم:

- «أنا .. أنا أفضل منه وأحب (منى) حبا لن يسعه قلبه لها».

شهقت (سمية) دهشةً فهذا أكثر مما تتمنى، أرادت اهتمامه فقط ثم شعرت بإعجابه بأختها، أما أن يكون يحبها! فهذا مالم يخطر في بالها، لذا قالت بدون تفكير:

- «منذ متى؟»

ابتلع ريقه وقال بخفوت:

- «منذ 4 سنين كتمت حبها في قلبي».

فكرت 4 سنوات هي المدة التي أمضتها تحمل اسم (خالد) منذ أن خطبها ثم تزوجها وإلى حد الآن.

استطرد (وليد) بقهر:

- «ولأن الطب دراسته طويلة يأتي شاب آخر أنهى دراسته في ٤ سنوات وحصل على وظيفته فيخطفها مني هذا ظلم، ربما كان يجب أن أخطبها لأضمن أن تكون لي ثم أنهى دراستي بقلب مطمئن».

صمت وبادلته (سمية) الصمت ثم بعد برهة قالت:

- «سأنقل مشاعرك لأختي وأرى أيا منكما تختار»

ابتسم في أمل وتمنى بأنها لاتزال تحبه كما في الماضي وقال بأمل ورجاء:

- «نعم أرجوك اذكري سمائي عندها فلعل الحياة تصور لها غيري الآن بشكل أفضل، أو لعلها تظن بأنني لن أتقدم لخطبتها، أخبريها بأنني لم أنسها ولن تكون لغيري».

ابتسمت (سمية) رغمًا عنها وقد فهمت كل شيء، فهما يبداون متحايين وأختها ما أرسلتها هنا لتجس نبض الأسرة بل لتثير غيرة (وليد) وتذكره بالحب القديم.
قالت له تطمئنه:

- «أعدك بذلك ولا تقلق فأنا في صفك».

ابتسم في راحة ثم شكرها وانصرف، أما (سمية) فابتسمت بلؤم وقررت أن تحصل على قصة غرام أختها كاملة وبطريقتها الخاصة.

عندما زارت (سمية) (منى) لم تخبرها بشيء مستمتعة برؤيتها متوترة ومترقبة حتى استسلمت وقالت لها بكياسة:

- «ما ردة فعل أم (خالد) عندما علمت بأمر الخطوبة؟»

ابتسمت (سمية) بمكر ثم قالت بلا اكتراث:

- «قالت ألف مبروك (منى) تستحق كل خير».



صمتت (منى) وشعرت بالخيبة ثم قالت ببرود :

- «الله يبارك فيها».

حاولت (سمية) أن تمنع ضحكة كادت تفلت من شفتيها وقالت:

- «حتى (وليد) كان مارًّا من جوار الغرفة صدفة وسمِعنا فقال «بلغيها تهنئي»».

هنا ارتجفت (منى) ولم تعد تستطيع المكابرة إذ اصفر وجهها ونشف ريقها وشعرت بقلبها يقع عند قدميها، في تلك اللحظة فرزت (سمية) وهتفت بأختها:

- «اصفر لونك، يا إلهي لماذا؟ إلى أي حد تطورت علاقتكما؟ ما عهدتك غبية!».

هتفت بغضب والدموع تسيل على وجنتيها :

- «لست غبية تَبًّا لك على أفكارك الوسخة ماذا ظننت بي؟ تَبًّا له هو أيضًا»

ضحكت (سمية) فشعرت (منى) بالغیظ من أختها قالب الثلج التي تضحك وهي تبكي، فرمتها بغيظ بالوسادة التي كانت بجوارها فتفادتها (سمية) ببراعة ثم قالت:

- «أخبريني أولاً كيف أحببتما بعضكما؟ ثم أخبرك بما جرى حقًا».

بدهشة سألتها (منى):

- «ماذا؟ كيف عرفت؟! فربما عرفتِ الآن بأنني أرغب به ولكنك قلتِ أحببتما بعضكما فكيف عرفتِ؟!»

ابتسمت (سمية) بمكر وقالت:

- «أولاً قصتك».

قالت (منى) برجاء:

- «أرجوك أنتِ أولاً فلا قدرة لي أن أحكي أي شيء حتى يطمئن قلبي».

ابتسمت (سمية) في محبة ثم قالت:

- «كلام معقول عند وجبة العشاء أخبرت عمتي بأمرك».

حكّت (سمية) كل شيء لـ(منى) التي هتفت بسعادة:

- «وهل قال لك ذلك، يا لسعادتي! إذن هو لم ينسني ولا زال يحبني».

قالت (سمية):

- «بالضبط يحبك، كيف؟ ومتى؟ الآن التقرير كامل يصلني».

ابتسمت (منى) بحرج وحكت لأختها قصة حبها مع (وليد) دون ذكر القبلية
وعندما انتهت كانت (سمية) سعيدة جداً فقالت:

- «يا للروعة زواج عن حب مثلي ومثل (خالد) وتكونين سلفتي، كم هذا رائع».

تنهدت (منى) بحسرة وقالت:

- «فليتحقق بالأول ثم افرحي».

أمسكت (سمية) بكفها تؤازرها وهي تقول بعزم:

- «سيحدث بإذن الله وأنا معك في كل شيء، ارفضي أولاً المسكين (سامي) فأنتِ
لن تخسري السعادة برفضك له، فحبيبك عند وعده لك وحينها سيتقدم
لخطبتك».



رفضت (منى) (سامي) تحت دهشة والديها وبعد ذلك بشهر تقدم حبيبها (وليد) لخطبتها أخيراً بعد انتظار سنين طالاً من والدها أن يمهلها حتى ينهي سنة الامتياز ثم يتزوجان.

سعد (أحمد) بهذه الخطبة فهو لن يجد أفضل من (وليد) لابنته ولا عائلة خير من عائلته ووافق على طلبه أن يكون كتب الكتاب لمدة عام حتى يتسنى لـ(وليد) أن ينهي تدريبه في الطب ولـ(منى) أن تنهي سنتها الجامعية الأخيرة.

النظرة الشرعية كانت كالحلم بالنسبة لكليهما، أخيراً سيلتقيان تحت سمع وأبصار الجميع بدون خوف أو مانع.

ثلاث سنوات لم تره فيها وكم اشتاقت إلى رؤياه وتساءلت هل تغير؟ هل لا يزال يملك ذلك الجسد الممشوق؟

كم خفق قلبها قبل أن تدخل عليه، وقفت مترددة عند الباب وكان من المتفق أن تدخل بصحبة أخيها (فيصل) لأنه صديق (وليد) ولأنها لا تشعر بالحرج في وجوده مثلما ستشعر به لو كانت بصحبة والدها.

أما والدها فقد كان في مجلس الرجال مع والد (وليد) وأخوته.

لاحظ أخوها (فيصل) ترددها فسألها:

- «ما بك؟ هل أنت متوترة؟»

ابتلعت ريقها ونظرت نحو الباب الذي يفصلها عن (وليد) وقالت بصوت مبجوح:

- «إذا تجاوزت هذا الباب ستتغير حياتي».

رد (فيصل) متحمساً:

- «نعم إلى الأفضل إن شاء الله، لذا اقتحميه بشجاعة».

ابتلعت ريقها وبرقت عيناها فهي لن تقتحمها بشجاعة فقط بل بسعادة أيضا فحلمها الذي حاربت من أجله سيتحقق أخيرًا ولا يفصلها عنه سوى هذا الباب.

أمسك (فيصل) بيدها وقال بهمة:

- «امضي على بركة الله».

سحبت (منى) نفسًا عميقًا وقالت بعزم:

- «على بركة الله».

فتح (فيصل) الباب ورأت هيئة رجل يجلس في الطرف الغربي من المجلس

يرتدي ثوبًا أبيض و حذاءً أسود فاحمًا.

ولأن عينيها تنظران نحو الأرض فلم تر وجهه..

ورغم المسافة شعرت بحرارة جسده منبعثة من بعيد .

رغم المسافة شمت رائحة عطره الرجولية.

رغم المسافة شعرت به قريبًا منها.

أخذت تقصر المسافة بخطواتها التي خطتها متجهة نحو صدر المجلس حيث ستجلس.

غزالة مشت أمام عينيها.

جميلة قد ضمها في الماضي إلى صدره وهي

خائفة حتى لا تقع من فوق الشجرة.



أثيرة قد داعبت قدميه بشعرها كنجلة مشاغبة.

حبيبة قد قبلها على شفيتها قبل ثلاث سنوات.

ثلاث سنوات مضت كقرون وهو ينتظر اللحظة التي تكون له، وقلبه خائف أن تضيع من يديه بسبب جمالها الذي اشتهرت به، وكثرة خطابها.

أما الآن فهي أمام عينيه رشيقة كالغزال، وأردافها فاضحة حتى من تحت فستانها الأزرق، مفاتنها تضج صارخة للعيان، ووجهها حمل أجمل تقاسيم قد رآها في حياته، وحمرة الخجل تصبغ وجنتي تلك العذراء التي قد عشقها منذ أربع سنوات مضت.

جلست وعطرها ينشط حواسه، وبجواره جلس (فيصل).

قال (وليد) بصوت بانث عليه السعادة:

- «وعليكم السلام».

أصابها الحرج إذ لم تلقِ السلام لخلجها منه فما كان منها إلى أن ضحكت على نفسها ضحكة عفوية فتننته، فقال بصوت أبج:

- «أريد كوب ماء».

قال (فيصل):

- «حقًا؟»

رد صادقًا:

- «جف ريق».

ضحك (فيصل) إذ فهم بأن جمال أخته جفف ريق (وليد) فقال بمرح:

- «سأحضر لك كوب الماء».

خرج (فيصل) وبقيا وحدهما وهنا سمعته يقول بصوت دافئ:

- «وأخيراً!! ألاكم اشتقت إليك».

ارتجف قلبها وأغمضت عينيها في حبور، في تلك اللحظة عاد (فيصل) ومعه الماء، عندما شرب (وليد) قال (فيصل) موجّهاً كلامه لأخته:

- «لقد نظر إليك بتمعن، ولكن أنت عيناك تنظران نحو الأرض ومن حقل رؤيته كما يراك».

ضحكت (منى) بغنج وقالت بخفوت:

- «فليغمض عيني».

سأل (وليد) متعجباً:

- «ماذا؟ لماذا؟».

قالت بحرج:

- «أشعر بالحرج وعينيك مفتوحتين».

صحيح أن أعينهما التقت من قبل ولكن صدفة، أما الآن فهي لا تقوى أن تنظر في عينيها بعد هذه المدة الطويلة وأمام أخيها، ابتسم (وليد) برقة وأغمض عينيها وقال برقة:

- «الآن انظري نحوي».

رفعت عينيها ببطء ونظرت نحوه فخفق قلبها، تلك القسما التي أحببتها قد ازدادت جاذبية ورجولة، وجسده رشيّقاً كما عهدته، ألاكم اشتاقت إليه، في لحظة



فتح عينيه فالتقتا بعينيها كسهم صياد أصابها في مقتلٍ فأعادت عينيها بسرعة نحو الأرض.

ضحك (فيصل) لخلل أخته ثم قال (وليد) ليكسر حاجز الخجل:

- «معي شيء أريد أن أقدمه لها».

قال (فيصل):

- «تفضل».

نهض (وليد) واتجه نحو (منى) التي خفق قلبها وهي تراه يخطو خطواته تجاهها ثم جلس بجوارها فشعرت بلفحة ناره على جسدها من جهته، ابتلعت ريقها وعضت شفتيها ثم ابتسمت بخجل.

رن هاتف (فيصل) المحمول فعقد حاجبيه وقال بجدية:

- «مديري في العمل؟ إنه اتصال ضروري دقائق وأعوذ».

لم يكن يرغب بترك أخته وحدها مع (وليد) ولكنه مضطر ثم إن (وليد) لن يعضها.

خرج (فيصل) وبقيا العاشقين وحدهما، همس (وليد) بشوق:

- «وأخيرًا».

انكمشت على نفسها بخرج وهي تشعر به قريبًا منها، أخرج من جيبه علبة مخملية فاخرة وفتحها وقربها منها قائلاً:

- «وهذه هدية بسيطة أتمنى أن تنال إعجابك».

برقت عيناها لرؤيتها سوارًا من الذهب الأبيض مزينًا بنقوش زهور النرجس
مرصعة بالألماس، وكان يبدو أنه غالٍ جدًا.

قالت بصدق:

- «كم هو جميل، ولكن لماذا كلفت نفسك بجلبه لي؟»

قال وقلبه يخفق حبًا:

- «لا يغلا على غاليتي التي تستحق أكثر من ذلك».

عضت شفتيها بخجل وقالت بدلال:

- «شكرًا».

قال ومشاعره تسبقه إلى كلماته:

- «أنتِ تعلمين أنني أكن لك المشاعر منذ زمن طويل ولذا جئتُك أقدم لك أغلى
ما عندي وهو قلبي».

ذابت لكلماته وسمعته يهمس طالبًا:

- «هل تسمحين أن ألبسك إياه؟»

همست بضعف وهي تمد ساعدها له:

- «بالطبع».

فتح السوار وألبسها إياه الذي كان آية من الجمال، لم تلمس يده يدها، فهي لم
تصبح زوجته بعد ولكن الشوق غلبه فوضع اصبعه بين ساعدها والسوار ماسكًا
له بطرف إصبعه الذي مرره على جلدها فشعرت باحتكاك إصبعه على يدها
كشعلة نار فاشتعلت وجنتاها بحمرة الخجل.



قال لها بصوت متهدج:

- «انظري نحوي (منى)، اشتقت أن تلتقي عيناى بعينيك، ألم تشتاقى أن تتألمى وجهى كما فعلت فى الماضى؟»

ترددت ولم تقدر على تنفيذ طلبه فقالت برقة:

- «أغضى عينيك من جديد لأتأمل ملامحك».

أطاعها مستسلماً فأغضى عينيه وقال بدفء:

- «والآن انظري».

رفعت عينيهـا نحو ملامحه الأثيرة، فوجدت سعادة تنطق من كل مسام بشرته، ورغم أن عينيه مغمضتان إلا أن الحب شع منهما كقنديل فى ليلة مظلمة، رؤيتها لتلك السعادة والمحبة على وجهه جعلت قلبها يخفق بقوة فى صدرها، خافقاً بحب نحوه فقد وقعت فى غرامه من جديد وكأنها تحبه لأول مرة، رغم أنها أحبته منذ سنين إلا أن الحب مهما كان كبيراً فإنه ويا للعجب بإمكانه أن يكبر أكثر فاكثراً!

فتح عينيه فجأةً فالتقت نظراتهما للحظة سُرقت من الزمن، لحظة نقلت لكل طرف مشاعر الآخر كأفضل من كل الكلمات.

وهكذا تمت الخطوبة وتحدد كتب الكتاب بعد شهرين فزفت له كأجمل حورية وعاشا سنة كاملة وهما زوجين ولكن مع وقف التنفيذ إلا أنها فترة جعلتهما يتقربان من بعضهما أكثر، ويتشاركان المشاعر والأفكار، فترة عرفا بأنهما ليسا فقط يحبان بعضهما، بل إن أفكارهما ورؤيتهما للحياة متشابهة.

كانا يتبادلان القبل والكلمات والأحضان، ذهبا إلى أماكن عدة، كان عامًا لا مثيل له مكللاً بالمحبة والمشاعر حتى تخرجت (منى) من الجامعة أخيراً بامتياز مع

مرتبة الشرف، وأنهى (وليد) فترة الامتياز بتفوق أيضًا وحان موعد الزفاف المنشود.

ليلة ولا ألف ليلة وليلة في فندق ضخم وتحضيرات راقية زهت فيها (منى) كأجمل عروس رأتها الأعين.

عروس جميلة بثوبها المميز الأبيض والمصمم عند مصمم عالمي، وزوجها الوسيم يمشي بجوارها فبدا كأحلى زوجين وحييين.

تم الزواج وودعت (منى) آخر العنقود وآخر فرد في أسرتها عائلتها لتسافر مع زوجها الحبيب إلى شهر العسل، زوجها (وليد) الذي أصبحت أخيرا تحت جناحيه.



13

العودة

مثل لص خفي يختبئ داخل ركن
المنزل الشديد الظلمة، فإن الطيف
قابع في داخلنا
مختبئ في تلك الزاوية ليسرق في
الخفاء.

الجاثوم

تحكيها (منى)

وأخيراً أصبحت له وأصبح لي لم أكن أصدق بأنني أخيراً أصبحت زوجته فعلاً الرجل الذي أحببته وحده من بين الجميع، الرجل الذي فاز بي من بين عالم الإنس والجن، وتحت سقف واحد اجتمعنا، لا قيود تقيد حبنا، ولا أعين تحرق بنا وتنتقدنا، معه بإمكانني أن أجعل شعلة الحب في قلبي تنفجر دون قيد أو عيب أو وخز الضمير، هو وأنا التحمنا وأصبحنا جسداً واحداً وقلباً نابضاً، وروحاً تواقة للمزيد فلم ولن أرتوي من نبع حبه ونظرات عينيه الواسعتين، وهمسات شفتيه المكتنزتين، ودفع حزنه.

استمتعنا في شهر العسل الذي كان كالشهد حقاً في جزر الهاواي استمتعنا بالبحر والهواء وبكلمات العشق والغزل، وبعد ذلك اتجهت الطائرة بنا إلى (إسبانيا) فجرت قدماي على الأرصفة الحجرية، ورأيت آثار الحضارة الإسلامية، رحلة امتلكت وجداني وذكراتي، وبعد ذلك عدنا إلى منزلنا في عاصمة المملكة العربية السعودية (الرياض).

في مملكتي الصغيرة عشت معه في شقة أنيقة من دورين وكأنها فيلا مصغرة مؤثثة بأثاث أنيق يليق بطبيب مثقف وامرأة تمتلك ذوقاً رفيعاً وثقافة واسعة.

مرت الأيام وأنا سعيدة، وكانت جامعة الملك سعود قد أعلنت عن رغبتها بتوظيف معيدات وهنا جاءت فرصتي وربحت لتقديري الممتاز ولنجاحي في اجتياز اختبار القبول والمقابلة الشخصية، وهكذا أصبحت محاضرة في الجامعة لتخصص علم النفس.

غشيان الصباح مزعج لم أعد أحتمل معدتي ولكن من قال إن بمعدتي خطب ما،



لقد كنت حاملاً بعد أشهر قليلة من زواجي، وسأكون أمًا وأنا في ٢٣ من عمري ، ولا بأس بذلك فعندي نضج مبكر، أشعر بأنني في السابعة والعشرين ولكن ليس العمر هو المشكلة بل حملي بتوأم، يا إلهي الحمل والعمل والبيت، يا لهذه المسؤولية! ولكن حبيبي (وليد) كان نعم العون لي يساعدني في أعمالي المنزلية ثم أحضر لي خادمة لتريحني من أعباء العمل المنزلي، حتى أتفرغ له ولنفسي ومستقبلي المهني، كان يدلّني حتى شعرت بأنني طفلة الأولى قبل أطفال القادمين وبعد تسعة أشهر رزقت بـ(تولين) و(إيلين) زهرتين عطرتنا حياتنا بأبهج المشاعر الندية، مرت الأيام جميلة ما بين حبيبي وطفليّ وعملي بالجامعة، واستمتاعي بالحياة حيث القراءة والسينما والاستمتاع بوجبة فاخرة في مطعم راقٍ أو الذهاب إلى الكوفي بصحبة صديقاتي أو زوجي، وزيارة الأصدقاء، كنت فقد أفتقد لعائتي الحبيبة المقيمة في (جدة) إلا أننا كنا نزورهم وقت الإجازات.

كنت أعيش حياة طبيعية كأني فتاة أحب وأُحِب ولا أحد يمنعني من حياتي الطبيعية.

صغيرتي الآن قد أنهتا عامًا من عمرهما، وكان يومًا مميّزًا احتفلنا فيه وأحضرنا لهما الهدايا ونامتا بوداعة في غرفتهما المجاورة لغرفتي، ثم قضينا أنا و (وليد) ليلة مشبعة بالحب، وفي اليوم التالي ودعني لحضور مؤتمر طبي لمدة يومين في (دبي) ودعته بحزن كعادتي عندما يسافر إذ أشعر بالحنين إليه قبل حتى أن يغلق الباب وراءه، وهكذا رحل حبيبي فاتجهت إلى غرفة الجلوس لأتابع فيلمًا أجنبيًا لأسلي نفسي وأشغلها، استغرقني الوقت حتى سمعت صوت باب الشقة يفتح ورائحة عطر (وليد) المميزة تصل إلى أنفي فهتفت بسعادة :

- «أهلاً حبيبي».

وعُدت أكل حبات الفشار والابتسامة على وجهي لعلمي بأنه سيطل بوجهه الحبيب على بعد لحظات ولكنه تأخر فهتفت:

- «(وليد)!»

وهنا انتبهت كل حواسي لأمر هام وهو أن (وليد) مسافر.

مسافر.. مسافر..

أهو الاشتياق الذي جعلني أتوهم صوت الباب؟

هل الشوق جعلني أشتم رائحة عطرة؟ ولم لا؟ ومن الحب ما قتل!

وهكذا عدت لمتابعة فلمي وبعد انتهائه ساعدت صغيرتي على النوم وكان الوقت الواحدة بعد منتصف الليل.

أخبرت الخادمة بما يتوجب عليها في اليوم التالي ثم ذهبت لتنام، وهكذا بقيت وحدي مع رواية (نادية) للكاتب المبدع (يوسف السباعي)، سافرت مع (نادية) وأختها إلى فرنسا وتهدت مع المشاعر الممزقة ما بين الحب والوجه المشوه، حتى شعرت بجفني ثقلين يحاولان بإصرار أن يطبقان على عيني حتى كان للنوم السطوة العليا، فجررت ساقي الثقيلتين نحو غرفتي واستلقيت على سريري، وتدنثرت بلحافي وغبت في نوم عميق.

رائحة عطر زوجي تثير حواسي، كم هو جميل أن ينام بجواري، إنني أشعر به و بحرارته، وبعطره و....

وبأنفاسه المنتظمة مع نومه الهادئ، ابتسمت في كسل وأمان، وانقلبت على جنبي الآخر موليةً ظهري ل(وليد).

رائحة عطره أصبحت نفاذة، إن زوجي يقترب مني، ابتسمت في سعادة وتجاهلته رغبةً في أن يستمر في لعبته.

أنفاسه أصبحت على رقبي فارتجفت شوقاً إليه، وأخذ قلبي يضطرب في صدري، ذابت حواسي لأنفاسه، واتسعت مسامات بشرتي لتستنشق داخلها،



التفت نحوه لكنه اختفى، تفاجأت اين ذهب؟!

وهنا شعرت بيده تلمس قدمي فنظرت نحوها فوجدته هناك جاثيًا فوق ساقى واللعاف يغطيه، ابتسمت في افتتاح لأساليبه التي أحبها، واستسلمت للثماته على ركبتى، على بطنى، كنت مسبله العينين مخطوفة الأنفاس، فمددت يدي من تحت اللعاف لأمسك بشعره الناعم، لثمته أصبحت على صدري، أخرج رأسه من تحت اللعاف ليتجه إلى شفتيّ، فتحت عيني وشدت شعره لأرفعه حتى أرى عينيه وبالفعل التقت عيناى بعينيه و... من هذا الرجل؟!

صعقت، وذعرت تلك العينان اللوزيتان الرصاصيتان اللتان التقتا بعيني، وتشتعلان حبًا ليستا عيني زوجي الحبيب (وليد)، وذلك الوجه الأبيض، وتلك الملامح التي انعكس الهيام عليها، وابتسامة تعلو شفثيه الرقيقتين ليست لزوجي (وليد) الآن فقط تذكرت بأنه مسافر، فمن يكون هذا الرجل بحق الله؟!

صرخت وشدت شعره للوراء لأبعده عني، ولكنه قاومني وشفثاه تحاربان لتصل إلي، وأنا أبعد رأسه عني وأشبح بوجهي عنه، صرخت وصرخت لأجد نفسي من جديد ممددة على سريرى ولا أثر لذلك الغادر.

كنت ألهث وكأنني عدت من سباق المارثون، شكرت الله لانهاء هذا الكابوس، فالتفت جهة شق السرير المخصص لزوجي حتى أجده خاليًا ولكنه لم يكن خاليًا!

يا رب السماوات.. هناك رجل نائم ويلتحف بلعاف زوجي وشعره أسود، أكون (وليد) قد عاد من سفره وأنا نائمة؟ وصل إلى أنفي رائحة عطره المميزة فتأكدت شكوكي، لقد عاد زوجي ونام بجواري فاختلطت رائحته بالحلم أو بالأصح الكابوس الذي رأيت، مما مزج بين الواقع والحلم بشكل عجيب.

همست بنعاس وتعب:

- «(وليد)».

التفت نحوي وكأنه كان ينتظر ندائي له فهالني ما رأيت لم يكن (وليد) بل إنه نفس الرجل الغريب الذي كان في الحلم، والأدهى من ذلك هو اتكاؤه على مرفقه ليواجهني ثم ارتماؤه علي.

صرخت من جديد وأخذت أضربه وأدفعه عني، ولكنه كان ثقیلاً جاثماً علي وجل اهتمامه منصب على تقبيلي، لم أستطع دفعه فسحبت نفسي من تحته بجهد جهيد، وكأنني أخرج من تحت كومة حجارة قد سقطت علي في انهيار منزلي مفاجئ، وبفضل الله استطعت أن أشعر بحافة السرير أسفل ظهري، وماهي إلا لحظات حتى سقطت من فوق سريري، تألمت من سقطتي الم جعلني أفتح عيني فجأة لأرى سقف غرفتي وأنا لا أزال نائمة على سريري! هل كان كابوساً! أم كابوساً داخل كابوس؟!

تنهدت براحة وقبل أن ألتفت لجهة شق الأيمن المخصص لزوجي تسمرت حواسي، وتجمدت عيناى على سقف الغرفة؛ فقد خفت أن أنظر لأرى ذلك الرجل من جديد، رائحة عطر (وليد) المميزة تصل لأنفي من جديد ولكن ألم ينته الحلم؟! هل عاد (وليد) حقاً؟ وأنا طول الوقت أشتم رائحته التي تسلت داخل عالم احلامي فلا تفسير للأمر غير ذلك، هل أنظر لأتأكد؟ الخوف يمنعني إلا أن الفضول غلب خوفي؟ فأخذت التفت نحو شق السرير ببطء شديد سببه رجفة الخوف التي تملك أوصالي وكلي أمل أن أجد (وليد) حقاً فأرتمي في أحضانه لأشعر بالأمان، ببطء أخذت عيني اليمنى من طرفها تجري مسحاً للمكان المجاور لي ومع اقتراب التفاتي من الكمال تتضح الرؤية أكثر فأكثر، وهنالك من ذلك المكان المخصص لنوم حبيبي الأثير، شاهدت حبيبي نائماً ومتدثراً بالغطاء، زفرة راحة أطلقتها من محبسها لتخرج معها كل خوفاً وتوتري، ولكن هواجسي ما كادت تختفي حتى عادت من جديد وبأضعاف مضاعفة، ف(وليد) أخذ ينهض بهمة من تحت لحافه لينقض علي ولكنه ليس ب(وليد) إنه ذلك الغريب من جديد، ولكنني في هذه المرة كنت الأسرع إذ صرخت وأنا أنسل من فراشي فيجثم على مكاني الخالي، التفت نحوي بحدة فاخترطت هاتفي المحمول من على



الطاولة المجاورة لسريري (كومود) وجريت قاصدة باب الغرفة لأهرب وأتصل بأحد ينقذني من هذا المغتصب الذي تسلل لمنزلي بعد سفر زوجي، ولكن ما كدت أصل لمقبض الباب حتى شعرت بأنامله تلمس كتفي، صرخت بذعر لأفتح عيني على صوت رئين هاتفي المحمول!

بأنهاك نظرت نحو الطاولة المجاورة لسريري وأنا لا أزال ممددة على فراشي متعبة مجهدة، وكأني عدت من نزال عصيب، مددت يدي بإجهاد نحو هاتفي فرأيت على الشاشة اسم المتصل (حبيب حياتي) إنه (وليد) وضعت المحمول على أذني وأجبت بترقب وخوف:

-«نعم».

رد علي بصوته الأجلج الذي أحب:

- «مساء الخير حبيبي هل أيقظتك من نومك؟».

أجبت سؤاله بسؤال حائر:

- «أين أنت؟».

رد بدهشة :

- «في (دي)».

وبغباء شديد وتشويش ذهن أشد أجبته بتعب:

- «ألم تكن هنا معي؟».

نزل الجواب علي كالصاعقة حينما قال بدهشة:

- «معك؟ طبعًا لا ! ما هذا الكلام؟».

ارتجفت وأنا أتحاشى النظر نحو شقه الخاص من السرير خشية أن أرى أحدًا عليه، وقلت بتوتر:

- «أقسم لي بأنك لست في (الرياض) ولا تزال بـ(دي)».

قال بحيرة :

- «اقسم لك بأنني أكلمك من (دي) ولا أزال فيها، لماذا تسألين هذا السؤال الغريب؟!».

ارتجفت وقررت أن أحسم الموقف وأنظر جوارى، فالتفت وأعصاي تكاد تتمزق من التوتر، وهناك في شق السرير المخصص لزوجي يوجد لحافه المرتب فقط لا غير.

لا أحد نائم بجواري.

لا أحد على الإطلاق.

ابتلعت ريقى براحة يتخللها الضيق، حقًا إنه لأمر عجيب أن تشعر بالراحة والضيق معًا! ولكن هذا ما شعرت به بالضبط الراحة لعدم وجود رجل آخر معي على سريرى الزوجي، والضيق من القصة الغريبة التي مررت بها.

- «(منى) (منوش) حبيبتى».

صوته المتوتر أعادني إليه فقلت بسرعة لأطمئنه:

- «أه اعذرني حبيبي فأنا حلمت بوجودك معي فظننته حقيقة، كان حلمًا ولكن اقسم بأنني شعرت أنه حقيقة».

ضحك بغبطة وقال بصوت أجش:

- «هل اشتقتِ إلي؟ وبماذا حلمتِ؟ بأحضانى وقبلاتى؟».



ارتجفت إذ تذكرت تلك القبلات التي استسلمت لها ظناً بأنها منه، فرددت بارتباك:

- «آه شيء من هذا القبيل».

ضحك بسعادة وقال:

- «أحلامك أوامر اقسمت على تحقيقها، غداً عندما أعود سأمزقك من شدة غرامي يا معشوقتي الأبدية».

ابتسمت رغماً عني لكلماته التي تشعل أنوثتي فرددت بإغراء:

-«فإذن بانتظار تمزيقك».

تبادلنا الكلمات وبعد خمس دقائق أخرى أغلقت الهاتف ونظرت نحو السرير الخالي وأنا لا أتخيل نفسي أنام ليلة أخرى وحدي مع ذلك الرجل الذي زارني في الأحلام، ترى من هو؟

الجاثوم.. هكذا تسلل الحل إلى رأسي.

نعم الجاثوم الذي يجثو على النساء في نومهن عندما ينمن على ظهورهن فيشعرن بالضيق في أنفاسهن، وهو يجثم عليهن ليمارس الرذيلة، أما الرجال فإن زائرهم الصورة المؤنثة من الجاثوم وهي (ليليث).

تذكرت تلك المعلومات التي قرأتها عن أنواع بعض الشياطين وأنبت نفسي لأني لم أقرأ أذكار النوم، نهضت بتعب من فراشي متجهة إلى الحمام الملحق به، وعند مروري من جوار الجهة المخصصة لزوجي من السرير شملت بوضوح سافر رائحة عطره النفائث المخدرة، اتسعت عيني فدرت على عقي وخرجت من غرفتي، من الوكر الذي كاد الجاثوم فيه أن يمارس معي الخطيئة خرجت مذعورة وأنا أتساءل هل كان حقاً حلمًا وجاثومًا؟ أم حقيقة؟!

عقلي المشوش المذعور لم يتوصل إلى جوابٍ شافٍ، نمت في تلك الليلة مع طفلي بعد أن قرأت أذكار النوم، ومرت الليلة على خير، وفي اليوم التالي عاد (وليد) وعاد معه الأمن والطمأنينة.



جسد واهن

تحكيها (منى)

أشعر بالفتور في جسدي، عندما أطيخ الطعام أشعر بعدها وكاني قمت بتنظيف البيت بكامله، وعظامي تؤلمني لعله البرد فمنطقة (الرياض) في الشتاء باردة جدًا، أجل إنه البرد قد تخلل عظامي وأشعري بهذا الألم الشبيه بالروماتيزم.

دخل علي (وليد) فلم يسره ما رأى، كنت مستلقية على بطني فلما شعرت بوجوده نظرت له من تحت أهدابي الطويلة وقلت بأسى:

- «سامحني فلم أستطع إعداد الغداء لك أشعر بقواي خائرة».

انحنى فوقى وقال بحزن:

- «ما بك يا قطتي؟ بماذا تشعرين؟».

أغمضت عيني بألم وقلت بخفوت والدموع تصارع لتغلبني وأنا أصارعها لتبقى حبيسة مقلتي:

- «لا أعرف.. أشعر بتعب في كامل جسدي».

اقترب مني حتى جثا علي فلامس صدره ظهري واقترب من أذني وهمس:

- «لعله نقص فيتامينات».

كمن لسعته الأفعى شعرت بنار مؤلمة في ظهري لقربه، فانتفضت ودفعته بكتفي وأنا أهتف ساخطة:

-«لا تلتصق بي هكذا».

نظر نحوي مصعوقًا وهو لا يزال جالسًا على السرير وأنا كنت حينها أتكى على مرفقي وعيناى المدهوشتان تلتقيان بعينيهِ المصوقتين.

ماذا جرى لي؟!

لماذا شعرت بالنفور منه وهو (وليد) حبيبي؟

ارتبكت وقلت بتوتر:

-«آسفة حبيبي شعرت بالحر الشديد لقربك فلم أحتمل أنا متعبة اغفر لي».

مرت ثواني بعدها استطاع أن يبتلع صدمته ويهز رأسه لينفض الجرح الذي شعر به في قلبه، ثم رماني بابتسامة مجاملة وقال:

-«بل اغفري لي كان علي أن لا أثقل عليك وأنت تشعرين بالألم في عظامك».

كلامه قتلني، فأنا من تستحق الجرح، أنا من يجب أن تعتذر وهو إما يقبل عذري أو لا، فمن يلومه إن لم يقبل؟

ولكنه رغم ذلك يعتذر مني ! فتبَّأ لي.

ماذا فعلت؟

ولماذا أصبحت أنفر منه وأتهرب منه بشكل متكرر؟!

قبل رأسي وقال برقة:

-«سأخذك للطبيب أثق به ليجري لك فحوصات شاملة، لعل نقص الفيتامينات سبب لك كل هذا الوهن، لا تنسي حملك بالتوأم قد استنفذ طاقتك وامتص جزءًا كبيرًا من الفيتامينات والمعادن والكالسيوم منك طول فترة الحمل،



وغذاؤك الآن ليس بمتكامل ولهذا جسدك خائر، لا تخشي شيئاً يا حبيبتي فللك داء دواء، ثقي بكلام زوجك الطبيب، نامي الآن وارتاحي وانا سأذهب للمطعم لأشتري لنا غداء تحبينه».

طأطأت رأسي باستسلام ثم قبلته على شفتيه فرماني بابتسامة صافية ورحل.

استلقيت على سريري أفكر بكلماته «كل داء وله دواء» نعم إنه على حق لعل تعبي بسبب نقص الفيتامينات مثلما قال ،وهكذا أغمضت جفني المتعبين واستغرقت في النوم على أمل الشفاء من مصابي.

- «لديك نقص في فيتامين دال».

هذه إجابة الطبيب وهكذا بدأت أستخدم مدعمات للفيتامين وشعرت بالتحسن، وفي إحدى الليالي بعد أن أنهيت مشاهدة فلم مرعب أمريكي وكان الوقت الثالثة بعد منتصف الليل، دخلت على أميرتي لأطمئن عليهما وكانت نائمتين بوداعة الأطفال ،جميلتين قد ورثتا الجمال الصارخ مني، كانتا نسخة طبق الأصل حتى أن (عبير) علقت مداعبة:

-«لو توفيتِ فهناك من يذكرنا بك».

ضحكت عندما تذكرت كلامها وكيف هتفت بها:

-«هيه أنا واحدة لن تتكرر».

آآآ كم اشتقت إليها وإلى عائلتي

اتجهت بعد ذلك إلى غرفتي الغارقة في الظلمة لأن (وليد) نائم، كان يوم الخميس ليلة الجمعة لذا هو نائم في الثانية ليستطيع أن يذهب لصلاة الجمعة بنشاط، وعندما دخلت غرفتي سرت بهدوء في الأماكن التي أحفظها عن ظهر قلب فاتجهت نحو الخزانة وبدلت ثيابي بمنامة النوم، ثم سرت قاصدة سريري وكانت

الخزانة الأخرى بها مرآة كبيرة سأم من جوارها أثناء اتجاهي إلى السرير وهذا أمر اعتدت عليه، وهكذا داخل الظلمة مشيت بخطى ينيرها ضوء هاتفي المحمول وعند مروري لمحت خيالي ينعكس في المرآة كالعادة ولكن هناك خيال آخر مر من بعدي! ارتعشت وتوقفت هل اتخيل؟

عدت أدراجي فلمحت خيالي على المرآة وحيداً كما هو مفترض، تنهدت وقررت أن أكمل طريقي نحو فراشي وفعلت ذلك ولكن من طرف عيني شاهدت خيالاً اسود منعكساً على المرآة ولا أحد في الغرفة سواي وزوجي النائم ، وبلا شعور اشرت بضوء هاتفي تجاه المرآة فلم يكن بها أحد!

تنهدت فعلى ما يبدو كنت أتخيل، فما أبشع الضلال عندما تتحد مع ظلمة المكان فتصنع خيالات سوداء ترعب الروح وتصيبنا بالفزع. اعتليت سريري وتدنثرت بفراشي ثم نمت بعمق.



بقع أرجوانية

تحكيها (منى)

ما هذا المبنى؟

يبدو كبناية شقق مفروشة للإيجار، ما الذي جاء بي إلى هنا؟!

كنت في طابق مرتفع وفي الردهة بدون عباتي وهو أمر غريب! رأيت بابًا مفتوحًا فشعرت بأنها شقتي وعندما دخلتها لم أجد بها سوى غرفة نوم فقط وقد كانت مظلمة، جيد فأنا أشعر بالنعاس، لذا اتجهت مباشرة نحو السرير الفردي الموجود بوسط الغرفة واستلقيت عليه، يا لغباي! لم أغلق باب الشقة ولكن لا يهم أنا نعسانة.

هكذا حدثت نفسي، وقبل أن أغمض جفني تنبّهت حواسي للرجل الواقف عند باب الشقة من الخارج وقبل أن يستوعب عقلي دخل الغرفة متجهًا نحوي، في داخل أعماقي شعرت بأنه عفريت وليس إنسي، هنا! ومع! وأراه كيف؟! تساءلت وأنا أنظر لرجل طويل عريض المنكبين، يرتدي بدلة رمادية بربطة عنق وأنيق جدًا.

كان شعره أسودًا ملتصقًا برأسه ويلمع في تصفيفة عصرية، ووجهه بيضاوي بذقن مربع، أبيض البشرة، ويبدو منظره بشكل عام أجنبي كأن يكون رجلًا بريطانيًا أو أمريكيًا، أما عيناه فقد كانتا رماديتين باردتين قاسيتين كالفلواز، وقد تقدم نحوي.

نعم تقدم بخطى ثابتة.

ارتجفت وأنا اتعجب وجود العفريت معي وتقدمه نحوي! ولكن تساؤلي وحيرتي لم يطلوا إذ عرفت سبب قدمه وذلك عندما فكَّ ربطة عنقه و أول زرارين من

قميصه حينها وبشكل غريزي صرخت وقفزت من فوق السرير وركضت نحو الباب الذي بدا لي بعيداً بعيداً.

أخذت أحث الخطى لأتخطاه حتى استطعت أن أمسك بيدي عارضي الباب وشدت نفسي نحوها لعلني أستطيع أن أتخطى عتبة الباب فأخرج من هذا المكان اللعين وأخلص نفسي.

شعرت بخيط كالكهرباء يسري في ظهري فأدركت قرب العفريت من أن ينال مني إلا أنني في لحظة تخطيت الباب وأصبحت في الرواق خارج تلك الشقة، وهنا استغللت الفرصة وأخذت أجري بين الأروقة ولكن كلما وصلت لنهاية رواق أجد العفريت أمامي وعيناه تتقدان نازراً، فأدور على أعقابني وأجري في الاتجاه المعاكس، وهنا تذكرت بأن لا مهرب من العفريت إلا بالاستعانة برب العفريت فهتفت أقرأ آية الكرسي بقلب وجل.

فجأة قابلت في وسط الرواق أختي (سمية) فرحْتُ لمرآها فأنا لم أرها منذ شهور، ولكن الوقت غير مناسب للعناق فهتفت بها :

- «(سمية) لنهرب (العفريت) هنا وهو يلاحقني».

ظهر العفريت من خلفي فركضت وأختي حتى وصلنا إلى ردهة فسيحة بها مصعد كهربائي ودرج عادي، كان المصعد مشغولاً فلم يعد أماننا سوى الدرج العادي ولكن ويا للدهشة العفريت يرتقي درجات السلم صعوداً إلينا وكأنه قادم من الطابق السفلي رغم كونه كان معنا في نفس الطابق!

كان يسد المخرج علينا فأين المهرب يا إلهي؟

ابتلعت ريقاً وأنا أشاهده يتقدم نحوي وفي يده سوط، انعقد لساني فرغم هيئته الآدمية الوسيمة إلا أنه رغم ذلك كان مخيفاً ومهيّباً، فجأة رفع السوط وضربني به على رذفي، صرخت من الألم وما زاد المي هو ذهاب (سمية) وتخليها عني،



فجأة أمسك بذراعيّ وشدني نحوه ويداها تضغطان على لحم ذراعيّ بغلٍ، اقترب وجهه من وجهي فانتفض قلبي لا أدري لماذا؟ فتلك العينان بلهفتهمَا ذكرتني بشيء لا أدري ما هو! شيء غائب منسي في خلايا مخي الرمادية وعندما رأيت نظراته تتجه نحو شفتي انطقني الله فجأة إذ قلت:

- (وَيَمْكُزُونَ وَيَمْكُزُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) الانفال (30)

نظر نحوي بحدة وارتبك فأعدت بصوت أعلى قائلة:

- (وَيَمْكُزُونَ وَيَمْكُزُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

ارتبك وارتخت يداها عن ذراعي واضطرب ونكس رأسه وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا حتى حسم أمره فزفر بغیظ ونكص على عقبه، وعاد لدرجات السلم ولكن هذه المرة نزولًا.

وهكذا تخلصت منه، تململت على فراشي واستيقظت فجأة وأنا أشعر بالم ردفي وذراعيّ، تنهدت بضيق ثم قرأت أذكار النوم واضطجعت على جانبي الأيمن ونمت هذه المرة بدون أن أرى العفريت أو أي أحد من جن، ولكن الغريب أنه في اليوم التالي وجدت كدمات زرقاء على ذراعي وعلى ردفي فهل ضربت نفسي أثناء حلمي؟! ربما من يدري؟ كل شيء وارد.

مرت الأيام وأنا أشعر بخمول عجيب ونعاس شديد رغم محافظتي على الفيتامينات التي وصفها لي الطبيب، لقد أصبحت أميل بشدة إلى النوم وهذا ما جعلني قبل وقت الغروب أذهب إلى غرفتي وأستلقي على سريري أستطيع النوم حتى لو فاتتني صلاة المغرب فأنا عندي عذر شرعي يمنعني منها، آآآه النعاس شديدييد شديد.

ما أجمل أشعة الشمس البرتقالية التي مشطت غرفتي استعدادًا للرحيل، لا تغربي يا شمس فنور شعاعك جميل جميل، آآآآه ما أثقل أهدياي، و يا لذلك

الشاطئ الجميل، ما أجمل البحر عند وقت الغسق فالشمس آيلة للغروب والبحر يختال بألوان الخريف الساحرة الأصفر والبرتقالي والبني والأرجواني مزيج عجيب انعكس مع لون السماء التي تغيرت من الزرقة إلى ألوان تطفئ عليها نور شمسها الغاربة.

ما أجمل الشاطئ الرملي وأنا امشي عليه حافية القدمين، وما أجملني بثوبي الأحمر القصير الذي يصل إلى نصف فخذي ويرتكز على كتف واحد كاشف عن كتفي الأبيض الآخر، شعري الكستنائي الذي تتخلله خصل شقراء يطير مع نسيمات البحر العليقة.

أشعر بأنني في بحر منطقة الجنوب وليس الغربية وإن كانت كلتا المنطقتين تشتركان في البحر الأحمر الذي يحد السعودية من الغرب، إن المنطقة الجنوبية تطل على هذا البحر الجميل بمرجانه الحمراء من خلال مدينة (جيزان) و(الشقيق) و(بيش) وما يجاورها، آآآه (الشقيق) إنه لا يبعد عن (ابها) وقد زرنه من قبل أنا وعائلي، لماذا أشعر بأنني على شاطئ الشقيق بالذات؟

من هذا؟

تساءلت وأنا أشاهد من بعيد رجلاً يسير على الشاطئ قادماً نحوي.

فز قلبي إذ عرفته إنه حبيبي وعشيقى وزوجى (وليد).

توقف ونظر نحوي وابتسم بسعادة للقائنا على هذا الشاطئ الجميل وقت الغروب، بادلته الابتسامة ورأيت الشوق يلمع في عينيه، فنظرت نحوه بشوق ثم جريت نحوه.

دهش وكأنه لم يتوقع ذلك ففتح ذراعيه على عجل وكأنه يخشى أن يفقدني وفي أحضانه ارتيمت، فضمني بقوة نحو صدره حتى كاد أن يحطمني، رفعت وجهي نحوه فنظر نحوي بحب كبير، واقترب من أذني هامساً بصوت لا يكاد يسمع:



-«أنا أعشقك حد الهوس».

ضحكت بسعادة وقبلته على أذنه، حينها شفق ونظر نحوي بجنون العاشق
ثم بإصبعه الخييرة أمسك بطرف الفستان المرتكز على كتفي وازاحه بخفة فسقط
عند قدمي.

وهنا رأيت جمال فتنتي ينعكس في عينيه كآلاف النجوم التي لمعت لشدة بريقي
الساطع، فما كان من (وليدي) إلا أن حملني بين ذراعيه بشغف شديد. وعلى
الشاطئ الرملي وضعني برقة، وقبل أن تغرب الشمس وتغض طرفها خجلة كانت
قد شهدت على التحامنا معاً.

عمت الظلمة المكان والتمعت النجوم في السماء، والحب وهمساته قد ملأت
الأجواء.

حينها همس في أذني بصوت لا يكاد يسمع لشدة انفعاله قائلاً بهناء :
- «وأخيراً».

ابتسمت متعجبة فهو يبدو وكأنه قد غاب عني طويلاً ولكن لم العجب!
فهو في كل مرة نلتقي فيها تكون كالمرة الأولى.

ابتسمت ثملة بعد أن نسجت الحب بين ذراعي حبيبي.

وفي غمرة نشوتي سمعته يتنهد بارتياح، ثم همس في أذني بعتاب يشوبه الألم:

لا يعرفُ الهوى وأوجاعه

من عاش فيه سعيداً

لا يبالي بمن رأى أفجاعه

مشرداً في قلبه ووحيداً



فأنت تتهلين من الغرام
 وغيرك صائم مرمي بعيدا
 وحبك لغيري ملأته غرام
 وسعادة فأصبح عيدا
 في بئر ليس له قرار
 دفنت هواك وصار منفيا
 لم يعد لي فيه قرار
 فقد تفتت شوقاً منسيا
 عدت لقريك طالباً مزاره
 وإن كان خطأ شديدا
 فلشهدك الحلو أنا ذواقه
 فهو كخمر أسكر الوريدا
 أدمنت وصلك وازددت حراره
 قد أشعل بركائنا سحيقاً
 بعد أن تجرعت الهوى وأهواله
 زدت اليوم صباة وشهيقا
 وسأعود لأنهل أسرارهِ
 فالنار داخلي تصطلي
 والجوع قض مضجعي



وستحكم روجي الغداره
 ولو رجمتني
 وحرقتني
 وحطمت اسواره
 لا لن يقع فهو راسخ قراره
 قالوا: هل تحتل في الهوى أوزاره؟
 قلت: بلغت من الوزر أمداً بعيداً
 ولو مت دونه فأنا له شهيدا
 وبعد اليوم لن أبقى بعيداً
 لن أتوب لن أتوب
 قد غرقت في الذنوب
 لن أتوب لن أتوب
 فنصبي منك مكتوب
 ولنصحكم لن أستمع
 ولمنعكم لن امتنع
 يلومون من في الهوى صار تليدا
 فعجز عن سماع الرأي السديدا
 ما رأوا جمالاً قد تجسدا
 فهلك من دونه قوماً سهدا

فرفضك لي تجرعت مراره
وغفرت جورك وإجرامه
(منيّتي)
إن بي حريق
فنضجك زادك بريق
غاب معه عقلي الرشيد
فزاد فيّ طبعي العنيد
طال غيابك وصرت وحيدا
فاعدتك لي عوداً حميدا
وأشريتك كأس عشقي
فأثملكِ وصرتِ كنفسي
انتشيتِ وملكتُ قلبك
فلتتقي من هو ربك
لا تنكري سعادتنا
فيمسك عذاب وأذيه
فالبحر عزف مودتنا
على أوتاره الفضيه
ليبارك في الحب وصلنا
بعد سنين منسيه



امتزجنا والتحمنا

وفي الخطايا سرنا سويه

تسمرت عيناى على النجوم فى السماء، فماذا يعنى (وليد) من كلماته تلك ؟!

و(منى)!

تردد صداها فى عقلى وشعرت بالضيق.. (منى)! رجل واحد فقط كان ينادىنى بهذا الاسم...

رجل لا أريد أن أذكر اسمه...

رجل لا ينتمى لعالم الإنس.

لماذا (وليد) ينادىنى مثله؟

كلماته تلك غريبة غريبة تبدو كأنها صادرة من ذلك الذى لا أريد أن أذكر اسمه! أبعد وجه عني ونظر نحوى بانتصار.

عيناه تتغيران مرة سوداء ومرة رصاصية، وابتسامة نصر ترتسم على شفثيه، ارتعدت منه ورغم ذلك اقترب منى وانحنى على كتفى وعضنى فيه بشغف ثم نظر نحوى فرأيت دمي قد تلخ شفثيه، فأخذ يلحق الدم العالق فيها وكأنه مصاص دماء وقال بصوت مبجوح:

-«على هذا الشاطئ تمنيتك فى الماضى وهى أنا حققت مرادى أخيراً، وقد وضعت عليك علامتى».

انتفضت فجأة لأفتح عيني فرأيت سقف الغرفة وقد أظلمت لغروب الشمس وهى أدركت بأننى كنت أحلم ومع ذلك ميزت طعم الدم فى فمى فلحست شفثى لأدرك بأننى قد أدميتهما فعلاً، لعلى عضضتهما أثناء حلمى نعم ربما فعلت، مع

ذلك شعرت بالضيق فنهضت وأنا أشعر بعظامي تؤلمني وكانني بالفعل كنت على أرض الشاطئ مع (وليد) ولست على سرير وثير، نهضت من على سريري والدهشة تقتلني فقد كنت أشعر بأنني أعيش حياة حقيقية! لم أحسب أنني كنت نائمة في غرفتي حتى غربت الشمس وكل ما مر بي كان مجرد حلم لا يشترك مع الواقع سوى في أمرين أنا وحال الشمس الغاربة.

ما هذه العلامة الوردية الأشبه بالخرابيش على كتفي!

لماذا شعرت وكأن هذا الحلم له عقب الماضي؟

هل قامت ذكرياتي من سباتها العميق؟

(منيقي) وتلك العينان الرصاصيتان؟

لماذا شعرت بأنه ليس زوجي؟

لماذا تحول غرامي مع زوجي إلى خطيئة؟

وبعد ماذا؟ بعد أن عشت معه الحب بكل جوارحي!

لا بدّ أنه العقل الباطن يختزن ذكرياتنا وخبراتنا ومشاعرنا ومخاوفنا ويدخلها في أحلامنا، وهذا ما حدث لي والسبب هو نومي في وقت يُكره فيه النوم وخاصة وأنا على غير طهارة.

علي أن أنحاشي القيلولة في ما بين العصر والمغرب لكرهية ذلك.

على قدر ما استمتعت في حلمي على قدر ما استنكرت نهايته.

خرجت من غرفتي وانخرطت في احداث اليوم وقد نسيت ذلك الحلم الرومانسي الغريب.



مرت الأيام وأنا سعيدة، وفي أحد الأيام كنت أشعر بالنعاس فاتجهت إلى غرفة النوم واستلقيت على فراشي مولية ظهري لزوجي فاقترب مني واحتضنني من خلفي، شعرت بالضيق فأنا متعبة وأريد أن أنام ولست في مزاج رائع لأي شيء قلت له بضيق:

- «آآآه أريد أن أنام».

همس في اذني مداعبًا:

- «وإذن؟»

قلت متململة:

- «عد لمكانك».

ضممني وقال معاتبًا:

-«لن أكلك... فقط أريد ضمك».

أشعر بحر شديد على ظهري وكأنه يشتعل فهتفت بنرفزة:

-«الجو حار لا يطاق... ابتعد».

صمت للحظات يستوعب فيها لهجتي القاسية وأسلوبي الجديد، فقال بحيرة:

-«وما الغريب؟ عندما التصق بك فإن حرارة جسدي مع جسدك تزداد فما

الجديد والمزعج في الموضوع؟! ثم إن مكيف الهواء يعمل الآن ولا أرى الحر شديدًا كما تصفينه؟

ثم استطرد مداعبًا:

- «أما أنها حرارة الحب؟».

هتفت بغضب:

- «هل تعني بأنني أكذب؟»

قال بدهشة:

- «لم اقل ذلك؟! (منى) ماذا بك؟!».

قلت بعصبية وأنا أشعر بالدم يغلي في عروقي:

- «لا شيء، وماذا بي؟ هل أنا مجنونة؟».

اقترب وضممني وقال مهدئًا :

- «أنا من هو مجنون بك».

حاولت أن أحرر نفسي من ذراعيه وأنا أقول بغضب:

- «لا تغير الموضوع، أنت تتهمني بالكذب أليس كذلك؟».

هتف حانقا:

- «متى فعلت؟».

قلت وأنا أرتعد:

- «منذ قليل، يا إلهي! دائمًا تراوغ في كلماتك، كم أكره ذلك، أنت حقًا ماكر تلمح

إلى شيء ثم تنفيه فأبدو كالغبية! ما هذا التصرف؟ كم أشعر بالحنق منك؟ أوف أكرهك».

وكأنه تلقى لكمة على وجهه فقال في وجوم:



- «ماذا ؟ ماذا قلت ؟».

في توتر واضطراب رددت بسخط:

- «أكرهك».

ابتلع ريقه ثم ابتعد من ورائي نظرت نحوه فوجدته واجمًا وعِرْقُ يَنْبُضُ في جبينه
نزل بسرعة من على السرير ثم خرج وصفق الباب وراءه بقوة.

أكرهك

أكرهك

تردد صدى هذه الكلمة الكريهة في أجواء الغرفة التي هي عش غرامنا وانا احاول
بعقلي المشوش أن أستوعبها.

ما الذي قلته؟

هل قلت ذلك حقاً؟

أشعر بأنها زلة لسان غبية لا أكثر.

من أكره هنا؟

(وليد) !محال بل هو المستحيل بعينه.

فحبه يجري في عروقي مجرى الدم، ولكني ثرت فجأة وقلت تلك الكلمة في
لحظة غضب و...

هذا الصوت.

إنه صوت إطارات عجلات السيارة التي خرج بها (وليد) بحنق.

كمن سقط في فوهة بلا قرار سقط قلبي بل سقطت روحي، اين سيذهب في هذا الوقت المتأخر؟

جلست والدموع تسيل من عيني ما الذي حدث فجأة؟

أخذت هاتفي المحمول واتصلت به مرارًا وتكرارًا ولا مجيب.

أخذ قلبي يرتجف بين أضلعي ودعوت الله أن يحفظه ويعيده لي سالمًا وبعد ساعة كاملة قضيتها بانتظاره والدعاء له عاد أخيرًا، وقبل أن أستوعب بأن تلك العجلات لسيارته كان قد فتح باب الغرفة عنوة فانتفضت وجلست على سريري انظر نحوه والدموع تبلل وجهي، ولكن ما حالي بجانب حاله! لقد رأيت رجلا مقهوراً أحمر الوجه منتفخ الأوداج، والألم يمزق ملامحه، وقبل أن أنبس ببنت شفة اندفع نحوي وارتمى بين ذراعي ثم أجهد بالبكاء.

بكاء مرير شديد بشهيق...

كانت المرة الأولى التي أراه يبكي فيها، فألجمت الصدمة لساني وانشل تفكيري. حبيبي (وليد) يجهد بالبكاء بين ذراعي! وبسبب من؟

بسبي!

انا حبيبته!

تبًا لي.

ضممته بقوة إلى صدري ومن بين شهقاته قال:

- «أي كلمة تجرأت ونطقتها؟! تكرهيني أنا! أي كلمة سامة بثنتها في روحي؟! لماذا؟ لماذا؟».

بكيت وقلت بتوتر:



- «هي كلمة قلتها هكذا، بدون قصد، بدون ان أعنيها».

عض شفتيه ونظر نحوي بعينين ألمهما قَتَلَنِي وقال بأسى :

- «كلمة مجرد كلمة !هل ترين الأمر كذلك؟! من بعد الحب تسمعينني كلمة البغض ! لقد آلمتني آلمتِ روحي، لقد همت على وجهي كالمجنون أدور في الشوارع الخالية، لماذا عاملتني بغلظة فجأة؟! ثم تقولين تلك اللفظة الكريهة؟ وقبل فترة كنت مستعدة لتتنازلي عني لامرأة غيرك؟ هل انقلب الحال؟ هل تبدلت القلوب؟ هل سأخسر؟ ألم تعودني تحبينني كالسابق؟».

شهقت فزعة ووضعت يدي على شفتيه وقلت بفزع:

-«محال! لا تفكر هكذا، تبًا لي ولحماقتي، لعلها هرمونات السبب، لعل القمر البدر هو السبب، ولكن اقسم بمن خلق قلبي النابض بأني أحبك ولم اعن تلك الكلمة التي أقسم لك اقسم بأنك لن تسمعها مني ما حبيت أقسم ،سامحني ارجوك».

وبعينين تمتلئان بالرجاء، والدموع تببل وجهي، اندفعت نحو وجهه الغالي وقبلت كل سنتمير منه ودموعه تختلط بدموعي، ثم نظرت نحوه بأمل وقلت برجاء:

- «هل سامحتني؟».

تأملني للحظات ثم زفر بحرارة وقال متعبًا :

- «ما أضعفني! أسامحك على أن تجعليني احتضنك كما فعلت من قبل خصامنا».

ضحكت رغمًا عني إذ شعرت به كالطفل الذي لايزال يصصر على قطعة الحلوى، فما كان جوابي إلا ان استلقيت على جانبي ونظرت نحوه وأنا أشير له بإصبعي ليأتي

قائلةً بسعادة وانا اشعر بالراحة لرضاه عني:

- «تعال».

هنا احتضنني من خلفي وهمس في أذني بحب كبير قائلاً:

-«لا تعلمين إلى أي مدى أنا أحبك، أعشقتك، متيم بك، و بدونك أموت».

انتفض قلبي بقوة وهمست قائلة:

-«لا تذكر الموت حبيبي».

بقينا معًا نحتضن بعضنا البعض في حنان وحب حتى غَطِطْنَا في النوم، وهناك داخل حلمي سمعت صوتاً يتردد صدها في سماءٍ مظلمةٍ يقول لي:

داخل الحنايا أمتطي رغبتني

ومن بين الزوايا أنسج خطتي

أسكن دمك أجري واختلي

وأفتت روح من بالحب تشتكي

حطمتِ فؤادي فبناري اصطلي

انتفضت فزعة وفتحت عيني، ما هذا الشعر؟!

-«حطمتِ فؤادي». فؤاد من؟

(وليد) لقد سامحني.

من إذن؟

-« فبناري اصطلي». ، هل هذا وعيد؟



ثم ذلك الصوت يبدو مألوفًا

أطبق جفناي الثقيلان على عيني. فانغلق عقلي عن التفكير، وعدت للنوم
ونسيت تلك الأبيات التي عادت للسبات مثل الذكريات القديمة.



كشف القناع

تحكيها (منى)

صداع شديد ألم بي.

ربي ارحمني هل هي عين قوية حاسدة أصابتي؟ اقترب مني (وليدي) وقال
ووجهه متألم بشكل واضح:

- «أحضرت لك ماء مقروءًا عليه آيات من القرآن الكريم».

في دهشة سألته:

-«لماذا؟!».

قال بحيرة:

-«لا أدري؟ لست من هذا النوع من الرجال، ولكن بدأت أعتقد حقًا بأنها عين
أصابتك، ولن تخسري شيئًا إن شربت هذا الماء ففحوصاتك الطبية سليمة.. يا
إلهي».

قالها ووضع يده على وجهه في هم وقال بأسى:

-«أكاد أجن، لا أحب أن أراك تتألمين».

مددت يدي نحوه بحزن ولكن خيطا كالنار انتشر في عظمها أطاحها بجواري
وهنا همست قائلة:

-«اسكب لي منه».



قرب الكأس من فمي فشعرت بالنفور منه ولكنه أصر علي وجعلني أشربه، كم هو بارد ولكن دبيب نمل شديد انطلق في لحمي مما أعاد لي ذكريات ماضية كريمة، كرهت الواقع وأردت الهروب منه فقلت بضيق:
-«أريد أن أنام».

طأطأ (وليد) براسه متفهماً وتركني لأرتاح، فنمت بسرعة غريبة لأجد نفسي في غرفة مظلمة وكيان أشد ظلمة بالكاد ميزته مع سواد المكان يظهر لي.

ارتعدت منه وسمعته يقول بصوت غاضب مقهور:

ويلك يالِي اذيتِ من النار مخلوق

وأشعلت فتيل الحرب وانتِ شِعِيبها⁽¹⁾

أحلف لك بخالق صمتي المنطوق

لأشعل بعروقك نيران حبي ولهيبها

لم افهم!

شيء بداخلي يريد الهرب والتمرد من ذكريات الماضي، فقلت بصوت يرتعش:
-«أذيتك؟ يا إلهي من أنت؟».

همس بآلم غاضب:

-«أنا من احترقت بنار الهوى، واكتويت بطول الجفاء، وعندما ذقت طعم الوصال، ونعمت بعد طول صبر وعذاب، تعودين لتحارييني بهذا الماء، أقسم لك بأنك لو شربت ماء الحميم نفسه فلن تتخلصي مني وأنا بي قلب نابض».

(1) شعيبها: أي ميدان المعركة والقصد بأن جسد (منى) أصبح أرض المعركة.

انتفضت من فراشي وكنت حينها محمومة، يا إلهي ذلك الصوت أعرفه! لم أعد أرغب بالنوم فلا أريد أن أحلم بالمزيد.

دخل (وليد) ومعه جالون ماء آخر وقال:

- «هذا ماء من شيخ آخر لا أدري... أيهما تريدان أن تشربي منه؟».

قلت مُتململة مُتألِّمة:

- «إذن امزجهما معًا».

طأطأ رأسه وقال:

- «فكرة جيدة».

قام بما اقترحته وبعد مزج المياه في جالون واحد أحضر لي كأسًا منه وقال:

- «هيا اشربي».

زمت فمي مُشمِئرةً وقلت باستهجان:

- «لقد شربت منذ لحظات، يكفي».

قال بحسم:

- «فلتشربي المزيد».

أمسك برأسي وجعلني أشرب الماء ثم قَبَّل شفتي الئيتين وقال بحنان:

- «الصغيرتان نائمتان وكل شيء بخير، لا تقلقلي أنتِ وارتاحي حبيبتي».

شعرت بالغثيان، وبنعاس شديد، سقط رأسي على الوسادة ورأيت نفسي هناك في حديقة بيتنا القديم في مدينة (أبها) ووالدي وأخواتي (سمية) و(عير) و(فاتن)



وكذلك (مها) يجلسن في حلقة، رأيتهن فشعرت بسعادة وحنين لأجلس معهن رغم كراهيتي للمكان الذي اجتمعن فيه، تقدّمت نحوهن ولكن فجأةً برز رجلان شيخان أحدهما أسمر نحيل والآخر أبيض ممتلئ، تقدّما نحوي فارتجفت منهما، وهنا ويا لدهشتي نطق لساني ولكن لست أنا من استخدمه، لقد استحوذ عليه من بداخلي وأخذ يصرخ بصوتٍ مجنون وأنا أسمعُه ولا أقوى على السيطرة عليه أو على جسدي ولساني، لقد سمعته ينطق من بين شفتي مستخدماً لساني وأوتاري الصوتية ليخرج منها صوتٌ لا يخصني، صوتٌ رجل يصرخ بجنون المعذب:

- «أحبهاااا أحبهاااا أعشقهاااا أعشقهاااا لن أتركهاااا هي ملكي ملكي ملكي وحدي».

في الحيرة سقطت وفي ذهول صرخت مشاعري بأنه هو! ذلك الصوت وتلك المشاعر وذلك الحب المجنون.

إنه هو (جَمْنُون)...

لا يزال داخلي.

(جَمْنُون) لم يخرج مني أبداً.

هذا ما أدركته واستوعبته لحظتها.

أمسك بي الشيخان و(جَمْنُون) مستمر بالصراخ ويدهما كأس ماء رشوني به وهنا عدت أسيطر على لساني وأعضائي، كنت اجلس بجوار عائلتي والشيخان يحوطان بي، قلت بحيرة والدموع تسيل مني بصدمة:

- «لقد كنت بخير، أقسم بأنني لم أعرف بأنه موجود، لقد تعالجت منه وشفيت فظننت بأنه تركني ورحل لم أكن أعرف بأنه موجود طول الوقت، لقد راوغني وخدعني، ولكنه عاد الآن ليظهر وجهه ونفسه».

ابتسم الشيخان في تفهّم ثم قدّما لي كأساً به سائل أسود ذو رائحة نفائّة، نظرت نحوهما في حيرة فسمعت (سمية) تقول:

- «إنه مسك أسود».

قال الشيخان معاً وفي نفس الوقت:

- «اشربي منه يا (منى)، اشربي».

قرّباه من فمي وعندما هممت بأن أشربه نهضت من حلمي فجأة، أمّ أنّه كابوس؟ أمّ أنّها رؤيا؟

كنت أتصبّب عرقاً والذهول يغمرني، أصابني الحلم بصدمة عنيفة برغم الشك الذي قد أصابني عدّة مرات في الاسابيع الماضية من أن (جَمْنُون) موجود أو يطاردني، ولكنني لم أكن على يقين، فقد كنت أظن بأنه عقلي الباطن، وعقدة الماضي هما اللذان صوراه لي في المنام، حالة نفسية تلاحقني ولكن الآن عرفت كل شيء فالثعلب الماكر لا يزال معي..

طول هذه السنين.

ست سنوات كاملة حسبت بأنني وحدي وإذ به لا يزال داخلي.

كيف اختفى فجأة وكأنّه غير موجود؟! ثم عاد للظهور؟!

وهنا ويا للصدمة عاد صوته يحدثني كالماضي، عادت كلماته تتدفّق عبر عقلي وهو يقول ثائراً:

- «لقد أردت أن تتخلّصي مني، لذا اضطرتت أن أصمت وأوهمك بخروحي، حتى عينك الثالثة الكاشفة أغلقتها فلم تعودي ترين أي جني؛ لتتأكدي من عدم وجودي ولا تشعرين بي وتتخلصين من فكرة محاربتني، لم أعد أكلّمك، لم ادعك ترين عالماً، حتى حاولت أن لا تشعري بحرارة ناري في لحمك؛ لأبقى معك بأمان



ولا تحاربيني وتطرديني من جسديك وتعتقدين بأنني خرجت، تركتك تعيشين رغم غضبي منك وحاربت هذا الغضب لأحميك مني، والأدهى من ذلك سمحت لك بالزواج من عشيقك الذي أغار منه لحد الموت، تحملت أن أراه يلمسك، كنت أتعذب وأنا أراك تبادلينه العشق والهيام وأنا في جحيم حرمان، ولكن الحياة آآآ كم كانت غريبة الحياة، فصمتي لم يطل فلم أعد أستطيع حرمانًا، فعدت إلى محاولات كانت فاشلة، ولكن عشيقتي قد نامت في وقت الغروب، حينها انفجرت مشاعري فقد كانت فرصتي التي انتظرتها منذ سنوات مريرة، لقد توحنا على شاطئ (الشقيق) الذي أردتك عنده في الماضي وأنت رفضت ولكنني فعلت ما تمنيت ومن بعد تلك المرة جئتكم مرارًا وأنت تحسبيني (وليد)، من كان يصدق بأن حبك ل(وليد) الذي أبعدك عني هو نفسه السبب الذي قربك مني؟ وذلك لأنني استخدمت شكله لأحصل عليك، لقد عشت معك أسعد لحظات حياتي فلا تظنين بعد ذلك أن أبعد عنك ولو شربت السم، أقسم بربِّ أوجدك في قلبي منذ الأزل أن لا أتركك أبدًا.

صرخت نائرةً من هول الصدمة:

- «أيها الثعلب الماكر، لقد كنت أحسبك زوجي، فلماذا تحسبني كنت معك؟».

ضحك بمرارة وقال بوجع:

- «أحقًا؟ يا للعجب الشكل شكل (وليد) ولكن اللمسات لمساتي أنا، والعيون عيوننا أنا، أنا (جَمُنُون) الذي أقسمت لك بأنني سأفعلها ولو بعد حين وقد وفيت بقسمي، ثم لماذا لا تفهمين؟ ولماذا تعاندين؟ أنت تجعليني أفقد أعصابي وأغضب رغبًا عني، تغضبيني بحبك ل(وليد)، تغضبيني عندما ترغبين بشرب ذلك الماء الذي أحضره (وليد) أنا لا أستطيع السيطرة على غضبي، (منيّة) بربك أنا مخلوق من نار وطبعي نائر، لا قدرة لي ولا سيطرة لي على مشاعري، وأنا لا أرغب بأذيتك، ولكنك عنيدة وتكابرين، حبيبتي أنا مستعد بأن لا أغضب منك بعد اليوم، ولكن بشرط ألا تشربي ذلك الماء وتحاربي وجودي معك، و بالنسبة

ل(وليد) سأتركك تعيشين معه بسلام، ولكن لا تتخلي عني فأنا قدرك ولا يحق لنا محاربة أقدارنا، وأنا.. أنا أحببتك قبله، يا للسخرية قد كنت أرفض أن تكوني لرجل غيري، ولكن الآن انظري إلى حالي، ومدى إذلالي وتنازلائي، فأنا الآن أقبل وأقبل أن أكون معه حتى أبقى معك، وهذا تنازل مني لعمرى العظيم».

كانت دموعي غزيرة تتساقط من عيني حتى بلّلت الوسادة وأنا أشعر بالقهر والهزيمة، كنت كالهائمة على وجهها، فقلت بذهول وبصوتٍ خائر:

- «مثل لص خفي يختبئ داخل ركن المنزل الشديد الظلمة، فإن الطيف قابع في داخلي مختبئ في تلك الزاوية ليسرق في الخفاء، هذا بالضبط ما فعلته بي يا ماکر».

همس بصوتٍ مضطرب:

- «أنا لست شرًّا بل انا حب».

هتفت مُتخاطرةً معه:

- «اخرس».

ارتعد صوته وقال:

- «لا تغضبيني، فأنت قد أفقدتني عقلي بعصيانك».

بكيت وهمست:

- «تَبًّا لك».

ارتفعت يدي في الهواء عنوةً وشفعتني.

شهقت في دهشة وأنا أدرك بأنني صفعت نفسي وذلك لتحكُّمه بيدي، هل بلغت به الجرأة أن يتحكَّم بأطرافي تمامًا كما فعل في الماضي؟ وكأنه فهم ما يدور



في رأسي فقال وهو يلهث غضبًا:

- «نعم كالماضي، ولكنني الآن رفعتها لأضعك على عصيانك، أنا عفريت ألا تفهمين؟ كم مرّة أخبرتك؟ أنا عفريت، أقوى أنواع الجن، أنا سيد قومي ومع ذلك وقعت صريع حبك وأصبحت عبدًا لك، وأنتِ تتمردين عليّ وتنبذيني دائمًا، يكفي الآن يكفي.. لا تجبريني أن أظهر قوتي التي ما عدت قادرًا على إخمادها أكثر».

كنت مُصابةً بالذهول والفرع، فجأةً ارتفعت يدي من جديد بدون أن أتحمّك بها واتّجهت إلى خدي لتلمسه في حنان ثم قال وصوته لا يزال يغلي:

- «أفقدتني صوابي، (منيتي) أنا آسف، أعتذر منك حبيبتي، لتنامي الآن ولتنعمي بأحلام جميلة».

تمرّد عقلي ورفض الرضوخ له، فارتبكت وقلت:

- «أريد أن أكل، لا أريد أن أنام».

قال برقة:

- «أنتِ مُتعبة، فالنوم راحة لك».

قلت بعناد:

- «والأكل أيضًا مفيدٌ لي، فأنا جائعة».

صمت لحظةً ثم قال لي بليوننة:

- «فلتأكل (منيتي) حبيبتي، يكفييني سعادةً بأننا عدنا نتحاور كلسابق، فقد اشتقت لحديثك معي».

لا وألف لا، هذا ما يظنه (جَمْنُون) لن أرزح تحت قوته، لن أعيش حياتي كالجارية له، فأنا سأتمكّن منه بعون الله.

إن كان عفريتًا قويًا فالله ربُّ الكون أقوى منه.

سأحارب لأجل حريتي حتى لو سقطت صريعةً، فإما أن أنتصر أنا أو ينتصر هو،
لن أجعل جسدي مسكنًا له، والأيام بيننا.



14

نداء الحرية

لا شيء أعلى من الحرية..

لأجلها أحارب كل أنواع العبودية.

حُبُّ مهووس

ممسوسة هي، وقصتها غريبة إذ أحبها عفريت من الجن بجنون، كم قاومت (منى) رغباته وظنّت بأنها الفائزة ولم تدرك بأنّه عاشق مثابر له خطط بديلة وسيفعل المستحيل وأي شيء تتوقعه ما عدا أن يخرج منها.

شعرت بالقنوط وبأن الخلاص منه أمر مستحيل ولكن لا يزال قلبها مُتعلّقُ بأملٍ واحدٍ يبرز لها من حين لآخر كسحابة ماطرة تنتظرها أرض جرداء، ذلك الأمل في أن تستعين بالله رب العالمين، ولكن هل تقدر على هذه الخطوة؟ (جَمْنُون) سيحاربها، فهل تقوى على قهره ودفعه لأن يخرج أو أن يقع صريعاً لعناده وتمرده على الفطرة؟

كم تتمنى.

عليها اليقين بالله والثقة بقدرته، فهذا سلاحها الأكيد للفوز عليه.

خرجت إلى الحديقة الصغيرة الملحقة بالشقة ذات الدورين التي تسكنها، كم كان الجو بارداً في وقت المساء، ف(الرياض) جوها بارد شتاءً حار صيفاً، أما في فصل الربيع الذي تعيشه الآن فالجو بديع، ولكن هذا لا يمنع من لسعات بردٍ تتخلّله ليلاً، لذا تدثّرت بشالها.

سمعت (جَمْنُون) يقول لها بشوق:

- «الليلة».

قطّبت جبينها وتساءلت قائلةً:

- «الليلة ماذا؟».



ردَّ بشوق:

- «الليلة القمر بدرٌ، ودماءُك تضخ في عروقك بقوة، وأنا أيضًا».

انتفضت بدهشة وقالت:

- «ماذا تعني؟ من أنت بالنسبة لي؟».

قال بصوت يهتز كالرعد:

- «أنا.. من أنا؟ أنا من أحبك منذ طفولتك، إن لي فيك نصيب، ففي عرفنا أنت زوجتي».

ارتجفت وارتعدت وهي تشعر بكلماته تلك تتغلغل في روحها، قالت بارتباك:

- «عرفكم لا يسري عندنا.. لا تكن سخيًّا».

صرخ بغضب هادر:

- «(منية)».

ارتجفت رغمًا عنها، فهي الآن تواجه (جَمْنُون) العفريت بشخصيته القوية وليس ذلك المتساهل معها.

قال بعد برهة صمت وصوته قد هدا قليلًا وإن كانت أوتاره لا تزال ترتجف:

- «شدتِ أم أبيتِ أنت لي، لقد قبلت بحياتك الجديدة مع رجل غيري وتنازلت عن حقي الوحيد بك، فماذا تريد من أكثر من ذلك؟ اقبلي بهذا وخلصي نفسك من معاناة التفكير».

أخذت تُفكّر كالمحمومة..

أي كلمات مُبَطَّنة يستخدمها ليقنع بها أي امرأة؟ ولولا شخصيتها المستقلة القوية لوقعت فريسة تبريراته، إنها تحبه ولكنها لا تريد حياة غير مستقيمة.

قطع عليها حبل أفكارها عندما قال بلزوجة:

- «لا تكوني مُعَقَّدة وعيشي حياتك، عيشي الهوى، فأنت أكثر نساء العالم حظًا، فالمرأة تموت لأجل رجل يحبها، أما أنت فتملكين قلب رجلين غارقين في حبك، وكلاهما ملك لك، فافعلي بنا ما تشائين فنحن لك عبدان».

صمت لحظةً واستطرد:

- «أليس ما أفعله ذليلاً على حبي وطيبة قلبي؟ عفريت آخر كان قد آذى زوجك، ولكن لأني أعشقك فأنا تركته بسلام حتى لا تحزني، كل ما أريده هو قبولك بي، وهكذا الجميع يعيش بسعادة وسلام، والليلة.. لتكن ليلة جميلة».

ابتلعت ريقها وهي تتخيّل بأن تستمع لاقتراحه وهكذا تكون خائنة لزوجها، فلو عرف (وليد) بوجود (جَمُون) لمات كمدًا ولو استطاع لقتله.

قالت وهي ترتجف بردًا:

- «الجو بارد».

قال بكياسة:

- «بإمكاني تدفئتك».

لم تجبه ولن تفعل، ووضعت يدها على بطنها وتصنعت التعب لتتملّص منه وقالت بوهن:

- «آآآآه أشعر بالوجع».

ردّ (جَمُون) بتوتّر:



- «لا أشعر بألم في داخلك! فلماذا تقولين بأنك موحوعة؟».

قالت ببراءة:

- «أشعر بألم في معدتي، ربما أكل الليلة كان به فلفل كثير».

قال بمرارة:

- «أنا أعرف إن كنت مُتعبة أم لا، أنتِ فقط لا تريدان أن نعيش الحب سويًا، حسنًا المهم أن تكوني بخير والليالي الجميلة يا (منيتي) قادمة».

في اليوم التالي أمضت وقتًا ممتعًا مع زوجها وطفلتها، لم تُعد تشعر بالضيق في صدرها؛ لأن (جَمْنُون) لم يُعد يشعر بالغضب والحزن، فهي رقيقة معه، لقد عادت تتعامل معه كصديق من جديد ولكنها تقاوم رغبته في ممارسة الحب معه بدون أن تجرح مشاعره، أخذت تلعب مع ابنتها قبل نومهما وهنا قال (جَمْنُون):

- «إنهما نسخة طبق الأصل منك، جمالك الساحر انتقل إليهما، كم أنا سعيد لوجود نسختين منك، ليت العالم كله أنت».

وما هي إلا لحظات حتى خرج (وليد) من غرفته يرتدي (شورتًا) أسود وقميصًا أبيض كشف عن صدره، كان فاتنًا ورائحة عطره اختلطت بأنفاسه، اقترب منها ورماها بابتسامة عذبة، وحمل (إيلين) تارگًا لها (تولين) وغمز لها بعينه قائلاً:

- «لنضعهما على فراشيها ومن ثم سأضعك على فراشك».

أتبع كلماته بضحكة مأكرة ساحرة.

- «اللعين يجيد الغزل وفن الكلام».

كانت تلك كلمات (جَمْنُون) الساخطة.

نهضت مع زوجها بخجل من نظرات (جَمْنُون)، ذهبت إلى حمامها الخاص أولاً وعندما أنهت تنظيف أسنانها نظرت إلى المرأة وهناك داخلها رأته تمامًا كالماضي، ولكنه تغَيَّر، فتلك المسحة الطفولية لشاب في التاسعة عشر من عمره حل مكانها مسحة رجولية لشاب أكثر نضجًا، وإن كان لم يكبر سوى سنة فقط! فالجن كما قد أخبرها (جَمْنُون) من قبل لا يكبرون بسرعة مثلنا، ففي أربع سنوات تقريبًا يكبرون فيها عامًا واحدًا، ورغم ذلك فالوجه الناعم الطفولي تَغَيَّر وأصبح أكثر حِدَّة وجاذبية، وذلك الشعر البني المبعثر في عفوية والذي كان يصل إلى نهاية رقبته صار يسرحه إلى الخلف فأعطاه سمة رجولية أكثر من الماضي، وكأنَّ عذاب الهوى جعل ذلك المراهق يتحوَّل إلى رجل ناضج، إنها تدرك بأنه أوسم من رأث في حياتها بطلته الأشبه بمصاصي الدماء المثيرين.

ابتسم لها (جَمْنُون) بسعادة من قابلٍ حبيبته بعد غياب، فهما لم يريا بعضهما عبر المرأة منذ زمن مضى، والآن تلتقي عيناها من جديد على أرض الواقع، والرغبة والهوى تعترم في داخله فتنعكسان في عينيهِ اللوزيتين المُتَيِّمَتَيْنِ، ضيقهما وهمس بشفتيه الرقيقتين قائلاً:

- «حبك نخر عظامي».

أشاحت بعينيها عنه وهي تشعر بمدى عذابه، فها قد رآته الآن بعد غياب ست سنوات كما الماضي، لا تنكر بأنه دغدغ مشاعرها، فمهما فعل لا تزال تكن له مودة ولكنها ترفض وجوده في جسدها خاصة بعد أن أصبحت مُتزوَّجَةً، ابتلعت ريقها في هم وخرجت من الحمام.

قبلها (وليد) فشعرت بلسعات من نار الغيرة تحرق قلب (جَمْنُون)، كانت تشعر بالحرَج طوال الوقت ولذا في اليوم التالي قرَّرت قرارًا سيكلفها إما سعادتها أو شقاءها، ولكن الحرية سعرها باهظ ولا شيء أغلى من الحرية، هكذا قالت لنفسها:



- «نعم لا شيء أغلى من الحرية، لأجلها سأحارب جميع أنواع العبودية».

جلست وأمسكت بجهاز (IPad) ودخلت الإنترنت وكتبت في مربع البحث (الرقية الشرعية).

خرجت لها خيارات كثيرة منها منتدى الرقية الشرعية دخلته وأخذت تقرأ عن المس العاشق، ساقها بحثها في ذلك المنتدى إلى عنوان باسم (كيف ترقى نفسك) دخلته وهي تدرك بأن (جَمْنُون) يقرأ معها، ابتلعت ريقها وبدأت تقرأ، لم تكمل أول ثلاثة أحرف من البقرة (ألم) حتى سمعته يهتف بها ناهراً:

- «ماذا تفعلين؟ وعلى ماذا تنوين؟ هل جننت؟ هل تعتقدين بأنك ستتخلصين مني؟ كيف تفعلين ذلك بصديقك؟!».

أكملت بعناد:

- «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ».

صرخ بها ناهراً:

- «إن أكمليت فأنا عفريت، لن أتأذى بسرعة وحتى لو استمررت فعندي قدرة على تحمل الألم، وحراسي لن يتركوك هكذا وأنت تؤذين رئيسهم».

هتفت بقهر:

- «وهل سنتركهم يؤذوني ! أين حبك الذي تدعي؟».

صرخ بقهر:

- «موجود... أعشقتك يا لعينة».

صرخت بغضب:

- «بل أنت اللعين، الحب لا يعني الإجبار، قل لي إن كنت تحبني لما لا تتركني بسلام؟ ألم تتعب؟ ألا تتوب؟».

أصرَّ على أسنانه قائلاً:

لن أتوب لن أتوب
قد غرقت في الذنوب
لن أتوب لن أتوب
فنصيبي منك مكتوب

هتفت بحنق:

- «حتى لأجل خاطري».

صرخ بجنون:

- «لأجل خاطرك أفعل أي شيء ما عدا أن أتركك.. لاااا لا أقدر، أموت بدونك يا روح وقلب (جَمُنُون) اموت بدونك، لقد خلقت من روحك فلا تحرميني منك».

بكت وهي تدرك هذا العشق الذي حتى (وليد) لن يقوى على حبها بهذا الشكل، فالبشر لا يملكون هذه العاطفة المجنونة إلى حد الموت إلا حالات نادرة، قالت له من بين نهناتها:

- «أقسم لو أنك بشري لكنت أحبتك منذ أول لقاء بيننا، ولكن منعني عنك أنك من عالم آخر، ورغم أني أحبك بطريقة مختلفة فأنا أحب (وليد) وأنت تعلم ذلك، والآن أصبحت زوجته ولا أرغب أن تحتل جسدي».

قال برجاء وهو يبكي:

- «ماذنبني أنني لست بشرياً، ابق معي فلن أمنعك، ولكن لأكن معك، فبدونك



أموت».

قالت بحزن شديد:

- «لا تذكر الموت، أريدك أن تعيش، وبسعادة أيضًا، اسمعني يا صديقي عُدْ لـ(جُنْيَاه) إنها تحبك، لا بُدَّ أنها تنتظرك هناك في أرض الجنوب، عُدْ لها واكسب رضى والدك الملك ووالدتك والعشيرة، وعندها ستعيش بسعادة مع من تحبك صدقني».

ضحك بهستيرية وقال:

- «(جُنْيَاه) ليست في أرض الجنوب».

سَأَلَتْهُ:

- «هل تزوجت غيرك؟».

هتف بعداب:

- «محاال، فنحن الجن لا نبدل رأينا أو قلوبنا مثل البشر، حبنا مخلص وعنيف ومجنون، أنا ولهان ولهان، لم ولن أحب سواك منذ ١٧ عامًا، فلازلت أحبك وسأظل، وهي بالمثل لا تزال عاشقة ناقمة تسكن جسد أمك الغافلة في أرض الغريبة».

هتفت بصوتٍ باكٍ مفزوع:

- «ماذا؟! ألم تخرج مثل الوزير (شياط)؟ واحسرتاه، عليك اللعنة يا (جَمُون) وعلى (جُنْياه)، لو كنت تحبني حقًا لحَرَرْتَنِي من أسرك فتتحرَّر والدتي وتعيش بسلام، هذه آخر فرصة لك قبل أن أحرقك أنا، وأهددك أنا، إن كنت تحبني حقًا فاخرج مني واجعل (جُنْياه) تخرج من أمي، ستقدِّم هي لك السعادة وأنا أعيش سعيدة وأمِّي تعيش مرتاحة، أليس غاية المحب رؤية حبيبهِ سعيدًا؟ فاذن اجعل



مني سعيدة».

صرخ بهياج وجنون غاب معه العقل والمنطق:

- «سأجعلك سعيدة بقبلائي.. بأحضانِي.. بمحبتِي فقط.. لا شيء آخر، لن أخرج، لن أخرج لن أخرج، ولو أحرقتني، ولو عذبتني لن أخرج. أحبك أحبك أحبببك».

أتعبها رأسها فقد داهمها الصداق مع عصبيته وصراخه، فأمسكت بصدغها ولهت في تعب، ثم همست بحسم:

- «فإذن لتكن الحرب».

لهث بغضبٍ هادرٍ وقال بعذاب:

- «افعلي ما شئتِ فلن أكرهك ولن أتخلى عنك».

قالت بعزم:

- «لن تفرض عليَّ أمراً ولن أياس من رحمة الله، وسأتخلى عنك وعن حبك».

صرخة مُدَوِّية أشعرتها وكأنَّ طعنة خنجر أصابت قلبها فعرفت بأنه قلب (جَمُون)، ولكنها في سبيل الحرية ستقاوم عاطفتها تجاهه، فأخذت تقرأ وقلبها يقرع كآلاف الطبول، سحبت نفساً عميقاً وقالت بيقين:

- «بسم الله».

ثم أخذت تقرأ وتقرأ، فولت كهربائي يجري في عظامها، واصلت وواصلت حتى انتهت من الرقية كاملة، وستعود كل يوم، نعم هي الحرب قد أعلنتها على من احتلَّ جسدها سبعة أعوام».



أبواب الجحيم

منذ أن اتَّخذت قرارها بمحاربته، والبيت لم يَعد بيتها الذي تعرفه، كانت عندما تصعد لغرفتها ورغم الإضاءة إلا أنها تشاهد طيفاً يمرُّ بسرعة من أمام الردهة المقابلة لغرفتها، طيفاً أسود مرَّ بسرعة واختفى.

ابتلعت ريقها وذُكِّرت نفسها بما شاهده وتَمرَّت به في منزل والدها في الجنوب، أليس من المفترض بعد ذلك أن تكون لديها حصانة من الخوف؟

ثم إنها قد قرأت الرقية وعليها أن تكون شجاعة وأن لا تدع الجن يرون هالتها الخائفة فيُكشف أمرها.

عليها أن لا تخاف وتتوكل على الله وتستعين به.

مشى بهدوء وذكر اسم الله، وعندما أصبحت امام باب غرفتها شعرت ببرودة تسري في جسدها، فتحت الباب وكانت الظلمة أمامها، أنارت طريقها بالهاتف المحمول ودخلت غرفتها التي لم تَعد كالسابق، تساءلت منذ متى وغرفتها مدمورة بالجن؟!

كيف لم تنتبه لذلك؟! وهي التي تملك روحاً شفافة منذ صغرها تجعلها تشعر وتحس بالأماكن المسكونة.

إنها لا تنكر بأنها كانت تشعر بعض الأحيان بوجود كيان ما في غرفتها. ولكنها الآن تشعر بأكثر من كيان، فهل كانت غرفتها هكذا من قبل؟ أم أن محاربته (لجَمُون) جعلت حراسه يُعادونها أكثر لأنها قد تؤذي أميرهم ورئيسهم المستقبلي.

طردت الأفكار المخيفة من رأسها وقَرَّرت أن لا تفكر بسلبية واتَّجهت إلى

حمامها الخاص لتبدأ في طقوس علاجها، أخذت الماء المقروء عليه وخلطت معه الصدر ودخلت حمامها لتغتسل به، هنا سمعت صوت طرقات على باب الحمام، تعجّبت ف(وليد) نائم، فهل استيقظ ويرغب بالحمام؟

قالت بحذر:

- «(وليد) هل هذا أنت؟».

ترقّبت عيناها مقبض الباب، فإن فتح فهو (وليد)، ولكن لا شيء.

بدأت تشعر بالريبة، ابتلعت ريقها وخلعت ملابسها، وقبل أن تسكب ماء الصدر على رأسها عادت الطرقات من جديد، فهتفت بحنق:

- «(وليد) تستطيع الدخول، الباب غير مقفل».

ولكن لا مجيب، ف(وليد) غارق في النوم.

لم تعد تحسبه (وليد) فواضح بأنه مخلوق من عالم آخر، فهل سيمنعها من الاغتسال؟

بسرعة وكأنها تخاف أن يمنعها فعلاً، سكبت ماء الصدر على رأسها وأكملت حتى انتهت، نشفت جسدها وارتدت منامنها، ثم خرجت، شعور غريب، شعور مهيّب أن تقف في المكان الذي تظن بأن جيئاً قد وقف فيه منذ لحظات ليترك باب الحمام، ذكرت اسم الله ثم اتّجهت إلى المنضدة وأخذت من فوقها قارورة زيت الزيتون ثم دهنت جسمها بالزيت وهي تشعر بحرارة تدبّ في جسدها، تحمّلت الألم وتحمّلت، فلا شيء يبقى إلى الأبد.

انتهت وكانت منهكة تنتظر اللحظة التي ترمي بجسدها على فراشها لتنام وترتاح ولكنها تدرك بأنها لن ترتاح فالكوابيس أصبحت تداهمها وتقض مضجعها.



ولكن لا مهرب من النوم إلّا إليه، فالمرء مهما قاوم النوم ففي لحظة سينهار طالبا له ليرتاح.

اضطجعت على فراشها وأخذت تنظر إلى ظهر زوجها، فبعد ثلاث ساعات سيستيقظ ويذهب لعمله، أما هي فكانت لديها إجازة، بينما هو يذهب إلى عمله، حينها تصبح الغرفة موحشة لا تطاق. اقتربت منه وكلها أمل أن تلتصق به ولكنها تخشى أن توقظه، لذا جعلت بينها وبينه مسافة خمسة سم، قرأت اذكار النوم واغمضت عينيها وسقطت في بئر النوم.

ماما... ماما.

طفلي تنادييني.

ماما.. ماما..

اسمعه تنادييني.

من داخل أحلامها السرمدية كانت تسمع بوضوح صوت (تولين) تناديها أو ربما تكون (إيلين).

ماما.. ماما...

فتحت عينيها كمن فاق من غيبوبته فجأةً، إن طفلتها تناديها وصوتها يصل إليها من جهاز الصوت الموضوع على الطاولة المجاورة لسيرها (الكومود)، قفرت من على سريرها وهولت لغرفة ابنتيها، وهناك اتسعت عيناها فابنتاها نائمتان بوداعة القطط.

انتظرت للحظة لعلّ طفلتها نادت عليها ويئست ثم نامت وربما ستعود تناديها من جديد، انتظرت خمس دقائق ولكن لا شيء، فاقتربت من طفلتها لتلاحظ

نومهما العميق الذي يدلُّ على أنه متواصل منذ ساعات مضت، فإذن لا يمكن أن تكون إحدهما نادت عليها أصلاً.

قرات آية الكرسي على ابنتيها وعادت تجرجر الخطى إلى غرفتها، استلقت على السرير، فجأةً سمعت من جهاز الصوت فحيح كفحيح الأفعى، صوت أبج فاقشعر بدنهما وانتصب شعر ساعديهما، اندفعت لترى ما هذا الصوت المنبعث من غرفة ابنتيها الحبيبتين وهناك، لا أحد.

طبعاً لا أحد فهل نراهم كما يروننا؟

اقشعر بدنهما واتَّجهت إلى الغرفة، عندما جرجرت خطاها نحو غرفتها لتنام سمعت أذان الفجر فشعرت بالراحة والابتهاج وكأنه قوة مغناطيسية تسحب الشر من البيوت، أو لكأنه قذيفة تنطلق فتجعل الشياطين تهرب منها وتختبئ، أدَّت صلاة الفجر وقالت أذكار الصباح ونامت بعمق.

في إحدى الليالي رأت حلمًا وكان وقتها بقي يومٌ على موسم الحج، رأت عند نهاية السلم ثلاثة رجال واقفين بطول الثلاثة أمتار ليرهبونها ولونهم بالكامل أبيض شفاف وكأنهم أشباح، وهنا فتحوا أفواههم لتكون طويلة بحجم الذراع فبدا وكأنها فوهة جحيم ستبتلعها، ثم أطلقوا من تلك الفوهة صوتًا مُخيفًا اشبه بالنفخ في البوق، كان صراخهم مُخيفًا ولكنها تماكنت نفسها وصاحت بصوتٍ عالٍ ليتعدى على أصواتهم مُرَدَّدَةٌ تكبيرة الحج، كهالة مغناطيسية تذبذب صورتهم واخذت في الاهتزاز، فألهمها الله أمرًا وهو الأذان، فهرولت الدرجات نزولًا واستطاعت رغم طوله أن تمسك برأس أحدهم ووضعت فمها عند أذنه اليسرى وأدَّنت أذان الصلاة.

فجأةً اختفوا تمامًا، نظرت نحو مكانهم الخالي وهي تدرك بأن الله أكبر من العفاريث والمردة، ومن الشياطين والسحرة، وجبابرة الأرض جميعًا، فجأةً ظهر



لها رجل شيخ متدين يرتدي لونًا أبيض، وله لحية بيضاء، والنور يشع من وجهه، تقدّم نحوها وابتسامه رضى على وجهه وقال بوقار وقد رفع سبابته نحو السماء:

- «نعم يا ابنتي اذكري الله».

نظرت نحوه بدهشه فوجدت نفسها تقول:

- «لا إله إلا الله».

أفاقت من نومها فجأة، للحظات لم تقم بأي حركة، وكان عقلها يرغب في أن يستعيد صحوته من سباته، ثم رددت بسعادة:

- «لا إله إلا الله».

مرة أخرى في منامها رأت (جَمُنُون) يجري في أروقة بيت (أبها) بهيئته الحقيقية ولكنه بدل بياض بشرته أصبح مُصفرًا، كان مُتألمًا وقال بعتب:

- «لماذا تعذبين مَنْ عشقك حتى الجنون؟ لماذا يا (منيتي) ؟ لقد فتحت لك الآفاق كهبة مني، فقد صارت عيناك أكثر شفافية بسببي، أصبحت مميزة عن غيرك، جعلت عمري وحياتي يدوران في فلكك، ولم أطلب من الدنيا سواك، فارحميني أرجوك وتوقفي عن محاربتني».

قالت بصرامة:

- «أعطيتني هبة وفي المقابل ملأت روعي تعبًا، فاخرج مني يا (جَمُنُون) ولن أؤذك أكثر».

قال وهو يلهث تعبًا:

- «سأخرج.. سأخرج».

قطبت حاجبيها وقالت بشك:

- «أتعدني بأنك حقًا ستخرج ولن تعود؟».

قال وهو يجري نحو باب صغير الحجم:

- «نعم نعم سأخرج».

قالها حتى وصل إلى ذلك الباب الصغير المعلق في الجدار كالنافذة تراه لأول مرة، وهناك مستغلًا ظلمة المكان استكان بجانب الباب ولم يخرج.

عرفت بأنه يُمثّل عليها أنه سيخرج ولكنه لن يفعل، حينها صرخت بصوتٍ هادر:

- «(جمنووون) لن تخدعني مرّةً ثانية، فإن لم تخرج مني فلتحترق ولتمت لا أريدك لا أريدك...».

سدّ أذنيه بيديه وصرخ باكياً:

- «لاااااا يا (منيتي) لا تقولي ذلك».

قالت بحسم:

- «لا أريدك.. اخرج وارحل إلى الأبد».

رماها بنظرات مصدومة والدموع تلمع في مقلتيه لكن العناد أجلسه أرضًا وأخذ يضرب بقبضته على صدره موضع القلب، قائلاً وهو يصير على أسنانه كحيوان مفترس:

- «لن أستسلم، فحبك مغروس هنا.. هنا، معك حتى الموت فأنا بك عالق».

فتحت عينيها مدهوشةً من شِدّة إصراره فمطّت شفتيها بامتعاض ودارت على عقبها راحلةً لتشعر فجأةً بثقل بلوزتها الطويلة من خلفها، وعندما التفتت إلى



الوراء، وجدت (جَمُنُون) يعضُّ بلوزتها بأسنانه وهو يزمر كالذب مُتعلِّقًا بها، فعرفت بأنه مُتعلِّق بذيلها ولن يتركها.

هزّت بلوزتها بقوة وأخذت تدور حتى عجزت عن اسقاطه أرضًا، لَقَّت رأسها تنظر خلفها فالتقت عيناها بعناد، وهنا استيقظت من نومها وهي تُفكر بأن (جَمُنُون) لن يخرج منها إلا ميتًا كما أقسم أكثر من مرّة، فهو القائل:

"قالوا: هل تحتمل

في الهوى أوزاره؟

قلت: بلغت من الوزر

أمدًا بعيدا

ولو مت دونه فأنا له شهيدا"

قد قال لها أكثر من مرّة بأنه لن يخرج ودونه الموت فقط، ولكن ذلك يحزنها فهي لا تكرهه بل العكس، إنها تحبه رغم رفضها له، ولكن ماذا تفعل؟ هل تتوقف؟ محال بعد أن قطعت مشوارًا طويلًا لتعالج نفسها.

ستُكمل وترى إلى أين ستنتهي.



الثلث

فكرت..

وفكرت..

وفكرت..

كيف السبيل للخلاص؟!

الرقية والتزمت بها ولن تتركها أبدًا، شهادة التوحيد وذكر الله كما أوصاها الشيخ في رؤياها، والأذان كما في حلمها، وماذا بعد لتفعله مع هذا العفريت القوي العنيد.

صوته وصلها مبجوحًا مهزورًا مُتَقَطَّعًا:

- «أنا عاشق مُتَيِّم، معك إلى الموت».

صدمت فهي لم تسمعه يُكَلِّمها منذ بدء علاجها إلَّا في أحلامها، ردت بحزن والدموع تغزو مُقَلَّتَيْهَا:

- «أنت ظالم يا (جَمُنُون)، عفريت ظالم تعدى على جسدي، إني لأعجب من فعلتك فكيف يؤدي العاشق حبيبته إلى الدرجة أن يراها تبكي قهْرًا! ناهيك عن أسر (جُنْيَاه) لوالدي، لقد تعبت من حبك، تعبت تعبت ومهما شعرت بالعاطفة نحوك، ومهما كان بيننا من ذكريات جميلة، إلا أنني أرفض أن تفرض عليَّ حبك بالقوة، وأن تسري نارك في جسدي فتورِّقه، وأنا خيِّرتك ما بين الحرية والموت، ولكنك عنيد قد اخترت الموت، أتحسب بأنني أرغب بموتك، إني حقًّا أتمنى لك أن تخرج مني وتعيش بسلام، وها أنا الآن أحذرك للمرة الأخيرة، إن لم تخرج فمصيرك سيكون الموت حرقًا بالقرآن».



هتف بصوتٍ لا يكاد يُسمع قائلاً:

- «هل نسيت ما قد قلت لك في أول ليلة دخلت فيها جسدك؟ "معك للموت فأنا بك عالق"».

هذه العبارة التي دائماً يكررها، ولذا سحبت نفساً عميقاً وقالت بصرامة برغم حزنها عليه:

- «إذن فلك ذلك».

همس باكيًا:

- «لا يا (منيبي) لا».

زفرت وقالت بحسم:

- «انتهى النقاش... الوداع با (جَمْنُون)».

نهضة بكائه تتردد في عقلها فكادت أن تتعاطف معه ولكنها لن تقع أسيرة لأحد بعد الآن، لن تبقى عاجزة بعد اليوم.

فكرت كالمحمومة؛ إنه متعب ولا يرضى بالخروج ليسلم من الموت، وهو برغم تعبهِ لا يزال عنيداً مهووساً بها، فكيف الخلاص منه؟ إنه سيقتل إن بقي داخلها فهي لن تتوقف عن العلاج لأنها إن فعلت فهي كمن توافق على الأسر، لكنها لا تدري ماذا ستفعل أكثر؟ إنه قوي جداً وصبور، لا ترى حلاً سوى أن تستمر على الرقية والذكر حتى لو استمرت سنوات طويلة، واستخدام الصدر وأيضاً المسك الأسود الذي رآته في منامها والذي تدهن به سرتها، فجأة توقفت كل حواسها ومن خلايا مخها تردّد صدى ذكرى المسك الأسود، تلك الرؤيا التي كشفت لها بما يقطع الشك وجود (جَمْنُون) بها منذ سنين مضت، المسك الأسود الذي طلب منها الشيخان أن تشريه، لماذا لم تشريه إلى الآن؟!

لماذا اكتفت فقط بدهنه على جسدها؟

هل غَيَّبَ (جَمُنُون) عقلها وأنساها هذه الذكرى؟

بعقلٍ مرتعشٍ دهشةً وبحماسٍ دب في بدنِها، توجَّهَتْ نحو قارورة المسك وأمسكت بها بيدٍ تهتز توتُّراً وترقُّباً، وبعينين تلمعان أَمْلاً نظرت إلى العلبة التي تَمَنَّت أن تكون خلاصها من الأسر الذي هي فيه، ففتحتها ثم وجهتها إلى فمها وسمعت (جَمُنُون) يصرخ بلوعة العالم كله:

- «لا يا منيتييييييييي».

أغمضت عينيها بقوة وأخرست صراخه عندما ذَكَرَتْ اسم الله ثم أفرغت علبة المسك الأسود بكاملها في جوفها وجلست تترقَّب، ثقل عجب ألمٌ بها، الأرض تميد من تحتها والسماء تدور.

رغبة شديدة في أن تتقيأ، ولكنها أرادت أن يبقى مفعول المسك أطول فترة ممكنة في جسدها، شعرت بأن عقلها فارغ وكأنَّها ستفقد الوعي، حاولت أن تتماسك ولكن هيهات أن تقدر، أمضت نصف ساعة وهي كالموتى الأحياء وبعدها لا تعرف كيف استطاعت أن تُهرول إلى سلة المهملات لتفرغ كل ما في جوفها.

لم يكن فيؤُّها رائحته مقرفة كالقيء المعتاد، بل شَمَّت بوضوح رائحة لحم محترق.

ماذا بعد ذلك؟

غسلت وجهها وهي تشعر بتعب شديد وكأنَّها طافت بالكعبة سبع مرات وسعت في الصفا والمروة سبع مرات، وتسوقت في أكبر مركز تسوق بـ(الرياض).

لماذا تشعر وكأنَّ شاحنة اصطدمت بها، وكأنَّ عظامها تهشَّمت؟

ولذا مشت مُترنَّحة ورمت بنفسها على سريرها.



دخل عليها (وليد) وسألها بقلق:

- «حبيبتى ما بك؟».

رمته بابتسامة كسلى وقالت بكسل:

- «أشعر بالإنهاك، أريد ان أنام».

ابتسم لها وقال بحنان:

- «ولم لا؟ الساعة الآن الواحدة صباحًا، والصغيرتان نامتا منذ قليل، أنا أيضًا سأنام».

وهكذا ناما معًا، وهناك في عالم الأحلام رأت أنها تمشي في أرض الجنوب الجميلة في طريق يمرُّ بين أراضي زراعية لم تكن خضراء بل إن نباتاتها أشبه بالبراعم الصغيرة والمكان مظلم لسواد ليله، ومن بعيد شاهدت امرأةً تجري وتصرخ كالمجنونة، سمعت الناس يقولون عنها:

- «إنها مسكينة مسكونة بعفريت».

التفت حول المرأة ممرضون من مستشفى الأمراض النفسية، ولفوا حول جسدها ملءة بيضاء، فجأةً سمعت صوتًا لا تدري مصدره يقول بهدوء:

- «لا تنفعها المستشفى، دعوا (منى) تقرأ عليها الرقية».

ابتسمت (منى) في طمانينة وأخذت تقرأ آيات من القرآن الكريم، وأنجّحت لتلك المرأة التي ما إن رأتها حتى سقطت على ركبتيها واستكانت بين يديها، فجأةً وقفت تلك المرأة ورمت الملاة بعيدًا وابتسمت لها إذ قد شفاها الله ثم شكرتها ورحلت.

شعرت (منى) بسعادة لا توصف، وشعرت بأن قلبها عامر بذكر الله وشرائين

عروقهـا يجري فيها اسم الله، فأرادت أن تتشارك ذكره مع الأرض والسماء، مع الطير والزرع، مع الكون الفسيح، فابتعدت عن الطريق ومشت بين المزارع وهي تقرأ القرآن، فجأةً رأته من بعيد، (جَمْنُون) على هيئة أسد ضخـم قادم من أعلى التل، ورغم هيئته لم تخف منه بل ظلَّت الالتسامة المطمئنة على شفـتيها واستمرَّت في قراءة آيات الذكر الحكيم، ودارت على عقبيها راغبةً في النزول لمصطبة زراعية أخرى مولىـة ظهرها للأسد (جَمْنُون)، وهكذا واصلت سيرها نحو الطريق العام، ولكنها لاحظت بطرف عينها أن ذلك الأسد الضخم قادم ليهجم عليها، ورغم ذلك لم تهتّر شعرة واحدة من رأسها وأكملت المسير وهي تلاحظ ذلك الأسد قادمًا بدون أن يجري فقد كان يطفو في الهواء وعندما أصبح على مسافة أمتار منها وهي مستمرة في قراءة القرآن، فجأةً وجدت نفسها تحمل مصحفًا كريمًا فوجَّهته لوجهه فعاد خطوةً إلى الوراء وزأر بقهر، ابتسمت في ثقة ولسانها لا يزال يلهج بذكر الله، اختفى المصحف من يدها وولَّت ظهرها له وهي تدرك بأنه لا يقوى على أذيتها، ومشت في الطريق العام الذي تغمـره أشعة الشمس وهي تشعر بالخفة والسعادة والراحة، وفجأةً أصبح الأسد ثعلبًا وجدته على ساعديها صغيرًا بحجم القطـة، خفيـقًا وكأنَّ لا وزن له، مُمدِّدًا على ساعديها ميثًا، نظرت نحوه براحة ووضعتـه على الأرض وتركته خلفها، ثم نظرت نحو الأمام وأكملت طريقها المغتسل بأشعة الشمس، وهي تمشي وتمشي وصوتها يلهج بالقرآن ليملأ الكون.

عندما نهضت في اليوم التالي تذكَّرت رؤياها وفهمت...

نعم فهمت معناها...

لقد أحياها الله مثلما أحيا الأرض بعد موتها، لقد أضاء الذكر حياتها وملأها بالدفء والنور، و(جَمْنُون) كان أسدًا قويًا، وتصرفَ بمراوغة كثـعلب مـاكر ولكنه مات، مات وأصبح جزءًا من الماضي الذي خلَّفته وراءها، وحياتها الآن أمامها مع ذكر الله والثقة به.



ابتسمت في هناء.

وأدركت..

لقد شفيت أخيرًا من المس...

ثم قَطَبْتُ جبينها وانتبَهِت لأمرٍ ما...

لقد مات (جَمُنُون)..

مات فعلاً!

مات العفريت الذي عشقها طفلة، واستولى على جسدها وهي مراهقة وظلَّ معها وهي امرأة.

مات الذي أقَسَمَ أن لا يخرج منها حتى الموت وقد وفى بوعدِه!

مات الذي فتح أمامها آفاقًا جديدة، وعَرَّفَها على عالم كان خَفِيًّا عنها.

مات الذي بسبب عشقه لها تجرَّعت عائلتها انتقام عفاريت الجن.

مات!

مات مع عشقه وهوسه ولن يعود أبدًا.

وبعد علاج دام طويلاً ذاقَت فيه التعب واليأس مات (جَمُنُون).

مات وصارت حرة.

نعم إنها الآن حرة.

وملكة جسدها وعقلها، وقلبها ولسانها، ودمها ولحمها وعظمها.

ورغم إحساسها بالفوز إلا أنها بكّت بحرارة كالمجنونة.

بكت بألمٍ موتَ صديقها.

بكت لأنها في لحظة تحدّ قتلته.

كانت ترغب بأن يخرج فقط لا أن يموت.

مات من شعرت بأنه قدرها الذي هربت منه.

تمزق قلبها فنامت من جديد هروبًا من الألم.

الألم الذي غمر قلبها.

عندما استيقظت أخذت تفكر بأنها الآن حرة، وعليها أن تكون ممتنة لله على ذلك، فنهضت وسجدت سجود شكر لله، ثم أخذت تدعي والدموع على وجنتيها:

- «ربي إن عبدك (جَمُنُون) بين يديك الآن، ربي إني أشهدك بأنني سامحته على كل شيء، ربي فاغفر له وارحمه فإنه ما فعل فعلته إلا لأنك غرست حبي في قلبه، فارحمه وارحم ضعفه فأنت أرحم الرّاحمين».

وهكذا شفيت (منى) مُؤكِّدًا وليس كالمرة الماضية التي ظنّنت بأنها طابت، والآن ستحافظ على نفسها وعائلتها فذكر الله لن تتركه بعد اليوم، فما أجمل أن تخفق قلوبنا بحب الله، وأن نرطب ألسنتنا بذكر الله، وأن نزداد قوّةً ويقينًا بالله، وحتى إبليس نفسه سيتجنبنا لأننا نؤمن برب السموات والأرض.

ربب الإنس والجن، ربب العالمين.

مرّت ثلاثة أيام، أغدقت على طفلتها الحنان والمحبة والعطف، فحياتها الآن أصبحت معادلة بين الذكر والمرح، فلا إفراط ولا تفريط.

ثلاثة أيام قبل أن يأتيها اتّصال من أختها (فاتن) لتقول بصوتٍ حزين:



- «كيف حالك (منى)؟ أمي مريضة جدًّا، فجأةً سقطت مغشيًّا عليها وأخذها أبي للطبيب وأجرى لها فحوصات كاملة ويقول بأنها أصيبت بجلطة خفيفة».

هتفت (منى) بلوعة:

- «وكيف حالها الآن؟».

ردّت أختها بخوف:

- «الطبيب يقول وضعها الآن مستقر، ووصف لها بعض الأدوية، ولكن لا أخفيك بأن وضعها غير مريح، فقط هي مستلقية على سريرها تن، لا نعرف كيف نتصرف معها؟ وهي تنادي باسمك تريد أن تراك».

انتهى الاتصال و(منى) تشعر بصدرها غائرًا، أخبرت زوجها الذي حجز لهم تذاكر سفر إلى (جدة) وهناك بعد الأحضان والترحيب من عائلتها شاهدت أمها الغالية والجميلة (جميلة) طريحة الفراش ضعيفة، تبدو وكأنها قد كبرت فجأةً عشر سنين فوق عمرها، جثت بجوار والدتها وحاربت دموعها بشدةً وهمست:

- «أمي حبيبتي، كيف حالك؟ أنا (منى)».

فتحت الام عينيها فجأةً ونظرت بجدةً نحو (منى) للحظة سريعة جعلت قلب (منى) وكأنه اعتُصر بيدٍ من جليد، لحظةً أشعرتها بشعور غريب ثم عادت أمها تعمض عينيها للحظة وفتحتهما ونظرت بحنان لابنتها وابتسمت بنعومة وقالت بهمس:

- «حبيبتي (منى) سعيدة لرؤياك يا صغيرتي».

ابتسمت (منى) وسالت دموعها رغبًا عنها، فأما لاتزال تراها صغيرتها رغم أنها الآن امرأة ناضجة، اقترب التوأمين فقالت (منى) لهما:

- «قبلا جدتكما».

هلّلت أمها لرؤية حفيدتيها واحتضنتهما بمشقة ولذا بمجرد ما أنهت تقبيلهما أبعدتهما (منى) عن أمها، ثم اقتربت منها وقبلت رأسها وكفيها فسألتها أمها:

- «كيف حالك يا ابنتي؟».

أجابت صادقةً لتُدخل السرور على قلب والدتها:

- «أنا بخير والحمد لله يا أمي وصحتي طيبة».

هنا شهقت الأم وسقط رأسها على كتفها وأخذت تنّ بالأم.

اندفع الجميع نحو الأم المسكينة، وأعطاهها زوجها مُسكّنًا حتى استطاعت أن تنام أخيرًا.

خرج الجميع من غرفة الأم وجلسوا في غرفة المعيشة، جميعهم؛ الإخوة والأخوات حول والدهم الذي اعتلى وجهه الهم وقال وهو يقلب يده بحيرة:

- «لا أدري ما بها؟! لقد كانت بخير وفجأةً تعبت اليومين الماضيين، والطبيب يقول وضعها مستقر الآن، فماذا بها؟ فأنا لا أراها تحسنت كما يقول!».

احتضنته (منى) وقالت بحنان:

- «ثق بالله يا والدي فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا».

زفر والدها وقال مُصدّقًا:

- «ونعم بالله».

مضت الليلة والإخوة يتبادلون أطراف الحديث تارةً وتارةً يتناوبون السهر على راحة والدتهم التي طلبت رؤية الجميع، فلبى الجميع نداءها ثم قالت بإعياء:

- «أريد أن أخبركم بأنكم كنتم نعم الأبناء لي، فقد رزقني الله أجمل بنات وأفضل



شباب، وأنعم عليّ بزواج محب وعطوف عشت معه أجمل وأسعد أيام حياتي، ورغم أنني أمرض بين الحين والآخر إلا أنني لست حزينة، ولماذا أحزن؟! والمرض يتضاءل بجانب لحظات سعادتي، (أحمد)...».

مدّت يدها نحو زوجها فأمسكها بلهفة، فاستطردت قائلةً بحب كبير:

- «محظوظة أنا إذ حصلت على محبتك واحترامك وعونك لي».

اقترب منها وقبّل رأسها وقال مغالبًا حزنه:

- «بل أنا المحظوظ بزوجة فاضلة مثلك، وأم رؤوف، وامرأة صالحة، إني أشهد الله أنني راضٍ عنك تمام الرضى».

كم كان لكلماته تلك وقع السحر إذ أضاء وجهها، فقالت بسعادة:

- «رضاك عني بمال الدنيا كله».

اقترب منها أبناؤها وكلّ ينهل منها القبلات من قدميها المباركتين، وكفيها وخديها ورأسها، وكلهم يتمنون لها الشفاء، قالت بهناء:

- «الحمد لله رب العالمين إذ رأيتمكم معًا ومجتمعين، والآن أريد أن أنام، أشعر بأن عظامي تذوب تعبًا».

استلقت الأم ووفروا لها سبل الراحة، فأغمضت عينيها وقالت بوهن شديد:

- «لا إله إلا الله».

نظرت نحوها (منى) وانحدرت دموعها حزنًا على أمها وأكملت من بعدها قائلةً:

- «محمد رسول الله».

ثم خرجوا جميعهم وبعد ساعة أتتجة الجميع إلى فرشهم والبعض إلى بيوتهم،

فالفتيات فضلن المبيت في بيت والدهن بينما عاد الرجال إلى بيوتهم.

استلقت (منى) على سريرها بإنهاك بعد أن ودعت (وليد) الذي قد ألقى السلام على والدتها منذ فترة طويلة وتناول وجبة العشاء مع والدها وإخوتها والآن ذهب لينام في منزل عائلته، أما طفلتاها فقد نامتا بوداعة بعد يوم متعب بالنسبة لهما، وهكذا أغمضت عينيها ونامت.

في غرفة والدتها الواسعة المظلمة تراها تقف على السرير بثيابها السوداء وشعرها الطويل الأسود، تلك المرأة تعرفها...

تلك الخبيثة تعرفها...

تلك المجنونة تعرفها...

إنها (جُنَيَّاه) بهيئتها الآدمية تقف على سرير والدتها غير الموجودة، ومن النافذة الكبيرة سقط ضوء القمر البدر يضيء تلك البقعة لتظهر (جُنَيَّاه) بوضوح بشعرها الطويل ووجهها المبلل بالدموع، ونظرة الجنون تلمع في مقلتيها، فجأة نظرت نحو (منى)، فضيقت (منى) عينيها لتسبر أغوارها وهناك أخذت (جُنَيَّاه) تدور فوق السرير وتقفز وترقص مثل رقصات الهنود الحمر المجنونة، وهي تقول ثائرة بصوت هستيري هائج:

داخل الظلمة والوحدة

بعيداً عن الحب والصحة

أشعل في دمها ناري

وأفتت روحها بدماري

فيا ابنتها ذوقي طعم انتقامي

واستشعري طعم الوحدة



ومرارة الهجر وفقدان الأحبة
 تَبًّا تَبًّا غير مقطوع
 لمن خان الوعد المقطوع
 بعد أن أحبيته
 من بين الكل وأجللته
 جفاني وقابلي بالقصور
 فنسجت حولي أسوارًا وقصور
 وبرغم أسواري العالية
 رضخت لروحه الغالية
 لا رحمة بك فقد حرمتِ
 روحي وجوده وقتلتِ
 أما كفأك سرقة حيي المجنون
 فتنتِ قلبه حتى الجنون
 لأسرقن دمعك من داخل العيون
 وأسقيك حزنًا يكوي الجفون
 فلتندي حظك لرؤيتها
 مريضةً مسلوبةً عافيتها
 فقد أنجبت من للحب ناكره
 وأورثتها الفتنة الماكرة

أقسم أقسم بالرب أقسم
لأجرين داخل العروق
والتف حولها كالطوق
فلتَمَّت فلتَمَّت
فلتُجَن فلتُجَن
ولترقصي (جُنياه) وكل الجن
على أشلائها التي مزقتها
بقوة العفريتة وعذبتها
لنشتعل جهنم وتحرقني
إني لعمرى هناك مقعدي
لا أخشاها فقد هلكت قبلاً
بيد حبيبي هجرًا وغدرًا
(جَمُنُون)
يومًا بك ألتقي
في جهنم ونكتوي
فَرَّت (منى) من كابوسها ذعرًا وهي غارقة في عرقها.
(جُنياه) كيف نستها؟
(جُنياه) نائرة وغازبة لموت (جَمُنُون) فهل سنتنقم منها؟



تذَّكَّرتُ أبايًّا قالتها أخذت تتردَّد في عقلها كجرس إنذار مزعج لا يرضى أن يتوقَّف:

فلتَّمَّت فلتَّمَّت

فلتَّجَن فلتَّجَن

ولترقِصي (جُنَّياه) وكل الجن

على أشلائها التي مزقتها

بقوة العفريتة وعذبتها

تساءلت كالمجنونة:

- «ما معنى هذا؟».

هتفت في لوعة إذ أدركت المعنية بكلماتها:

- «أمي».

لم تنتظر أكثر لذا اندفعت كالمجنونة نحو غرفة والدتها واقتحمتها عنوةً لدرجةٍ فرَّ معها والدها ونظر نحوها بفزع، لم تعره انتباهًا بل اندفعت بلوعة نحو أمها وأمسكت بمعصمها فوجدته باردًا كالثلج، ارتعدت وهي تريد أن تحس نبضها بأي شكل كان، شاركها الخوف والدها إذ انحنى نحو والدتها بحذر وقال:

- «ماذا؟ لماذا تقيسين نبضها؟».

لم يسأل أكثر فوجه ابنته الممتقع نبأه بالكثير، لذا قفز وأخذ يقيس نبض زوجته من عنقها وساعدها وصدرها، ولكن لا شيء.

كانت باردة كقطعة رخام.

هنا أخذ يوقظها كالمجنون ولا مُجيب، فقد كانت جثة هامدة.

تساقطت الدموع من عيني (منى) وقد أدركت الحقيقة المرة.

أمها ماتت.

قتلتها (جُنْيَاه) كما قتلت هي (جَمُنُون).

سمعت صوتًا باكيًا يهمس جوار أذنها قائلاً:

«العين بالعين والبادئ أظلم، سأرحل لعائلي ولن أرى وجهك الملعون بعد

اليوم».

ارتجّت أركان قلبها وقد أدركت أن تلك (جُنْيَاه) قد خرجت من أمها الميتة بعد

أن قتلتها وكلمتها ورحلت.

فصرخت (منى) باكيةً:

- «آآآآه الظلم ظلماااات يا ظالموووون...».

ولكن هيهات أن يعبأ بصراخها أحد من الجن أو الإنس، فقط تدفّق إخوتها من

حولها ركضًا نحو والدتهم المقتولة بعد سماعهم للصياح في غرفتها.

لم نكن نرى أو تدري ماذا يجري حولها.

تسمع النحيب، تسمع الحوقة، أما هي فقد سقطت على ركبتيها، فأمها ماتت

بسببها.

ولكن هل هي السبب حقًا؟ أم بسبب (جُنْيَاه) الظالمة؟ هل أخطأت إن عالجت

نفسها؟!

ألم تعطي (جَمُنُون) الفرصة لكي يخرج أكثر من مرة ولكنه رفض حتى مات.



لم تتعمد قتله حقًا.

فما ذنبها إذن لتقتل (جُنياه) أمها؟!

أم أن الرغبة والعشق والهوس والانتقام أمور شَلَّت تفكير (جُنياه).

فكرت بأن أمها بين يدي الرحمن الرحيم الآن، وقد ختمت حياتها بنطق شهادة التوحيد، ولأنها ماتت قتلاً وظلمًا فسينصفها رب العالمين، أما هي فعليها أن تتجرّع الألم المرير، فإن كانت قد حَرَمَت (جُنياه) بدون قصد من أن يحبها (جَمُون) فقد انتقمت منها (جُنياه) شر انتقام، لقد قتلتها في الصميم، لقد حرمتها ونزعت منها أحب مخلوق على وجه الأرض..

أمها..

أمها الغالية الحنون.

لقد أوغرت في صدرها خنجرًا حادًا، وجرحًا عميقًا سيظل ينزف دمًا.

لن تكفيها دموع العالم ولو ملأت البحار.

لن يكفيها حزن الإنس والجن ليلاً ونهار.

بكت (منى) بحرقة وقهر على الثمن الذي دفعته مقابل حريتها.

بكت.. وبكت.. وبكت...

حتى غُشي عليها.



الخاتمة

تحكيها (منى)

مضت خمس سنوات وستة أشهر على موت أمي الغالية وعلى موت (جَمْنُون). خمس سنوات وستة أشهر كنت بكل غرابة استفقد (جَمْنُون) بشدة، استفقده لدرجة أن أسأله عن رأيه في بعض الأمور فلا أجد إجابة عندها أتذكر بأنني قتلته لأنهار بعدها من البكاء عليه وعلى أمي، كم كرهت نفسي لقتلي صديقي، ولكنني كنت يائسة، وقتها كنت أتذكر كلماته لي بأنني أحبه كرجل في أعماقي قبل حتى أن أقابل حبيبي (وليد) ولكنني أنكر هذا الشعور لغرابته فهل كان مُحِقًا في كلامه؟ وهل عرفت شعوري نحوه بعدما رحل! كتمت مشاعري وأفكاري الغريبة ولم أعبر عنها لأحد وأكملت حياتي بمحبة (وليد) وها أنا أزور (أبها) لأول مرة بعد عشر سنين من رحيلي عنها، لم تكن عندي الجراة أن أزور مدينتي التي بها جذوري وقريتي؛ وذلك لعدم قدرتي على رؤية البيت الذي أصبت فيه وعائلتي بانتكاسة سببها الجن.

كنت حينما أزور جدتي أم والدي رحمها الله والساكنة في (النماص) أذهب إليها عن طريق (الباحة) حتى لا أمر ب(أبها).

والآن أنا هنا في (أبها) بدون عقدة أو خوف، هنا مع زوجي الحبيب (وليد) وطفلي (ايلين) و(تولين) وقد أصبحنا طفلتين كبيرتين في الثامنة من عمرهما، ومعنا طفلنا الصغير، العضو الجديد في الأسرة، (سيف) وله من العمر سنتان.

حياتي كانت ناجحة مثالية، حصلت على الماجستير من (كندا) وعدت محاضرة في جامعة الملك سعود، ثم حملت بطفلي الصغير الغالي (سيف) وأرغب بعد سنة بإكمال الدكتوراه، حياتي وحياة زوجي ناجحة وهانئة، فقد أصبح ل(وليد) عيادة خاصة يحضر إليها الناس من كافة الأقطار، فهو الآن من أشهر الجراحين،



وقد اشترى لنا فيلا صغيرة أنيقة جدًّا، وأنا أصبحت أشد جمالًا وأكثر أنوثة في عمري الواحد والثلاثين، فلامح المرأة بعد عتبة الثلاثين تصبح أكثر حدة وأنوثة.

سيارتنا الآن تقف على تلٍّ يُشرف من بعيد على بيت والدي المسكون، إني أراه كنقطة بيضاء صغيرة، وأتذكّر كل الأحداث الماضية كشريط سينمائي، عندما ماتت والدي لم يتوقّع أحد من عائلتي أن أنهار وأنا القوية المؤمنة بالله ولكنني أقسم بأنها لو توفيت بشكل طبيعي أن أَرْضَى بأمر الله وأصبر ولكني أعرف بأنها قُتِلَتْ ظُلْمًا وغدرًا وكل ذلك بسببي أنا!

لقد مرّ قني هذا الأمر شرّ ممزق.

لم أخبر أحدًا حتى لا أؤلم قلوبهم، لذا احتفظت بالحقيقة المرة لنفسِي واخذت أُرَدِّد كل يوم «حسبنا الله ونعم الوكيل».

قد يظن البعض بأنني لو رضيت بالتباس (جَمُون) لي، وقبلت عشقه كنت سأكون الآن سعيدة بوجود أُمِّي حتى لو على حساب سعادتي، ولكن فكروا معي جيّدًا، مع (جَمُون) جسدي لن يكون على طبيعته فناره تسري فيه وهذا أمر بعيد عن الفطرة وغير صحيح وصحي، (جَمُون) سبب المأساة لي ولكل أفراد أسرتنا فبرغم أذى الجن لنا في بيتنا منذ أول يوم سكنا فيه إلا أننا بمجرد أن باع والدي البيت وخرجنا منه انتهت مشكلتنا معهم وصارت مشكلة غيرنا، ولكن بسبب حب (جَمُون) لي أصبت وأصيب أفراد أسرتي بالمس وأصبحت أجسادنا سكنًا لهم، أيُّ جور وظلم هذا؟!

لقد شفيت (عير) فقط لأن الوزير (شياط) أراد ذلك، فماذا لو أنه لم يرغب بالخروج منها؟ كانت أختي ستظل أسيرة له، نأتي إلى (مها)، فهي لاتزال أسيرة (غدغان) وإن كان قد قل أذاه ولكنه لم يخرج منها بعد فقد أحب جسدها، وهنا لنأت عند بهجة الحياة وروحها، إلى أُمِّي الرؤوف الحنون، فبسبب (جَمُون)

علقت أمي في أسر (جُنْيَاه) الظالمة وذاقت بسببها ألمّ الصداق، وكانت تشعر بعظامها تذوب ألماً، وفي النهاية قتلتها تلك العفريّة، وكل هذا بسبب (جَمُنُون).

فهل العشق سبب كافٍ للأذى؟

هل على كل عاشق أن يحصل على حبيبته ولو عنوة؟

لو كان (جَمُنُون) ارتضى لحبيبته وهي أنا السعادة، لحقق لي رغباتي وخلص جسدي منه، كانت ستكون أمي الآن تعيش معنا وبيننا بصحة وسلام...

لقد كنت أفكر بعد وفاة أمي بأن (جَمُنُون) كان لديه حلٌّ آخر، أن يخرج من جسدي ويكتفي بصحبي، أن يظلّ صاحبي بدون أن يدخل جسدي، ولكنني ظللت أتساءل هل سيقبل بهذا الحل، بأن يترك جسدي ملكي وفي نفس الوقت يكون موجوداً في حياتي؟ أم أنه سيرفض بعناد؟

لا أعرف فهو ليس موجوداً لأسأله، لقد ذهب إلى العالم الآخر.

وانا عشت حياتي في عالماً كأيّ بشرية تبني مستقبلها وسعادتها.

حياة طبيعية جداً.

الجن في عالمهم.

والإنس في عالمهم.

عزائي الوحيد في موت أمي هو أن والدتي سعيدة بتخلصها من (جُنْيَاه) وعذابها، وصارت من أهل الجنة، أقول ذلك واثقة لأن والدتي الطيبة قد زارتني عدّة مرات في المنام تبشرني بسعادتها وبأنها من أهل الجنة، هنا فقط توقفت عن الحزن والبكاء ومضيت قدماً في حياتي.

همسة أهمسها في أذن كل ممسوس:



الجن لهم حياة غير حياتنا، لهم عالم ولنا عالم، لذا لا حق لهم بأجسادنا، لا يجوز إذ يُعَدُّ اعتداءً علينا.

فلماذا نسمح لهم إدًا بالتحكم في أفكارنا وأهواءنا؟!

ألا نرغب أن نكون أسياد أنفسنا؟

قد يظن البعض أن الخلاص منهم مستحيل، ولكن الحقيقة وهي الحقيقة الخالدة العظيمة أن المستحيل أن تستعين بالله ولا تنجو منهم، المستحيل أن تثق بالله ولا ينجيك وينصفك، كيف نُقهر ومعنا الواحد القهار؟ لا لن نرضى بالهوان ونخشاهم؟!

والآن وبرغم أنني دفعت الثمن باهظًا لحريتي بحياة أُمي، نعم حياتها، إلا أيّ الآن أصبحت سيدة نفسي، ولن أرضى لي ولأسرتي بعد اليوم أن يتحكّم بنا أحد، فنحن خلقنا أحرارًا وسنبقى أحرارًا إلى الأبد.

وكلمة أوجهها لمن لا يؤمن بوجود الجن أقول لكم:

الجن موجودون حتى لو نكرهم الكثيرون، وهم مذكورون في القرآن بشكل واضح حتى لو تفلسف البعض مُستَغَلًّا معنى الجن وهو الشيء المستور، فقال بأن القرآن لا يتكلّم عن خلق آخر بل عن الأمور المستورة الخفية، وهنا أرد عليهم قائلةً لهم لا تنسوا بأن الجن أنفسهم قالوا في سورة الجن: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) (سورة الجن).

ففي تلك الآيات يتّضح أنهم خلقوا آخر يستطيعون سرقة السمع من السماء الشديدة العلو، وليس معنى ذلك أنهم بشر مستترون كما يحلو للبعض أن يفسر

معنى الجن في القرآن، وأن منهم الصالح والطالح، كما أن هناك من الغرب من يعلمون بوجودهم حتى وإن لم يصرحوا بذلك، وإلا كيف أفسر وجود رسومات في الرسوم المتحركة تشبه الجن الذين رأيتهم بصفاتهم؟! بتلك الأعين المسحوبة والأذان ذات الأطراف المُدبَّبة!

لماذا جميع رسومات الجن (الفيري) تكون آذانهم كأذان الجن الحقيقيين؟ سواء كان ذلك في الأفلام السينمائية، أو في الرسوم المتحركة، أو حتى في دفاتر التلوين التي تستخدمها طفلتاي والتي وجدت فيها صورة فَنَّى قدماء كالأرنب الشبيه بذلك النوع الذي رأيته في حديقة بيت جدتي! الجواب بأن لدى الغرب سحرة ومشعوذون وعبداء شيطان، قد لمسوا وخبروا وتعرفوا واحتكوا مباشرة بعالم الجن والشياطين فهم إذن قد رأوا وسمعوا وعرفوا لذا نقلت لنا أقلام الكتَّاب، وريشة الرسامين، وأفلام المخرجين صورهم.

فلتدركوا إذن أيها الناس وجودهم، ولا تنكروا الجن والشياطين والملائكة وكل أمر خفي عنكم، وتجعلون من أفقكم ضيقاً لأنكم لا ترونهم! فنحن أيضاً لا نرى الله ولكننا نعرف وجوده من دلائل أخرى غير الرؤية. إن الكون فسيح وبه من الغيبات الكثير، فاجعلوا آفاقكم واسعة.

تنهَّدت و همست لزوجي قائلةً بثقة:

- «اقترب من منزل والذي أريد أن أراه عن قرب».

ابتسم لي وقال بحماس:

- «ولمَ لا؟ وسألتقط صورة لعمي».

آآآآآه والذي، كم كانت صدمته عنيفة لموت والدتي.

ولكن لديه إيمان عجيب، وقوة صبر جبارة، إذ جعل جُلَّ تفكيره في بناء مسجد صدقه على روحها وأسماءه مسجد (أم عبد الله العبدالله) وعاش على ذكرها



طول هذه الفترة وإلى أن يواريه الثرى.

كانت السيارة تسير في الطرقات مُتَّجِهَةً إلى بيت والدي المسكون..

ذلك البيت الذي بدأت منه أحداث أستغرب أنني عشتها في حياتي حقًا وكأنَّها مجرد حلم!

اقتربنا أكثر فأخذت صورته تكبر أكثر فأكثر حتى توقَّفت السيارة على الرتبة المشرفة على ذلك البيت الأبيض الكبير والجميل ...

والمهجور!

نعم المهجور..

صُدمت ثم تداركت صدمتي.

فَلِمَ الدهشة؟ فذلك البيت الأبيض الذي بُني على أرض يملكها ويسكنها الجن منذ قرون، أصبح خاليًا إلا من سكانه الحقيقيين، نعم عفاريت الجن الأحمر بقيادة وزيرهم (شياط) ومعهم اللعينة (جُنَّياه) التي لا أدري إن كانت قد تزوّجت أو ماتت، كان واضحًا للعيان أنه مهجور، فنوافذه مشرعة على مصراعها، وزجاج بعض النوافذ مكسور، البوابة الحديدية الكبيرة مواربة وليست مغلقة، الغبار وأعشاش بيت العنكبوت تظهر واضحة جلية لعييِّ الحادثين النظر من بين درفتي النوافذ، ومن الداخل لا وجود للأثاث فهو بيت خالٍ من كل ما يخصُّ البشر، ولا أعتقد بأن اللصوص والعمال يستغلون هذا البيت لأعمالهم المشبوهة فهم بدخولهم إليه سيرون الأهوال، وكيف لا ؟

فهو لم يصبح مهجورًا صدفة، لقد انتصرت العفاريت.

نعم انتصروا على بني البشر وطردهم من ذلك البيت.

فكما استطاعوا أن يخرجوني وعائلتي من بيت الأحلام هذا، فهم أخرجوا أي



سكان سكنوه من بعدنا.

ولنا أن نتخيّل كيف فعلوا ذلك؟

وماذا أصاب سكانه؟ إلى درجة أنهم لم يبيعوه لأحد، أو ربما عرضه للبيع ولكن سمعته قد انتشرت بين الناس فلم يُقدم أحد على شرائه، ففي الجنوب الأخبار تنتشر كالنار في الهشيم.

وهكذا بقيّ مهجورًا وكل الأراضي المحيطة به، معزول شره عن الناس، واعتقد بأنه سيبقى مهجورًا إلى الأبد.

ذلك المنزل الجميل الذي أغدق عليه والذي أحلامه وذوقه الرفيع، والذي بدأت منه هذه الحكاية.

وهكذا انتهت معركة الجن مع البشر بان عاشوا لوحدهم في أراضيهم دون أن ينغص عليهم البشر حياتهم.

ابتسمت في سخرية وقلت لزوجي:

- «لقد أصبح مهجورًا تسكنه الأطياف، لنرحل الآن».

تخيّلت (جُنّياه) تنظر لي من بعيد، ورغم عدم قدرتي الآن على رؤية الجن إلا أنني أشعر بتلك الطاقة السلبية السوداء التي تنبعث من ذلك البيت، تنبعث بقوة هائلة لتذكرنا بأننا أمام مكان له سطوة من عالم آخر..

من عالم الجن.

رحلت السيارة وبيت والدي يبتعد وأنا أراه لآخر مرة وقد أدركت يقينًا بأن علاقتي بالجن وخفاياهم قد انتهت إلى الأبد..



ومن بعيد مُتَخَفٌّ بعباءته السوداء، أخذ ينظر لهم وهم يبتعدون وفي عينيه يلمع الشوق وداخل صدره بركان من الوله، وهو يدرك بأنه رغم غضبه إلا أن الحب أقوى بكثير، فهي قدره رغم رفضها وإنكارها لذلك، فهما لبعض منذ بدء الخليقة وإلى الأبد.

لذا أقسم طالما أن حروقه قد شُفيت أخيراً بعد رحلة العلاج، فإنه سيعود من جديد، وسيقبل بكل شروطها حتى لو بقي خارج جسدها، على أن تقبل به. أليس الثعلب يمثل دور الميت؟!

إنه لحقاً ماكر..



بعد زيارتي لمنزل (أبها) بست سنوات، مات (وليد) وتركني وحيداً، مات بسكتة قلبية بعد جلطتين في القلب، كنت دائماً عندما أوي إلى فراشي أبكي حزينة حتى أشعر بالنعاس يغمري، أشعر بشخص دافئ جداً يحتضني من خلفي حضناً دافئاً حنوناً غريباً يبث كهرباء في جسدي تجعل روحي تحلق ونفسي تهدأ لهذا الشعور الذي يذكرني بطفولتي، لأنام بعدها براحة وكأنّ مشاكل الحياة آخر اهتمامي.



من بين الأعراس تقدّم نحوي نمر أسود جبلي، سواده بهيم، هيئته تهزّ الجبل من تحت قدميه، كبير الحجم، جميل المحيا رغم أنه خطير ومفترس، كان يمشي الهويني وهو يتقدّم نحوي، حينها التقت عيناى بعيني الخضراوين وبدلاً من شعوري بالخوف قفز قلبي فرحةً وأنا أرى الدفء والحنان والحب في عينيه، ركض نمر ال(جاكوار) نحوي، وبدل الهروب منه وجدت نفسي أفتح ذراعي بلهفة لأضمه نحو صدري، كم فرحت عندما استقرّ رأسه بين يدي لأضعه على صدري، فأخذ يفرك رأسه على صدري بكل محبة ودفء وشوق، وعندما رفعه لتلتقي عينيّ

بعينه انتفض قلبي وأنا أرى داخل تلك العينين عالمًا آخر وليس فقط نمرًا أسود،
استيقظت من نومي وأنا أشعر بذلك الدفء لا يزال على صدري وراحة عجيبة
تغمر نفسي..



(جَمْنُون) قصة لن تنتهي

بدأت عام 1429 هـ - 2009 وانتهت 1435 - 2015



قصائد الرواية

قصائد الجني (جَمْنُون):

منذ صباي وقلبي لك خافق
 آن وصالنا فأنا عشقك القادم
 رميت شهاب حبك الخارق
 عليّ فصرت عبدك الخادم
 معك للموت فأنا بك عالق



لماذا الصد والهجران؟
 قابلت الحب بالعدوان
 في نظرك أنا الجاني
 وحيي لك غير عادي
 قلبي من الجور يعاني
 بعدك سبب عنادي
 كم أعاني كم أعاني
 ستجديني في كل مكان
 معك طول الزمان

كم أعاني كم أعاني



كم شكوت الحب لكن

طينك اللازب صامد

سأذوق منك المفاتن

فذوقي نار المارد



لا يعرفُ الهوى وأوجاعه

من عاش فيه سعيدا

لا يبالي بمن رأى أفجاعه

مُشرِّدًا في قلبه ووحيداً

فأنْتِ تنهلين من الغرام

وغيرك صائم مرمر بعيدا

وحبك لغيري ملأته غرام

وسعادة فأصبح عيداً

في بئر ليس له قرار

دفنت هواك وصار منفياً

لم يعد لي فيه قرار

فقد تفتت شوقاً منسيا



عدت لقربك طالبًا مزاره
 وإن كان خطأً شديداً
 فلشهدك الحلو أنا ذواقه
 فهو كخمر أسكر الوريدا
 أدمنت وصلك وازددت حراره
 قد أشعل بركائاً سحيقا
 بعد أن تجرعت الهوى وأهواله
 ازدت اليوم صبابه وشهيقا
 وسأعود لأنهل أسرارهِ
 فالنار داخلي تصطلي
 والجوع قض مضجعي
 وستحكم روجي الغداره
 ولو رجمتني
 وحرقتني
 وحطمت أسوارهِ
 لا لن يقع فهو راسخ قرارهِ
 قالوا: هل تحتمل في الهوى أوزارهِ؟
 قلت: بلغت من الوزر أمداً بعيدا
 ولو مت دونه فأنا له شهيدا

وبعد اليوم لن أبقى بعيدا
لن أتوب لن أتوب
قد غرقت في الذنوب
لن أتوب لن أتوب
فنصيبي منك مكتوب
ولنصحكم لن أستمع
ولمنعكم لن أمتنع
يلومون من في الهوى صار تليدا
فعجز عن سماع الرأي السديدا
ما رأوا جمالاً قد تجسدا
فهلك من دونه قوماً سهدا
فرفضك لي تجرعت مراره
وغفرت جورك وإجرامه
(منيّتي)
إن بي حريق
فنضجك زادك بريق
غاب معه عقلي الرشيد
فزاد فيّ طبعي العنيد
طال غيابك وصرت وحيدا



فأعدتك لي عودًا حميدا
 وأشريتك كأس عشقي
 فأثملكِ وصرتِ كنفسي
 انتشيتِ وملكْتُ قلبك
 فلتتقي من هو ربك
 لا تنكري سعادتنا
 فيمسك عذاب وأذيه
 فالبحر عزف مودتنا
 على أوتاره الفضيه
 ليبارك في الحب وصلنا
 بعد سنين منسيه
 امتزجنا والتحمنا
 وفي الخطايا سرنا سويه



داخل الحنايا أمتطي رغبتني
 ومن بين الزوايا أنسج خطتي
 أسكن دمك أجري واختلي
 وأفنت روح من بالحب تشتكي
 حطمتِ فؤادي فبناري اصبلي



ويلك يآلي أذيت مَن بالنار مخلوق
وأشعلت فتيل الحرب وأنت شعيبها
أحلف لك بخالق صمتي المنطوق
لأشعل بعروقتك نيران حي ولهيبيها



قصائد (منى):

بروحي أنت وروح الروح تطريك
لا تطول على قلبي الغيبة
يا بعد روحي وقلبي أنا أغليك
عساك بالطيب والعز والهيبة



أنا لك وحبك في القلب راسي
أموت فيك دامك تموت فيه
ماني لغيرك لو يقطعون راسي
لا والذي حطك في قلبي عطيه



قصيدة (وليد):



لا تحسبيني للوعد ناسي
الوقت بس ما سمح ليه
طول ليلى دايم أقاسي
بعدك وشوقي يفز بيه
أكتمه وصبري يشد باسي
وأتخيل اللحظة اللي نكون سويه
نعزف فرحنا يا بعد ناسي
تتمخطري وأنت عروس شهيه
أكون لك من ساسي لا راسي
وتكوني لي أغلى وأجمل هديه
يا بعد قلبي ماني للوعد ناسي
بس الظروف للقيا عصيه



قصيدة الجنية (جُنَّيَاه):
داخل الظلمة والوحدة
بعيدٌ عن الحب والصحبة
أُشْعِلُ في دمها ناري
وأفتت روحها بدماري
فيا ابنتها ذوقي طعم انتقامي

واستشعري طعم الوحدة
 ومرارة الهجر وفقدان الأحبة
 تَبًّا تَبًّا غير مقطوع
 لمن خان الوعد المقطوع
 بعد أن أحببته
 من بين الكل وأجللته
 جفاني وقابلني بالقصور
 فنسجت حولي أسوارًا وقصور
 وبرغم أسواري العالية
 رضخت لروحه الغالية
 لا رحمة بك فقد حرمتِ
 روحي وجوده وقتلتِ
 أما كفاك سرقة حبي المجنون
 فتنتِ قلبه حتى الجنون
 لأسرقن دمعك من داخل العيون
 وأسقيك حزنًا يكوي الجفون
 فلتندي حظك لرؤيتها
 مريضةً مسلوبةً عافيتها
 فقد أنجبت من للحب ناكره

وأورثتها الفتنة الماكرة
 أقسم أقسم بالرب أقسم
 لأجرين داخل العروق
 والتف حولها كالطوق
 فلتَّمت فلتَّمت
 فلتُّجن فلتُّجن
 ولترقصي (جُنَّياه) وكل الجن
 على أشلائها التي مزقتها
 بقوة العفريّة وعذبتها
 لتشتعل جهنم وتحرقني
 إني لعمرى هناك مقعدي
 لا أخشاها فقد هلكت قبلاً
 بيد حبيبي هجرًا وغدرًا
 (جَمْنُون) يومًا بك ألتقي
 في جهنم ونكتوي
 انتهت القصائد

صدر أيضًا للمؤلفة ناديا:

• روايات عوالم

صدر من روايات عوالم المرعبة حتى الآن:

- موت قبل الميلاد.. وقصص أخرى.

- ولا أحد يفسد متعتي.

• روايات توليب

صدر من روايات توليب الرومانسية حتى الآن:

- أزمة عروس.

- ضحايا الحب.

وبين يديك بعد دمج السلسلتين؛ عوالم وتوليب، (روايات عوالم ناديا):

- رواية: جَمُنُون.

- مغامرات بيزارو وقراصنة البحر.

صدر من مغامرات بيزارو وقراصنة البحر حتى الآن:

- مغامرة وأسطورة ج1.

-القراصنة والكنز ج2.

- البحث عن القرصان جاك بونز ج3.

- البحار الغامض ج4.



- عودة القراصنة ج 5.

- القتال الدامي ج 6.

تتواصل المؤلفة أ. ناديا الشهري مع قرائها عن طريق:

 authonadiah

 authonadiah

 authomadiah

 @NadiahALshehri

 Aathor Nadia Alshehri

وللتواصل مع المؤلفة لتحليل الشخصيات بعلم الفراسة والاسترولوجي والإرشاد

الشخصي:

 +966554767576

تمثّل:

لا يفرلها من هم أقل

من ١٦ عاماً

وقد لعل من اللز.

جمنون

JHAMNUN

من بين الأعراس تقدم نحوي..
نمر أسود جبلي، سواده بهيم، هيئته تهز
الجبيل من تحت قدميه، كبير الحجم..
جميل المحيا رغم أنه خطير ومفترس، كان
يمشي الهوينى وهو يتقدم نحوي..
حينها التقت عيناى بعينية الخضراوين..
وبدلاً من شعوري بالخوف قفز قلبي فرحة وأنا أرى
الدفاء والحنان والحب في عينيه..
ركض نمر الـ(جاكوار) نحوي، وبدل الهروب منه وجدت نفسي أفتح
ذراعاى بلهفة لأضمه نحو صدري..
كم فرحت عندما استقر رأسه بين يدي لأضعه على صدري، فأخذ
يفرك رأسه على صدري بكل محبة ودفاء وشوق..
وعندما رفعه لتلتقي عيناى بعينية انتفض قلبي وأنا أرى داخل تلك
العينان عالم آخر وليس فقط نمر أسود..

9 789921 725025



ضياء
t.me/twinkling4



ALMANSOUR
المنصور
PUBLISHING HOUSE

الناشر: مكتبة المتصور للنشر والتوزيع
Info@almanseourpublishing.com